



حسن الجندي

مخطوطة ابن إسحاق

العابد

الطبعة
11

مخطوطة ابن إسحاق

العائد

رواية لـ

حسن الجندي

ن
للنشر
والتوزيع

إهداء

إلى الصوت الذي كان يُحدّثني أثناء كتابة هذه القلّامة اشكرك لأنك
توقفيت عند انتهائها

أحمد

مقدمة

داحل غرفة التشريح بمشرحة زينهم ينف (خالد) والمأمور أمام جثة موصوعة على المنضدة، وكلاهما يرتدي كمامة، على غير عادة الأول أثناء التشريح. أمامهما على المنضدة تلك الجثة المتحولة على هيئة فرد. و(خالد) يمسك يد الجثة العارية المشعرة وبشير بمشروط جراحی الى شيء ما قائلاً للمأمور:

"لم أركاننا من تلك الفصيلة قط. كأن يملك في يده ثلاثة أصابع تشبه المخالب".

رد المأمور بقرف:

"ولن ترى، لولا علاقات قريبي الضابط بأمن الدولة لما استطعنا أن ننقل تلك الجثة هنا لتشرحها سراً".

أعاد (خالد) اليد لموضعها وأمسك الرأس الذي كان يختلف عن البشري في كثافة الشعر ووجود أنف أقي جعله أقرب للقروود. أمسك بالرأس وأزاح بعض الشعر الكثيف وهو يقول:

"هناك قرنان صغيران لهذا الكائن الغريب لم أزمثلها من قبل".

وضع الرأس ثم أشار للقدمين قائلاً:

"وقدمان تكويننا يقترب من تكوين أقدام الجدي بحواهر واضحة".

- "كيف ستبدأ تشريح هذا الكائن؟"

- "سأبدأ بالرأس. وبالتحديد الفم."

أمسك بالفم وفتحه بصعوبة فانفجر على اتساعه بشكل غريب. وظهرت منه أسنان كثيرة طويلة. أما نهايتنا الفم فكانتا تقتربان من الأذن التي تشبه أذن الحصان. قال (خالد):

- "الفم تزيد عدد أسنانه عن الأسنان العادية بـ..."

أخذ يعدّ الأسنان.. وبينما يعدّها. إذ فجأة...

فتح الكائن عينيه. فتراجع المأمور رعباً وهو يشهق. نظر له (خالد) بهدوء وقال:

- "لا تخف. هذا ردة فعل للجثة. فهي تتحول من وقت لآخر من حالة التصلب إلى حالة الارتخاء والعكس."

هدأ المأمور قليلاً بينما نظر (خالد) إلى الجثة مرة أخرى وهو يتفحص الأسنان. فجأة تحركت يد الكائن ولطم وجهه (خالد) بمخالبه فانفجرت الدماء من خده الأيمن. وسقطت كمامته. تراجع المأمور للوراء خطوة وهو يخلع كمامته بحركة تلقائية و(خالد) يتراجع ممسكاً جرحه والصدمة تُسيطر عليه. نهض الكائن بسرعة من على منضدة النشريح ووقف على الأرض بقامته القصيرة. نظر حوله يتأمل الغرفة ثم رمق (خالد) والمأمور. أغمض عينيه وملامح وجهه تختفي ببطء ليحل محلها ملامح وجه المأمور. ظل محتفظاً بلون جلد وجهه وهو يتغير. حتى اختفت الأذنان والقرنان وأصبح وجهه كوجه المأمور.

تلون الجلد ليصبح قريبًا من لون جلد المأمور. خرج من جسده صوت كطقطقة العظام وتكسرها بينما قدماه تستطيل ببطء. فجأة انفتح باب غرفة المشرحة بقوة ودخل (حامد) وعلى وجهه علامات الوفاة وهو يشول بصوت جهوري مقترنا من الكائن:

”دخول الحمام ليس كخروجه أيها الغول. كنت تريد قتل صديق (حامد). وأنت لا تعرف من هو (حامد)...”

فجأة تعثر (حامد) ووقع على وجهه مطلقًا صرخة ألم. نظر له الكائن بدهشة لثوانٍ فرفع (حامد) وجهه وهو مازال على الأرض وقال:

”والنبي لا تهاجم يا كابتن حتى أنهض”.

لم يفهم الكائن هل (حامد) يمزح أم يتكلم بجديّة. صرخ (حامد) وهو ينظر باتجاه الباب:

”هيا يا (رحيم) لنقض عليه!”

نظر الكائن للباب ثم لحامد مندهشًا فصرخ (حامد) مرة أخرى:

”هيا يا (رحيم) لنقض عليه قبل أن يفتصني”.

دخل (عماد) وجواره (يصفيدش) بهينة بشرية لرجل في الأربعين. نظر الكائن لـ(يصفيدش) برعب بينما أشار الأخير بيده اليمنى ناحية الكائن وقال كأنه يحدث أحدًا بجانبه:

”كبلوه وانقلوه معنا”.

تصاعد دخان حول الكائن وغطاه. فصرخ حتى تلاشى صوته بينما
الدخان يغطيه ثم يتزاح ليترك موضعه خاليًا.

نظر (يصفيديش) للمأمور المذهول وقال مبتسمًا:

"ألم أقل لك لا تتدخل في تلك القضية؟"

قال المأمور بصوت منقطع:

"من أنت؟"

"أنا رجل من الجان ولي عندك حاجة.. هل تتذكرني؟"

اتسعت عينا المأمور فزعًا. هنا سمع (حامد) وهو مازال على الأرض صوت
(رحيم) في أذنه وهو يقول ساخرًا:

"ما ذلك العرض الذي قمت به عند دخولك. لم يبق إلا أن تنادي علي
قائلًا: افتح يا مازنجرا!"

"هل كنت ستأتي لو قلت لك افتح يا مازنجرا؟"

قالها (حامد) فنظر له الجميع. فابتسم لهم. وغادر (يصفيديش) الغرفة
وهو يقول:

"سأزورك مرة أخرى أيها المأمور. وأنت يا (عماد) اجلب (حامد) الأهلل
هذا معك وهيا بنا. لا وقت لدينا لتضيّعه."

في اليوم السابق:

عندما وضع (محمود) المحقن للمرة الثانية في ذراع (إسلام) فجأة انفجر الحائط المجاور له من جراء اقتحامه من كانن ما. بذعر رفق (محمود) و(إسلام) و(رقية) الحائط وهم يشاهدونه وقد تناثرت قوالب الطوب منه لداخل الحجرة صانعة فتحة في منتصف الجدار. عبرها كانن ما مغطى بالأتربة المتساقطة من الفتحة. يمد قدميه العاريتين ويعبر بجسده العاري للحجرة وسط دهشة الجميع.. هنا صرخت (رقية) من الفرع وأغشي عليها بعدما تدبرت ما ترى. وترك (محمود) المحقن في ذراع (إسلام) مفزوعاً وهو يستدير مواجهًا ذلك الكائن. بينما (إسلام) نفسه لم يكن يصدق نفسه مما يرى.

كان الواقف شابًا عارياً تماماً. الفرق أنه لم يكن يمتلك عضواً ذكورياً. بل موضع ذلك المكان ممسوح تماماً!! جسد ضخم متناسق كلاعب كمال الأجسام. أما الوجه فكان غريباً.. إنه وجه (إسلام) الأبيض الوسيم. لكن عينيه كانتا مشقوقة بالطول كالقطط وعسلية اللون كعين (إسلام). ومن وسط شعره يخرج قرنان بنفس لون جلده بطول 5 سنتيمترات. إنه قرين (إسلام). تقدّم من (محمود) الذي حاول أن يوجه له لكمة. لكن لكمته اصطدمت بوجه القرين ولم تؤثر فيه. فجأة أمسك القرين بـ(محمود) وحمله بيديه عاليًا ثم جرى به لأقرب حائط وأخذ يضرب رأسه به. و(محمود) يصرخ والدماء تنفجر من رأسه حتى خبتت حركته بعد عدة ضربات في الرأس. تركه القرين

يسقط جثة هامدة. وتقدم من فراش (إسلام) الذي كان يجلس مرعوباً وهو يشاهد ما يحدث. توقف القرين أمام (إسلام) ونظر في عينيه وقال بنفس صوت هذا الأخير:

- "تحت أمرك."

فجأة انفتح الباب بقوة وظهر من خلفه رجل أمن المستشفى وهو يرفع مسدسه ويهتز من الخوف.. زاد خوفه بعدما رأى القرين وقال بصوت مرتعش:

- "ارفع يديك لأعلى."

نظر القرين لرجل الأمن بلا تعبير على وجهه ثم تقدم منه ببطء. فأغمض رجل الأمن عينيه وأطلق رصاصتين عليه ثم فتحهما فوجد أنه لم يتأثر. أطلق رصاصة ثالثة اصطدمت بصدر القرين بالضيغط لكها ارتدت عنه بقوة. صرخ رجل الأمن فرغاً والقرين مازال يتقدم منه. فجأة اختفى. فدار رجل الأمن بنظرة في الغرفة بحثاً عنه ولكن عينيه اصطدمت بـ(رقبة) المغشي عليها. وبجثة (محمود). وقع المسدس من بين يديه وهو يرى ملامح (محمود) تتبدل وتتغير وجسده يسبح كأنه مغطى بالدهن. بينما يظهر ببطء جسد لا يتعدى متراً ونصف. غزير الشعر يشبه القرد وبرندي نفس ملابس (محمود) ومعطفه!!

دخلت بعض الممرضات الغرفة بعدما سمعن صوت طلقات الرصاص. وبمجرد دخولهن صرخن بجزء. حرك (إسلام) الرافد على الفراش يده بصعوبة وأشار لـ(رقبة) المغشي عليها. ارتبك رجل الأمن والتقط مسدسه من الأرض موجهاً إياه ناحية (إسلام) وهو يتراجع خطوة

للوراء فاصطدم بالمرضيات. اللاتي صرخ بعضهن عندما وجه
ناحيتهن مسدسه خانقاً.

جاء صوت رجل من خارج الغرفة بقول:

”ماذا يحدث هنا؟“

ابتعدت المرضيات ليفسحن مكاناً للدكتور (منصور) المشرف على قسم
الجلدية. دخل فوجد رجل الأمن ينظر حوله بخوف وسلاحه في يده
موجه للأرض. صرخ فيه:

”اترك سلاحك يا بني. ماذا حدث؟“

نظر له رجل الأمن بخوف ثم ترك السلاح يسقط منه على الأرض مرة
ثانية. كانت صدماته متتالية منذ أن أطلق الرصاص من مسدسه
لأول مرة في حياته ومروراً بذويان دكتور (محمود) وتحوله. ونهاية
ب(إسلام) الراقد على الفراش. والذي يشبه من كان يهاجمه منذ قليل.

اتسعت عينا دكتور (منصور) دهشة من الجثة الذائبة. مزر عينيه في
الغرفة حتى وقعت على (رقية). فأسرع يجثو بجانبها يحاول إنعاشها
وهو يناديها. صرخ في المرضيات ليساعدهن في نقلها. بينما أراح
(إسلام) رأسه على الوسادة وهو ينظر للسقف ثم يغمض عينيه.

فتحت (رقية) عينها فوجدت نفسها على مقعد بغرفة رئيس قسم الجلدية. والمرضات حولها والابتسامة ترسم على وجوههن سعادة باستيقاظها. تذكّرت ما حدث وقالت بصوت متحسّر:

- "أين (إسلام)؟ ماذا حدث له؟"

- "(إسلام)!!"

قالتا إحدى المرضات بتساؤل. فردت أخرى:

- "إنه المريض الذي نقله دكتور (منصور) لغرفة أخرى منذ قليل."

- "هل حدث له مكروه؟"

سألت (رقية) بلهفة بعدما تنحنحت لتتمكن من الحديث بعد طول فترة صمتها في الغيبوبة.

- "حالته جيدة وهو الآن نائم في غرفة جديدة بدل التي ذمّرت."

قالتا إحدى المرضات فردت أخرى عليها بأشمنزاز:

- "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. تلك الغرفة مسكونة. هل رأيتم العفريت المقتول فيها؟"

نهضت (رقية) فشعرت بدوار خفيف لكنه ذهب في ثوان. وقالت لإحدى المرضات:

- "خذيني لغرفة (إسلام) يا (عفاف)."

- "ارتاحي قليلاً واحك لنا عن ال..."

قاطعتها (رقية) بخشونة:

“(عفاف).. قلت لك خذي الان!”

شعر (إسلام) بيد تمسح على شعره. لم يكن نانفًا. بل حاول إيهام الجميع بذلك بإغماض عينيه ليفكر في كل ما مر به. عن القرين الذي زاره. وعن الطبيب الذي حاول اغتياله ثم تحول لجنّي.

مسحت اليد على شعره ثلاث مرات بعنان وبطاء. شعر أنها يد فتاة بسبب رقتها وصغرها. فتح عينيه فوجد (رقية) تنظر له بلهفة. بمجرد ان رآته فتح عينيه ارتبكت وأبعدت بداها بسرعة. فابتسم بطرف فمه الذي يستطيع تحريكه. قالت وهي تُعيد حصلة من شعرها لخلف أذنها:

“حمدًا لله على سلامتك”.

تأملها (إسلام) بعينيه. بعض الأتربة على وجهها الأبيض من حراء ما حدث في الغرفة ولكنها لم تتأثر. ظلت قسماات وجهها جميلة وخداها يبرزان في وجهها كعلامة مميزة على تقاسيمه المحددة. برغم الخدش الأحمر على خدّها الأيمن بعد ان لطمها (محمود). حتى شعرها الأصفر المعقوص خلف رأسها تحركت حصلاته لتتداخل سويًا ولكنه ظل جميلًا. توقفت عيناه عند عينيها الواسعة المجهدة. شعرت بالحرج فقالت وهي تبعد للوراء برأسها قليلاً:

"من هذا الذي يريد قتلك؟ ولماذا رأيت هلوسة بعد ذلك؟ وكيف تهدم الجدار بينك وبين الغرفة المجاورة؟"

نظر للسقف وقال:

"هل يمكن أن أناذيك (رقية)؟"

فوجئت بالسؤال ولكنها لم تجد مانعاً في ظل تلك الظروف:

"تفضل".

"ما شاهدته منذ قليل لم يكن هلوسة يا (رقية) فقد رأته معك".

وضعت يدها على فمها وتقلص وجهها.

"المهم. أطلب منك أن تتصلي برقم هاتف محمول سريعاً لصديق لي

يُدعى (عماد) وتخبره بما حدث، وقولي..."

توقف عن الحديث عندما سمع طرقات على باب الغرفة فتحفظ في رقدته. فُتِح الباب ودخل (عماد) و(حامد) ومعهما (يصفيدش) في هيئة رجل لا يعرفه (إسلام).

"هل يمكن أن تركبنا مع (إسلام) وحدنا؟"

فألها (عماد) ل(رقية) فردت بعفوية:

"مع الأسف لن أتركه".

قال لها (إسلام) هامساً:

”لا تخافي فأنا أعرفهم“.

نظرت له فالتفت أعينهما كأنهما يعرفان بعضهما منذ سنين. أشاحت بوجهها عنه وغادرت الغرفة. فقال (إسلام) بإنهاك مشيراً ل(بصفيديش):

”من هذا؟“

”أنا (بصفيديش بن ذاعات)“.

لم يبذ على وجه (إسلام) أي نوع من التعبير وقال:

”من؟! ما معنى هذا الاسم؟“

تقدم (عماد) خطوات من الفراش وهو يقول:

”حراستك التي وضعها عليك (حازم) أخبرتنا بكل ما حدث“.

”حراستي!! واضح طبعا أنهم حرسوني!“

قالها (إسلام) مستهزئاً.

”هم يحرسوك من الجان. لكن إذا تشكّل الجان بهينة بشر فيجب عليهم أن يتشكّلوا أيضاً. وهم غير مأمورين بذلك“.

قالها (عماد) لكن (بصفيديش) أضاف:

”وبالتأكيد ارتبكوا بعدما ظهر قرنك ليقتل الغول. كيف حدث هذا؟!“

”لا أعرف.. لكن كيف عرفت عما نتكلم؟“

جلس (بصفيدش) على طرف الفراش وقال:

- "نحز لا نعرف كيف يتحرر قرنك وأنت في عالم البشر بدون أن تموت.
وكيف يكون في خدمتك ويتحدث معك".

- "المشكلة ليست في كيف تحرر القرن ولم يمضت. المشكلة أنه..."

قاطع (بصفيدش) (عماد) قبل أن يكمل عبارته. وقال بصوت خشن
وحاسم:

- "إنها المشكلة الوحيدة الآن. ألم تفهم بعد؟!"

رفع (عماد) حاجبيه مندهشاً بينما فتح (حامد) فمه غباءً.. نظر
(بصفيدش) لـ (إسلام) وقال:

- "هل سمعت باسم (بصفيدش بن ذاعات) قبل الآن؟"

- "لا".

- "هل تعرف اسم من قتل صديقك (يوسف)؟"

- "لم أعرفه بعد ولكني أبحث".

- "في أي كلية تدرس؟"

كاد (إسلام) يجيب ولكنه توقف وهو ينتظر لـ (بصفيدش) بلا تعبير. ثم
قال:

- "كانت على بالي للحظة، لكني لا أتذكرها الآن".

نظر (يصقيدش) ل(عماد) وقال:

”صاحبكم يفقد ذاكرته بالتدرج“.

قال (عباد) ل(حازم):

”قبل أن يأتيني (إسلام) وجدت نقطة شبيهة بتلك النقطة تتحرك بسرعة غريبة داخل سوانل الغرفة. في البداية لم أفهم ما هي. ولكن بعد زيارة (إسلام) وجدت تحركًا غريبًا لأعداد ضخمة من القرناء يدخلون عالمنا، قرناء لرجال ماتوا، الغرب أن تلك النقطة التي تتحرك في السوانل كانت بالقرب من منطقة ظهور القرناء. ويوم اختفاء....“

توقف (عباد) عن الكلام ونظر حوله لسوانل الغرفة:

”- (حازم). ألا ترى أن هناك حركة غريبة بين سوانل الغرفة؟!“

نظر (حازم) وراءه ليرى. وفجأة انفجرت الغرفة من الداخل وطار (حازم) و(عباد) ليصطلدا بالحوائط. واندلعت النيران في الغرفة من العدم مع أبخرة سوداء. لم يستغرق الأمر ثوانٍ إلا وقد انتهى الانفجار ذو الصوت المرعب وخلف وراءه الغبار والأبخرة السوداء. على الأرض زحف (حازم) وقد تمزقت ملابسه وملأت الجروح وجهه وجسده محاولاً لجثة (عباد) الذي لم امتلأ وجهه بالدماء. كان شاخص العينين. فأخذ (حازم) يهزه بكل ما أوتي من قوة حتى شاهده من

وسط الغبار يحرك شفثيه ببطء. فاقترب بأذنه من شفثيه ليسمعه بصعوبة وهو يتول بصوت هامس منك:

- "يجب أن يكون للغرفة سيد. أنت من الآن سيد الغرفة".

بمجرد أن قال (عباد) عبارته أغمض عينيه ومال رأسه. غاب (حازم) عن الوعي لدقائق. ثم شعر باللم في مؤخرة رأسه. فتح عينيه بتناقل ورائحة غبار تتخلل أنفه. عادت له الرؤيا فوجد الغبار يملأ الهواء. رفع رأسه قليلاً فوجد (عباد) كما هو شاخص البصر والدماء تُغرق وجهه وجروح مختلفة منتشرة بأجزاء جسده تتخلل ملابسه الممزقة من جراء الشظايا.

فكر أن هناك احتمالاً أن يكون الإسعاف في الطريق إليه الآن. نظر حوله بصعوبة وبدأ يشك أن أحداً من سكان العمارة قد شعر بشيء من الأساس!! نهض بصعوبة فأحس بوخز بسيط في قدمه اليمنى. نظر لها ودقق.. فغذه الأيمن تسيل منه الدماء وقطعة زجاج مسدسة الشكل مستقرة في لحمه. أحس هنا بالألم يزيد. ربما لأنه شاهد موضع الجرح بنفسه. لو لم يلاحظه لما زاد الألم هكذا.

بعدما وقف على قدميه نظر مرة أخرى لجثة (عباد) ثم سار بصعوبة باتجاه الباب وعندما وصل عنده فقد وعبه ساقطاً على الأرض مرة أخرى

مرت عليه ثلاث ساعات فاقدًا الوعي. حتى أفاق مرة أخرى. أحس بالعطش كأنه ينام على رمال الصحراء. نهض فشعر بأن الغرفة تدور به. نظر لقدمه فوجد الدماء مازالت تسيل. قبض على مقبض الباب وفتحه بصعوبة فسمع الأصوات المميزة لإزاحته. خرج وعقله يدور. صعد السلم وهو يتخبط ويسقط ويهض ثانية. ودوران الأشياء من حوله يزيد. وصل إلى المدخل الصغير الذي يفضي إلى غرفة مكتب (عباد). فتح الباب ودخل المكتب بسرعة فاصطدم بمقعد صغير ووقع معه أرضًا. صرخ وهو ينظر حوله:

" اذهبوا ل(عماد) بسرعة. اجعلوه يحضر. أنا أموت!"

جلس الشيخ (محمد) على مقعد في صالة شقته يرتدي جلبابه المنزلي وهو يذكر الله مستخدمًا عقل أصابعه للعدّ ناظرًا للضراغ بعقل شارد. حتى وجد نفسه في لحظات كثيرة قد توقف عن الذكر تلقائيًا وعقله يسرح في مسألة (يوسف) وموته.

سمع صوتًا يشبه الحفيف في غرفة نومه فانتبهت حواسه بسرعة. فهو يعيش تلك الأيام في أحداث غريبة لم يكذب يتخيل أن يرى ربها في حياته.

اعتدل في جلسته وأنصت. هل كان يتخيل؟

نهض من مقعده واقترب من باب الغرفة وهو يُتمتم بالذكر، خرج من الغرفة طفل صغير يسير بلا صوت.. تراجع الشيخ للوراء وعلا صوت الذكر من فمه رغماً عنه.

في اللحظة التالية أدرك أن الدماء تُغطي وجه الطفل وقرنين صغيرين يخرجان من رأسه، لولا الدماء والقرنان لحسبه طفلاً عادياً بجلبابه الصغير الذي يرتديه وملامحه البرينة الهادئة.

علا صوت ذكره أكثر، ومن الغرفة خرج رجل يرتدي جلباباً ودماء على شفتيه ونفس القرنين الصغيرين أعلى رأسه.. فجأة خرج الكثير من الرجال والنساء بلا صوت، يقتربون منه وهو يتراجع أكثر حتى عاد إلى مقعده مرة أخرى وسقط علي. وانعقد لسانه عن الذكر.

اقترب الجميع منه وهم لا يكفون عن الخروج من غرفة النوم. أغمض عينيه في استسلام لكنه سمع صوتاً مألوفاً.. صوت (يوسف) يقول:

- "هذه آخر زيارة لي يا صديقي.. جئت ومعى هديتي".

الفصل الأول فيما مضى

عام 1762 لم يكن مميزًا عن بقية الأعمام في فارس. وبالتحديد في محافظة (إسفرايين) بخراسان الشمالية. ربما لم يكن مميزًا لدولة فارس ككل. ولكنه بالتأكيد كان مميزًا لـ (مهران بن حسين) الفتي ذي السبعة عشر عامًا. بعينه البنية وشعره الأسود ولحبه النامية الصغيرة التي يحاول أن يربها كي تعطي لوجهه الهيبة التي يفتقدها بين أقرانه. ساعد موت أبويه على تقليل قيمته بين أبناء جلدته. ربما حصل على تعاطف كبار السن. لكنه كان مهانًا بين أبناء الحي الذي يقطن فيه مع خالته العجوز. فمهما تلقى من إهانات لن يظهر له والد قوي ليرد على من أهانه. وخاصة أنه لم يعرف له أعمامًا.

في ذلك اليوم المشمس استيقظ في غرفته وهو يسمع المؤذن يعلن حلول موعد صلاة الظهر. نهض من فرشته التي يفرشها على الأرض بنثاقل. بدل ملابسه وارتدى جلبابًا كحلي اللون ووضع على رأسه طاقية من القطن كانت هدية له من الشيخ (جعفر) الذي رياه روحياً. وضع قدميه في النعل وغادر المنزل ذا الطابق الواحد ليسير نحو المسجد. مر على منازل حيه التي لم يكن يعرف أنها تشبه منازل الفقراء في القاهرة في ذلك الوقت. لكنه سيعرف لاحقًا. الحركة بطينة في ذلك الحي. وتكاد تكون منعومة برغم انصاف شمس النهار. ولكن أمام أحد الدكاكين التي تبيع الحلوى وقف ثلاثة شباب في نفس عمر (مهران) يتحدثون. نظر له أحدهم بعد أن انتبه لوجوده ونبهه البقية أيضًا. حاول (مهران) أن يسرع في خطواته. ولكن الثلاثة أحاطوا به في ثوانٍ وقال أحدهم:

“هل تذهب للصلاة يا (مهران)؟”

أجابته بقلق:

- "نعم يا (بيرقدار)".

- "لماذا لا ندعولنا أن يهدينا الله؟"

- "حاضر سأدعو. ابتعد عن طريقي الآن لألحق بالصلاة".

رد أحد الشباب بعنف:

- "هل تأمره بالابتعاد؟! أنتجرو على أن تأمره يا كلب!"

- "لا والله لا أقصد. لكن..."

قاطعته أحدهم وهو يلكمه بقبضته قائلاً:

- "وترد علينا ايضاً!"

وقع (مهران) أرضاً وهو يصرخ بياس

- "أرجوكم لا أريد عراقاً".

ضحك الثلاثة وابتعدوا عنه ليقفوا في موضعهم السابق. نهض وهو ينفض ملابسه من الأتربة وينظر لهم بحرقه. سار في طريقه إلى أن وصل إلى بوابة المسجد. شعر بأن عينيه تحرقه. وضع إصبعه على عينيه فوجد الدموع تخرج منها على استحياء. نظر لباب المسجد الذي يدخل منه المصلين ولكنه لم يستطع الدخول. سار حتى ابتعد قليلاً عن المسجد وجلس على الأرض مرتكناً إلى أحد حوائط المنازل. نظر أمامه وانفجر بالبكاء. كان معتاداً على البكاء بسبب إهانة الجميع

له. وبمجرد أن يبدأ في البكاء يتذكر فقره وعجز حالته ومستقبله غير المحدد الملامح. وعمله لبلاً في محل العطارة الذي لا تكاد النقود القليلة التي يتحصل عليها من صاحبه تكفي إطعامه هو وحالته. يتذكر جوعه الدائم الذي لم يستطع أن يسدّه. وهو يُبدي إطعامه حالته العجوز على سدّ جوعه. يتذكر كل هذا بالإضافة إلى إهانتة الدائمة من قبل كل من بالحي من الشباب فيزداد بكأوه.

شعر بمن يجلس بجانبه على الأرض فانتفض ناظراً إليه فوقعت عيناه على رجل عجوز في الستين يرتدي عمامة بيضاء مهلهلة. وجلباباً أبيض متسخاً وعباءة سوداء مثقوبة في أكثر من موضع. له لحية بيضاء تُضيف الطيبة على ملامحه الوسيمة المرهقة. في يده اليمنى كيس من القماش وفي يده اليسرى عصا ضخمة. قال الرجل بصوت رخيم:

- "أحبك على شجاعتك. بكاء الرجل في حد ذاته ليس ضعفاً كما يشاع. بل شجاعة على التعبير عن نفسه".

ثم نظر العجوز أمامه وقال:

- "لكم تمنيت أن أبكي.. ولكني لست شجاعاً مثلك".

مسح (مهران) دموعه بخجل وقال:

- "لم أرك هنا من قبل؟"

- "كنت أسير في طريق الطويل. حتى غلبني التعب والجوع. فجلت أجلس بجانبك".

- "واين هي وجبتك؟"

ابتسم العجوز وقال:

- "الموت يا (مهران)."

- "هل تعرف اسمي؟!"

- "لا ييم، هل تعرف ما الذي أتمناه الان؟"

- "لا"

- "أتمنى أن أكل ثم أنام."

- "هيا لداري لأطعمك."

قالها (مهران) ثم نهض. فقال العجوز مبسفا:

- "ولكنك فقير."

- "وأنت مثلي.. ولكنك تحتاج الطعام أكثر مني. هيا بنا."

للحظة سأل نفسه هذا السؤال. لم يساعده؟ فوجد الاجابة تقفز لعقله.

لأنه يشعر بألفة مع من هو أقل منه حالاً. فلو استطاع مساعدته

لشعر بالسيطرة بقوة زائفة يحتاجها ليتقبل فقره. ساعد (مهران)

العجوز على الوقوف ثم سار وهو يتكى على عصاه بجانبه عاندين

لطريق المنزل. في طريق العودة مرا على الشباب الثلاثة. فقال

أحدهم:

- "من هذا يا (مهران)؟ هل نبت لك أب من جديد؟"

لم يتوقف (مهران) ولكن خطواته صارت مرتبكة وسريعة حتى كاد أن يتعثر. لكن الرجل العجوز توقف ناظرًا للشباب مبتسمًا.

- "بدو أن قريبك مجنون يا (مهران). واضح فعلاً أنه من عائلتك".

ظل العجوز ينظر للشباب مبتسمًا لحظات فنظر الثلاثة لبعضهم البعض بدهشة. زادت ابتسامة العجوز وفجأة ضحك ضحك متقطعة بصوت عالٍ. كان صدره يتحرك أثناء الضحك كأنه يبذل مجهودًا. والسعال يتخلل الضحكات حتى انتهى منها.

توقف (مهران) والخوف يظهر على ملامحه. بينما العجوز يعتدل أكثر مستندًا على عصاه وهو ينظر إلى أحد الشباب ويقول:

- "كيف حال أمك يا (عباس). يبدو أنك تركتها لترتاح مع عشيقها (أحمد) العلاف أثناء سفر أبيك هذا الشهر للتجارة في بلاد العجم.. العجيبة أنك تعرف وتصمت. بل وتنسكع هنا لتتركها بلا إزعاج".

اتسعت عيننا (عباس) ونظر الاثنان الآخران إليه. ولكن العجوز أكمل:

- "الأعجب يا (عباس) أنك تنسكع مع (بيرقدار) الذي سرقت سوار أمه الذهبي أول أمس عند زيارتك له. ألا تخجل؟"

رمق (بيرقدار) (عباس) بفضع يختلط بالشك. فنظر العجوز بنفس الابتسامة إلى الثالث وقال:

”وانت يا (منصور) الم تخبر صاحبك بعد بانك تفتصب اطفال هذا
الحي ليلاً بعدما ترتدي اللثام. وبسببك عاش أهالي الحي في فزع طوال
العام المنصرم؟“

هنا صرخ (بيرقدار) في (منصور) قائلاً:

”هل أنت من اغتصب ابن أختي؟“

”إنه يكذب. هل سنصدقك؟“

نظر (بيرقدار) للعجوز وتقدم منه بغضب وهو يقول:

”من أنت يا هذا وكيف عرفت ما تقول؟“

”لا يهم كيف عرفت المهم أنه صحيح.“

”لا دليل عندك.“

”أنت الدليل.“

توقف (بيرقدار) والعجوز يكمل:

”أنا أعرف أنك تشرب النبيذ كل ليلة في غرفتك قبل أن تنام. ولا يعرف

أحد هذا السر غيري.“

لم يظهر أي تعبير على وجه (بيرقدار).. نظر العجوز إلى (مهران) وأكمل

سيره بينما (مهران) يرمقه بخوف.

فحاة رفع (حامد) يده الممى كأنه يمسك عصا وأخذ برفص على النمط
الصعدي على لغات الأغنية.

((صيعت مالي وأنا مالي.. ضيعت مالي وأنا عمل إيه.. البت بيضا بيضا
بيضا. البت بيضا وأنا عمل إيه))

فحاة نظر (حامد) لغرفة المكتب وهو يُحدّث نفسه بأنه تخيل سماع
صوت من داخلها. فتح بابها بحرص لينظر داخلها..

((اه يا ولدي يا ولدي أنا حبيت.. وبنار الهوى انكوت))

دخل الغرفة وهو يخفض صوت الأغنية قليلاً لكن صداها مازال يتردد.
ركز سمعه ففهم أن الصوت يأتي من وراء الباب المؤدي للغرفة
النحاسية. فتح الباب ونزل الدرجات وصوت يُشبه الاحتكاك المعدني
لمعدات ميكانيكية يتصاعد كلما نزل درجات السلم. حتى وصل لباب
الغرفة النحاسية المفتوح..

((يا حلو داري داري جمالك.. داري جمالك وأنا عمل إيه))

دخلها بحذر فشعر بضغط على أذنه كأنها ستنفجر. لكنه لم ينتبه
للضغط بقدر انتباهه للغرفة النحاسية وأجزائها المبعثرة. كانت
الغرفة مظلمة إلا من ضوء بسيط لا يعرف مصدره ينير جزءاً صغيراً
منها.

أجزاء وشظايا منشورة على الأرض ترتفع في الهواء من تلقاء نفسها
وتلتصق بأجزاء أخرى في الحوائط. قطع زجاجية تتجمع وتلتصق
بالحائط وسائل يسير داخلها. الأصوات تزداد كأنها تروس تدور داخل

آلة عملاقة. وبعض القطع الزجاجية المحتوية على سائل تُضاه
بضوئها السابق.

((البت بيضا بيضا بيضا.. البت بيضا وأنا أعمل إيه))

كل الشظايا التي تناثرت على الأرض عادت لهبتها الأولى ملتصقة
بالحوائط. وعادت بعض الحوائط تدور في حين رأى (حامد) جثة
(عباد) الملقاة في ركن الغرفة فاقشعر بدنه. وقبل أن يدفق سمع
صوتًا يتكلم من داخل الغرفة. كأنه صوت معدني يقول عبارة غريبة
على أذنه.

جاء صوت (رحيم) في أذنه خائفًا يقول:

- "الغرفة تتكلم".

لم يكن (حامد) أقل منه خوفًا وهو يسأل هامسًا:

- "ماذا تقول؟"

- "تقول بالسريانية (تمت إعادة الغرفة)".

فجأة نحشرج صوت الأغنية والغلق الهاتف من تلقاء نفسه. وانطلق باب
الغرفة في نفس الوقت.. نظر (حامد) برعب إلى الباب. نفس الصوت
الميكانيكي قال عبارة طويلة ولكنه ميز فيها نطق اسمه جيدًا.

- "ما الذي قيل يا (رحيم)؟"

لم ينطق (رحيم) إلا بعد فترة وجاء صوته مذهولًا:

- "تم قبول السيد الجديد للغرفة (حامد). وجساسة".

"أحبه!"

هرش (طه) في ذقنه الكثيفة وهو يقف خارج سيكشن مادة (protection) في قسم الكهرباء بهندسة شبرا، ومن يمر عليه برفع يده محييا إياه بود وهو يرد لهم التحية بهزيديه بحركة عصبية.

أخرج عليه سجانره المكرمشة من جيب بنطاله الجيزر الضيق وأخرج منها سيجارة أشعلها بولاعته وأخذ ينفث دخانها بغضب. مر عليه أحد المعيدين بالقسم فوقف بجانبه قائلا:

- "التدخين ممنوع في الكلية".

- "أخرس!"

ابتسم المعيد الذي كان صديقه وزميله في نفس القسم منذ سنوات.
وقال:

- "لا تقل لي إن دكتور (سلاوي) طردك من جديد".

نفث (طه) دخان السيجارة كأنه يبصقه وقال بعصبية:

- "لن أنتخرج من تلك الكلية المشؤومة إلا بموت (سلاوي) هذا!"

- "اخفض صوتك كي لا نسمعنا!"

- "طظ!"

قالها بصوت عالٍ رن في أروقة المبنى ولكن لم يعره أحد اهتمامًا، فكل من في المبنى يعرف (طه) وطباعه ويتحاشى إغضابه، الجميع يعرف حكايته منذ أن كان طالبًا عبقرنا عند دخوله قسم الكهرباء بكلية الهندسة، وحصوله على المركز الأول على دفعته في السنة الأولى والثانية، والجميع يعرف أن دكتور (سعيد سلماوي) تعارك معه كلاميًا، وأن (طه) قدّم محضرًا في القسم يتهمه فيه بالسب والقذف، صحيح أن المحضر خُفظ لأن الشهود تراجعوا عن أقوالهم، ولكن (سلماوي) حكم حكمًا نهائيًا لا استئناف فيه على (طه) بأن يظل جيبسًا في السنة الثالثة من دراسته حتى يُفصل دراسيًا.

وما هو عامه الثامن في نفس السنة الدراسية يقضيه بعد أن أوصى (سلماوي) بعضًا من أساتذة القسم عليه. اعترض البعض الآخر لكن اعتراضاتهم ظلت بلا طائل، كل من دخل هذا القسم كان يعرف حكاية (طه) ويُنكر تصديقها في البداية، لكن سرعان ما يتأكد له الأمر.

كم من أصدقائه وزملاء دراسته أصبحوا معيدين في نفس القسم وبعضهم حصل على الدكتوراه، وكم منهم تعاطف معه لكن قوة (سلماوي) وسيطرته على القسم منعت الجميع من التدخل اتقاء لشره.

والغريب أن الجميع كان يستعين بـ(طه) في مشاريع التخرج وفي شرح المواد المختلفة لكافة السنوات الدراسية حتى السنة الرابعة، بل ظهرت عبقرته في مساعدة أصدقائه المعيدين في رسائل الدكتوراه.

لم ينس الجميع دخوله مباحث أمن الدولة لأيام بسبب جهاز صممه يرسل موجات إذاعية حتى 30 كيلومترا. استخدمه في التحدث مع طلاب المبنى بشكل ساخر في برنامج كوميدي لمدة ساعة يوميا. كان يتحدث فيه بحريته عما يحدث في أقسام الكلية، واشتهر لأسبوع بين الطلاب الذين استقبلوا موجته الإذاعية على راديوهات صغيرة أحضروها معهم يوميا للاستماع إليه. وخاصة أنه كان يبث برنامجه من مقهى بجانب الكلية يجلس عليه وهو يحمل جهازه ويتحدث إليهم. حتى قيل إن مباحث أمن الدولة تركته لإعجابها بعبقريته. والبعض قال لخفة دمه.

صار أسطورة بين جميع الطلاب الذين اندهشوا في بداية تعرفهم به من لحيته وحاجبيه الكثين وشعره المتطاير. الذي لا تعرف إن كان يمشطه والهواء يبعثره أم لا يهتم به من الأساس.

لكن بمجرد اقترابهم منه تنهار الحواجز ويشعر الكل أنه يعرفه منذ مولده.

انتهت المحاضرة وبدأ الطلاب في الخروج. ف جذب المعيد السيجارة من فم (طه) ورماها بسرعة وهو يجذبه ليبتعد عن قاعة المحاضرات كي لا يشتبك مع (سهماوي) كعادته.

طاوعه (طه) حتى ابتعدا قليلا.

- اتركني الآن يا (سامح)!

فألها (طه) بعصبية وهو يفلت ذراعه من بين يدي صديقه

”أرجوك لا تعد لدكتور (سماوي)“.

”لا تخف... سأعود لمنزلي“.

”كما تحب. المهم أن تبتعد عنه“.

أشاح (طه) ببده بحركة ليس لها معنى وهو يهز رأسه بالإيجاب. غادر المبنى سريعاً وهو يردّ التحية لكل من يلقيها عليه، حتى وصل إلى سيارته المصفوفة بجوار الكلية. استقلها وهو يفكر فيما سيفعل في يومه الذي أنهاه مبكراً. لم يكن ذا مزاج رائق ليكمل أبحاثه التي بدأها منذ ست سنوات في الغرفة التي يعتبرها كورشته في منزله. قرر أن يفكر في خطته اليومية عند وصوله للمنزل.

لم تكن الشقة التي يقطنها بعيدة، فهي على بعد عدة شوارع من الكلية. هي في الأصل شقة والده التي تركها له ليعيش فيها منذ ثلاثة عشر عاماً. فهو بحسب السنوات جيداً منذ تركه والده بعد وفاة أمه بالكبد.

قبل وفاة والدته كان يعيش معهما. يعود متأخراً كل يوم لكن حضوره يكفيه. لكنه فجأة بعد العزاء قرر الابتعاد والاطمئنان عليه تليفونياً.

كانت صدمة تفوق صدمة وفاة أمه مع هذا البعد المفاجئ غير المبرر. حاول استيعاب الصدمة ففضل، تركه يعيش وحيداً وهو في المرحلة الثانوية وأخبره بأنه سيسافر بعيداً في عمل مجبر عليه، وترك له ودعة بنكية بقيمة مليون جنيه تدر عليه شهرياً ما يقارب التسعة

الاف جنبه. علمه كيف بصرف نقودها وكيف يدفع فواتير الكهرباء
والغاز وغيرها. ثم اختفى.

بكل بساطة.. حتى الآن لم يفق من صدمة ابتعاده. فلم يشعر بقيمة
النقود وحيدًا. تحمل مسؤولية نفسه في وقت لم يُعد له عدته.

كان والده يُحدّثه هاتفياً كل فترة وبزوره في بعض الأحيان. حتى الأحاديث
والزيارة لم يمنعوا الكره الذي نَمى يوماً بعد يوم. لدرجة أن آخر أربع
سنوات تجاهل تمامًا كل اتصالاته. والغريب أن والده لم يزره أيضاً.
ولأنه لا يعرف شيئاً عن أقارب والده سوى أنهم من الصعيدي: فقد
حاول التقرب من أقارب أمه في البداية. لكنهم لفظوه لسبب لم
يعرفه وإن شك أن والده السبب. فعاش وحيداً يائساً لم يجد ملاذاً
له سوى لهندسة الكهرباء.

جاء موعد تجديد وديعته فجذّدها لعشر سنوات أخرى بعدما استلمها
وأصبح رصيده البنكي بجانب وديعته ذا رقم لا يحلم به أي شاب في
عمره.

قاد سيارته لمطعم (مؤمن) ليُحضر غداءه المكوّن من بعض الشطائر.
وأوقف سيارته أسفل العمارة التي يقطن بها.

صعد السلم بسرعة إلى شقته التي دلف إليها لكنه شعر بشيء خاطئ.

بمجرد دخوله وإشعاله الأنوار أحس بوجود كيان داخل الشقة. تحرك
بخطى ثابتة كي يكتسب ثقة حتى سمع لهاًناً يأتي من طرف الصالة.

نظر باتجاه الصوت ففوجي بجسد يشبه القرد يجلس مستنداً على الحائط. رفع هذا القرد يده المخلبية وقال بصوت رفيع:

"لا تؤذني فقد جنت من طرف (عباد).. أنا الجساس القديم.. خادم والدك.. رحمة الله".

"فشلت خطة قتل (اسلام) سيدي. هل تريد التفاصيل؟"

قالها الجني (للمخلي) الجالس أمام (قصعان). فهز الأول رأسه بهدوء وأشار بيده له ليرحل. نظر لـ (قصعان) المبتسم قائلاً:
"لا تفرح هكذا".

"أعتقد أن سطوتك لا تشمل عالم البشر".

ابتسم (المخلي) بسخرية واقترب برأسه من (قصعان) وقال:

"هل تعرف يا صديقي أنني توقعت هذا الفشل؟"

"حيد أن تعرف أنك فاشل".

"لا.. هناك فرق. توقعت هذا الفشل وانتظرته ولا يهمني كيف حدث. الأهم أنني أشغل أصدقاءنا في عالم البشر وأشغل (يصفيدش) بصراعات جانبية كي لا ينتهوا لتحضيراتنا لخروج الملوك من أسرهم".

"أرى أنك تستهين مرة أخرى بقوة البشر كما استهنت بها قديماً".

-البشر أغبياء. يمتلكون القوة ويخافون استخدامها".

-على حسب كلام رجالك فإن أحد البشر هو من تسبب بسجنك".

اختفت ابتسامة (المخلي) وقال:

-يبدو أنك كونت صداقات مع رجال!

اعتدل في جلسته مكملاً كلامه:

-لو كنت تقصد (اسماعيل الحلاج) فأنا لم أنسه. وعاقبت حفيده بما يستحقه".

-عاقبت حفيده وتركته (اسماعيل) نفسه في حماية (بصفيديش)".

-سبحين دوره هو الآخر. لا تشغل بالك بهذه التفاهات وحضر نفسك لليوم المنتظر. فكل شيء سيتغير للأفضل. حتى بالنسبة لك. فأنا لا أنسى فضل من ساعدني".

-سئري".

دخل فجأة أحد خدام (المخلي) مهرولاً وهو يقول:

-هناك مصيبة تحدث".

-تكلم".

قالها (المخلي) بعصبية فرد الخادم:

-الغرفة النحاسية تخلفني تدريجياً عنا مرة أخرى بعدما كانت ظاهرة".

صدم (المخلي). ولكنه تمالك نفسه بسرعة وقال:

-"حاول إرسال أحد أتباعنا ليخترق المنفذ ويدخل إليها، أريد أن أعرف ما يحدث الآن".

-"المنفذ القديم أغلق. ولا منافذ نراها حتى الآن".

-"أعجز عن الشكر يا دكتور (رقية)".

قالها (عماد) وهو يقف خارج غرفة (حازم) في المستشفى. فنظرت له (رقية) قائلة بنبرة قلقة:

-"لا داعٍ للشكر، الطبيب الذي يضمّد جراح صديقك بالداخل صديقي منذ زمن وسيلتزم الصمت حول جروحه. ما يقلقني هو ما سيحدث عندما يتابعه أحد الأطباء هنا. سيندهش من عدم إبلاغ الشرطة عن طبيعة جروح صديقك".

-"هل يمكنه الخروج من المستشفى بعد تضميد جراحه ومتابعته في المنزل؟"

-"بعد دفع فاتورة المستشفى يمكنه أن يخرج بعد أيام. جسده لن يتحمل الحركة بهذه السرعة".

نظرت حولها ثم قالت بصوت خافت:

-"هل ستخبرني الآن بما يحدث مع (إسلام) وصديقك؟"

مرر (عماد) أصابعه بين شعره وزفر متبهدًا وقال:

"اعتقد أن الموضوع يطول شرحه. حتى إن شرحته لن تصدق به بسهولة."

"بعد ما رأيته يحدث لـ (إسلام) سأصدقك أي شيء." بدأ عماد يضحك.

"هل يمكن أن أوجل الشرح الآن وأعدك أن تعرفي كل شيء غدا على الأكثر؟"

لم تعجبا إجابته ولكنها هزت رأسها متفهمة. في نفس اللحظة خرج الطبيب من غرفة (حازم) ترافقه ممرضة تحمل طبقًا. نظر لـ (عماد) ببرود ثم طلب من (رقية) أن ترافقه. ابتعد بها عن (عماد) أمتازا قليلة وقال لها همسًا:

"أرجو أنك تعرفين هذا المريض جيدًا. فقد أخرجت من جسده الكثير من الشظايا. كأنه تعرض لانفجار قنبلة."

"افتح الباب."

قال (بصفيدش) العبارة وهو يقف أمام بوابة ضخمة نقش عليها نقش لرمح طويل مقدمته على شكل عقرب. مخاطبًا رجلًا من الجان يقف أمام الباب يحمل سيفًا في نطاقه.

فتح الرجل الباب وهو ينحني لـ (بصفيدش) احتراماً، ودخل معه لغرفة ضخمة لا تحتوي إلا على طاولة في منتصفها مسجى عليها جسدان وعليهما محفة سوداء.

دخل في تلك اللحظة رجل آخر للغرفة. فأشار (بصفيدش) للحارس كي يسمح له بالعبور. وقف الرجل بجانبه وهو يتأمل الطاولة.

- "قل لي رابك في خطوتنا القادمة".

قالها (بصفيدش) فقال الواقف بجانبه:

- "لا أعرف يا سيدي لكن الوقت يمر سريعاً و (المخلي) يقترب من هدفه".

- "هل وافق المجلس بعد على طلبي لتنشيط رجالنا؟"

- "أعتقد سيرفضون، نقاشاتهم تنبئ بذلك. يرون أنها مخاطرة ستكشفهم للمخلي".

- "ورايك أنت؟"

- " (المخلي) حلم منذ زمن بمعرفتهم ليستخدمهم في تجهيزه لفتح البوابات. وأعتقد أن المجلس صادفه الصواب في خوفه من تلك النقطة".

- "أخي تعود دائماً على أن يُنقذ المهمات الهامة بنفسه. هل تتذكر كيف أتى بـ (قصعان) من سجنه البحري بنفسه؟"

- "أتذكر".

تقدم (يصفيدش) حتى وقف أمام الطاولة وقام بنزع المحفة من عليها
ليظهر جسد (يوسف) و(إسماعيل العلاج) النانمين.

-أصدر أمرًا بتنشيط رجالنا في مصر".

قالها (يصفيدش) وهو يتأمل الجسدين.

-ورأي المجلس.. هل س.."

قاطعها (يصفيدش):

-قلت لك نشط رجالنا. لا تنتظر رأي أحد. الوقت له ثمنه الآن. ويجب
أن نستعمل كل ما نعرف".

-وبعد التنشيط. هل سنطلب شيئًا محددًا منهم؟"

-لا شيء أكثر من أن يصبحوا جاهزين.. قل لي. هل وجدنا حلًا بعد
لإيقاظ (يوسف) و(إسماعيل)؟"

نظر الرجل لهما برهة وقال:

-التحتم القرنين بالجسد يفشل باستمرار".

أعاد (يصفيدش) المحفة على الجسدين ونظر للرجل وقال بجديّة:

-إحدى آمالنا في عودة (إسماعيل) وحفيده".

سمع الاثنان صوت عراك خارج الغرفة ليكنشفوا أنه أحد رجال
(يصفيدش) يتعارك مع الحارس. صرخ (يصفيدش) كي يدخل رجله
فدخل هذا الأخير وهو يصرخ:

“الغرفة النحاسية طردتنا وأغلقت منافذها لتخفي عن عالمنا والسيد
(حامد) و(رحيم) اختفوا معها عنا.”

“قل لي إني أحلم.”

فألها (حامد) ل(رحيم).

“أنت تعلم.”

“الحمد لله، كنت واثقًا.”

ضرب (حامد) بيده اليمنى على رأسه فرحًا وهو يفترق في موضعه داخل
الغرفة النحاسية، فجاءه صوت (رحيم):

“لكنك لا تعلم.”

“ألم تقل لي إني أحلم؟”

“أنت طلبت مني ذلك.”

“عني.”

“أرجوك لا تتحدث عن الغباء، فلم أكن أنا من نزلت للغرفة النحاسية
في هذا الوقت.”

فجأة توجهت دائرة خلف منضدة الغرفة، توجهت باللون الأزرق
الشفاف.

-تقدم وقف في الدائرة".

قالها (رحيم) فرد (حامد):

-يا سلام.. ولماذا لا تقف أنت؟"

-لأنك سيد الغرفة النحاسية. وبدوا أن الدائرة تناديك".

-وما أدراك بهذا!!! ربما كانت الدائرة للاحتفال ليس أكثر. من قال لك
إنني يجب أن أقف بداخلها؟ أليس هناك كتالوج لهذه الغرفة؟"

صرخ (رحيم) في أذنه:

-كفك ثرثرة وقف في الدائرة".

اشتعلت دائرة أخرى أمام المنضدة بنفس اللون فأشار (حامد) إليها قائلاً
بفرح:

-هذه دائرتك يا (رحيم) هيا قف أنت بها أولاً".

ظهر جسد (رحيم) بشكل مموه داخل الدائرة. بينما وقف (حامد) في
دائرته.

-لم يحدث شيء".

قالها (حامد) بدهشة وهو ينظر يميناً ويساراً.

- (رحيم).. هل حدث لك شيء؟"

لم يتلق من (رحيم) إجابة فكرر السؤال. فجأة اختفت معالم الغرفة من حوله.

وجد نفسه في نفس الغرفة لكن بلا أثاث أو زخارف على الحائط. وفي ركن الغرفة رجال يرتدون الجلابيب والعمائم ماعدا واحد فقط لا يرتدي عمامة. يتهدل شعره الناعم ويغطي أذنيه.

كان بشير لهم بيده كأنه يرشدهم وهم يتحدثون فيما بينهم. وهو يشير بإصبعه إلى نقطة ما في الحائط. أحدهم يحمل معه لوحة مزخرفة ويقوم بتثبيتها على الحائط الذي أشار إليه.

الجميع يتحدث بلهجة تُشبه المصرية إلى حد مدهش. أما هو فكان يتحدث العربية الفصحى بركاكة كأنه تعلمها لتوه.

- "نقش الرجل ذو العشرة أجنحة هو رمز سيد قبيلة العفاريت (الجنّاح) الذي قال لسيدنا (سليمان) (أنا أتيتك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين). ولن يتحرك النقش على الأرجح لأن (الجنّاح) وقبيلته اختفوا بعد موت (سليمان) ولم يتدخلوا في عالم البشر من وقتها".

قالها مرشدهم فسأله أحدهم:

- "هل يمكننا استدعاه لإحدى غرفنا النحاسية؟"

- "اسمعي يا معلم (جرجس). طائفة العفاريت لا تُسخر ولا تُقرن ولا تُستدعى. الجن يتحاشونهم والبشر لا يعرفون لهم طريقًا. لو تحرك هذا النقش ودخل عفرت لعالم البشر أو تعارك مع أي قبيلة من

قبائل الجان سيعني هذا أن العالم ينهار. ونصيحتي لكم ألا تحاولوا استدعاءهم. فهم قادرون على تدمير الغرف النحاسية في طرفة عين. سأقرن لكم طلسمهم على هذا النقش لكنكم لن تحتاجوا لمتابعته."

أكد (حامد) أنهم لا يلاحظون وجوده وخاصة عندما دخل رجل من فتحة في الغرفة هي موضع الباب حديثاً. يحمل بين يديه ألواحاً تملأ بالنفوش. ماراً على (حامد) بدون أن يلحظه وهو يقول لهم:

"أحضرت لكم أربعة نفوش انتهيت منها منذ قليل."

قالها وهو يعطيها للمرشد الذي تأملها قليلاً. في تلك اللحظة قرر (حامد) أن ينادي عليهم كنجارية:

"بست.. كابتن.. هل يسمعي أحدكم؟"

لم يعرفه أحدهم انتباهه. هنا تأكد مما تخيل. الغرفة النحاسية تعيد له ذكرياتها القديمة منذ بناءها ليتعلم كل شيء عن طريقة عملها.

عليه أن يحفظ كل شيء يسمعه. فهذه فرصته الوحيدة.

وصل (مهران) والعجوز إلى المنزل. أخرج (مهران) مفتاحاً كبيراً من ملبسه وأدخله في رتاج الباب وفتحه وهو ينظر للعجوز برهبة. والخيالات تدور في عقله تُزاحم الأسئلة التي تكوّنت منذ دقائق بعدما قاله للشباب الثلاثة. كان يجب أن يشعر بالفرحة لأن العجوز فضحهم لكن المشكلة الآن لا تتعلق بهم. بل تتعلق بالعجوز:

”لا تخف يا بني فأنت غيرهم“.

قالها العجوز بعدما دخل المنزل وأغلق (مهران) الباب. تسمر هذا الأخير في مكانه ودار بخلده أن العجوز قد استمع لأفكاره.

”قلت لك لا تخف.. والآن أين كرم الضيافة؟“

تغلب (مهران) على خوفه من العجوز وقال:

”اسف. يمكنك الجلوس في أي مكان ريثما أحضر لك الطعام“.

نظر العجوز لصالة المنزل فوجد مصطبة صغيرة من الطين اللبن وبضعة وسائد قديمة على الأرض. جلس على المصطبة بينما دخل (مهران) إلى غرفة صغيرة كانت خالته تضع بها أواني الطبخ وبها القرن الطيني القديم. فتح حلة صغيرة فوجد بها بعض الأرز القديم. كمية لا تكفي لسد رمق جانع. بحث عن أي شيء بين الأواني فوجد رغيفين كبيرين.

تركه وخرج من الغرفة ومرّ على الصالة متجهًا إلى باب المنزل. وهو يقول للعجوز:

”لن أتاخر عليك“.

ترك باب المنزل مفتوحًا وخرج جرتًا حتى وصل لشارع مقابل للشارع الذي يسكن فيه. فوجد (الطاهر) الذي يبيع الجبن واللبن يجلس على جانب الطريق في موضعه الذي يعرفه منذ أن وُلد. يجلس بين أواني فخارية تراصت بها قطع الجبن الأبيض ووعاء كبير يمتلئ باللبن يسبح فيه كوب فخاري صغير.

جرى عليه فقال له (الطاهر):

"ما بالك يا (مهران)؟ هل يجري أحدهم خلفك؟"

"لا يا عم (الطاهر). لكن أريد قطعنين من الجبن بسرعة."

"ومل معك شيء لتأخذ فيه؟"

خبط (مهران) على رأسه وقال:

"نسبت. ولكن هناك مشكلة أصعب من هذه.. ليس معي نقود وكنت أطمح أن تصبر علي حتى الغد."

نظر (الطاهر) إلى الأرض بحزن وقال خجلاً:

"والله يا (مهران) كنت أريد ذلك لكنني لا أملك تلك البضاعة. فأنا أبيعها وأسدد ثمن ما أبيع لصاحبها كل ليلة."

نظر (مهران) لملايسه يتفحصها. ثم تذكر فخلع طاقينه التي يبيعها وأعطاهما (للطاهر) قانلاً:

"خذ هذه وأعطني مقابلها الجبن."

مسح الطاهر يده في جلبابه وأمسك الطاقية بتأملها، فجاءه صوت (مهران) نافذ الصبر:

"لن تجد مثلها هذه الأيام. فهي هدية من شيخي."

"سأعطيك مقابلها خمس قطع من الجبن."

وضع (الطاهر) قطع الجبن في وعاء فخاري كبير. وأعطاهم لمهران
متسماً وهو يقول:

”ووعاء مدية أيضاً“.

أخذ (مهران) الوعاء وقد أفلتت منه نظرة إلى طاقيته التي تُذكره بشيخه.
وشعر بالخجل وهو يسير باتجاه منزله يؤخر رجلاً ويقدم رجلاً. ولكنه
حاول أن يقنع نفسه بأن شيخه هو من كان يقول (أكرم الضيف ولو
بعت نعليك). قال ساخراً في نفسه (ها أنا أبيع طاقيتي يا شيخي).

دخل (مهران) المنزل فوجد العجوز جالسا في موضعه ينظر إليه وبتسم.
ابتسم له (مهران) وهو يدخل لغرفة الطبخ ويفتح حلة يضع بها
قطعتين من الجبن. ثم يأخذ الوعاء الفخاري بما بقي فيه من الجبن
الأبيض ويسحب الرغيفين ويخرج للعجوز.

جلس (مهران) بجانب العجوز ووضع الطعام بينهما. وقطع أول رغيف
وأعطاه للعجوز لياكل. الفرب أن العجوز كان متسماً طوال الوقت
بلا سبب. لم يمدّ (مهران) يده في الطعام إلا لقمة أو اثنتين كأنه يُمثل
الأكل. برغم جوعه منذ الليلة السابقة. بينما العجوز يأكل بشراهة
متسماً.

”هل لي أن أسأل عن اسمك؟“

قالها (مهران) فابتسم الرجل أكثر وقال:

”اسمي القديم أم الجديد؟“

”و(حامد) اختفى داخلها“.

نهض (عماد) وهو يقول:

”هيا بنا لنعرف ما يحدث“.

ظل (يصفيدش) في موضعه وقال:

”طالما الغرفة النحاسية عادت للعمل فلا يمكنني الاقتراب منها. فلا أحد

منا يأمن غدرها. اذهب أنت وحاول أن تعرف ما يحدث. وسانتظر أنا

هنا لأطمئن على (إسلام) وأحاول مساعدة (حازم)“.

نادى (عماد) على النادل ليحاسبه فقال (يصفيدش):

”احذريا (عماد). فالأحداث تسير أسرع مما نتخيل“.

ثم أخرج من جيبه مفتاحاً أعطاه ل(عماد) وقال:

”هذه نسخة من مفتاح الشقة. حصلت عليها من مساعد (عباد)“.

ظل (طه) ثابتاً في موضعه يحمل كيس الطعام وصوت لهات الجساس

يملاً فراغ الشقة. الغربية أن (طه) كان مصدوماً بعض الشيء، لكنها

صدمة لا تتوافق مع رؤية جني لأول مرة. كأنه كان يتوقع هذا الحدث

أو كأنه تعامل مع الجان من قبل. فجأة انتبه لعبارة موت والده.

”هل مات والدي؟“

رد الجساس بصوت متقطع:

- "قتل.. وأنا سألحق به في كل الأحوال".

- "من قتله؟"

- "مارد من الجان يدعى (المخلي).. سأشرح لك ما تريد، لكن أرجوك أنقذني".

- "لا أفهمك".

قالها (طه) وهو مازال محتفظًا بوجهه الجامد.

- "أنا أعرف طبيعة تجارك".

انسعت عينا (طه) فأكمل الجساس:

- "أرجوك. لقد أصبت لحظة الانفجار الذي قتل والدك".

- "لا أرى إصابات في جسدك".

- "سيتلاشى جسدي الآن تدريجيًا وأعود لحالتي. والدك كان يتابعك يومًا بيوم وأنا من تجسست عليك. هو من ترك لك الكتب التي بدأت منها تجارك. أنا أعلم أنك تفهمني جيدًا".

فجأة تصاعد ضباب غلّف جسد الجساس الذي قال بضعف شديد:

- "افتح اليوم صور طفولتك الذي تحتفظ به في مكتبك، وأخرج صورتك التي تجمع بينك وبين والدك. ستفهم كل شيء. لكن أسرع لأنني احتضر.. والدك كان سيرفض ما أفعله لكنني مجبر ك..."

انقطع صوته مع إحاطة الضباب بجسده. جرى (طه) لغرفة مكتب والده التي حولها لغرفة مكتبه وفتح الدرج الأخير للمكتب وأخرج الألبوم.

قلب في صورته سريعاً حتى توقف عند الصورة الوحيدة التي نجمعه بوالده.. (عباد). سحبها من غلافها البلاستيكي فوجد خلفها ورقة مطوية. أخرجها وفضها ليجد خطاباً من سطور قليلة:

(جزء مني يتمنى أن تعثر على هذا الخطاب. والجزء الآخر يرفض ذلك احتراماً لرغبة والدتك التي ماتت منذ يومين. والدتك عرفت كل شيء عني قبل موتها بأشهر. اعترفت لها بالسر الذي توارثته من أجدادي، أنني كنت عليّ كما كنت عليّ والدي وجدي ومن سبقه بإدارة غرفة تتحكم بعالم الجان وترصد حركاتهم. الغرفة النحاسية. نعم يا بني فأننا أنعامل مع عالم الجان منذ علمني والدي قبل موته وأورثني سره. وكان لزاماً عليّ أن أوزنك السر من بعدي. لكن والدتك أوصتني قبل موتها مباشرة بأصعب الأمور عليّ نفسي. أن أبتعد عنك تماماً كي لا تطالك شروور تعاملي مع الجان. وحتى لا ترث ما ورثته أنا عن أبي. في الأيام القادمة سأضع وديعة في البنك باسمك. وبعدها سأبتعد عنك. لا أعرف من أين ستواتيني القدرة على ذلك لكنني لن أخالف الوصية. سامحني يا بني علي ما هو قادم. والدك).

أغلق (طه) الخطاب وأخذ نفساً عميقاً وهو يحاول أن يقاوم الدموع التي تجمعت في مقلتيه.. جرى إلى صالة الشقة وصاح:

"يا من كنت خادم أبي. إن كنت مازلت حيّاً ادخل لورثتي".

قال (طه) العبارة السابقة ودخل للورشة المليئة بالأجهزة الكهربائية والأوراق المبعثرة. وأخذ ورقة فارغة وقلماً وكتب (تردد الجسد الحالي) ثم صرخ بصوت عال:

"إن كنت معي في الغرفة قف هنا".

قالها وأشار بيده ناحية لوحين من الخشب العريض يواجهان بعضهما. تفصل بينهما مساحة فارغة تقارب المترين. وعلى كل لوح من الخشب خفر دائرية يلتف داخلها سلك عريض بشكل حلزوني مكوناً عشرات الدوائر حول بعضها البعض.

وقف (طه) بجانب اللوحين الذي يتدلى من أحدهما أسلاك تتصل بجهاز مربع الشكل لتشغيل التيار الكهربائي. أحضر جهاز (المالتيومتر) وأوصله كي يستطيع قياس شدة التيار. نادى على الجاساس قائلاً:

"إن كنت تقف سأشغل الجهاز الآن. حاول أن تقاوم المجال المغناطيسي الذي سيحيط بك".

ضغط أحد الأزرار فظهر بين اللوحين شرر كهربائي. أخذ مؤشر المالتيومتر في الارتفاع على الجهاز حتى استقر عند رقم دونه (طه) بسرعة وطرحه من حجم التيار الساري في الأسلاك وأخرج رقماً وضعه بجانب عبارة (تردد الجسد الحالي). أوقف الجهاز عن العمل وانفصل التيار الكهربائي عن الأسلاك.

جرى وهو يبحث بين الورق المبعثر بسرعة حتى عثر على ورقة كتب عليها بعض المعادلات منذ فترة. توقف عند رقم في إحدى المعادلات. وعاد لجهازه وهو يقول:

"لا تحاول أن تُقاوم هذه المرة".

كتب على الورقة أمامه (تردد الجسد الطبيعي) وقام بمعادلة بسيطة وأخرج رقماً تأمله لثوانٍ، ثم ضغط على زر تشغيل الجهاز وأدار مؤشر التيار لرقم محدد.

كانت هناك ساعة ملقاة باهمال بين الأوراق. تلك الساعة التي تُشبه الساعات القديمة التي كانت تُعلّق بسلسلة. الفرق أنه هو من صنعها من البورسلين الخالص كي لا تتأثر أثناء تجاربه بالمجال الكهرومغناطيسي. استغرق شهرين في صنعها على طريقة الساعات القديمة التي يدار زبركها كل اثني عشرة ساعة.

أدار الجهاز ليسرى التيار الكهربائي داخل الأسلاك النحاسية وH أخذ ينظر لساعته منتظراً أن تمر دقيقة وعشرين ثانية. في تلك الأثناء توهج جسد (الجسّاس) داخل الحقل المغناطيسي عدة مرات قبل أن يطفئه (طه) بعد مرور الوقت المحدد.

فجأة ظهر جسد (الجسّاس) منتصباً وقال بصوت قوي:

"شكراً يا (طه)، لقد عدت لسابق عهدي بفضلك".

"شكرك لي أن تُعرّفني بقاتل والدي".

”الآن قويت إشارتي في عالمي وسيتبعني من بطشت بهم قديما بأمر والدك. يجب أن أهرب. لاحقا سأخبر...“

انقطع حديثه فجأة عندما أدار (طه) الحقل المغناطيسي بمرود وقال بصوت عال:

”بعد نوان جسدك لن يتحمل الطاقة المنبعثة به وستنهار ذراته. لن تتحرك من مكانك قبل أن تُخبرني.“

أغلق الحقل ونظر لجسد (الجماس) وهو يبتسم:

”هل تريدني أن أكمل أم ستتكلم؟“

الفصل الثاني

قرين

تتابعت التخيلات في عقل (عماد) عما يحدث داخل الغرفة النحاسية
(حامد). كل الاحتمالات تراصت تباغا بعقله وهو يقف أمام الغرفة
يضرب بيده على نقوشها محاولاً بيأس زحزحة الباب الضخم.

صرخ منادياً باسم (حامد) لنصف ساعة بلا جدوى. توقف الزمن عنده
عند هذه اللحظة فلا هو يستطيع مغادرة المكان بدون (حامد) ولا هو
يقدر على عبور الباب.

صرخ باسم (حامد) للمرة الأخيرة بكل ما أوتي من قوة حتى يخ صوته.
فجأة سمع صوت (حامد) يأتيه من الداخل:

- "من ينادي؟"

تسفر (عماد) في موضعه من الدهشة ثم قال بأعلى ما استطاع:

- "أنا (عماد)".

- "كيف حالك يا صديقي؟"

- "افتح هذا الباب".

- "ثانية واحدة".

لم يقدر مخ (عماد) على تخيل سبب برود لهجة (حامد). كأن هذا الأخير
في الحمام و(عماد) يطلب منه الإسراع لا أكثر.

انفتح الباب فتحة صغيرة وظهر من خلفه رأس (حامد) المبتسم وهو
يقول:

”ربع ساعة وسأنتهي. انتظرني على القهوة التي على أول الشارع. قل
للقهوجي أنك جئت من طرف (حامد)، واطلب...”

لم يمضه (عماد) ليكمل جملته عندما ركل الباب بعنف بكل ما استطاع
تجميعه من قوته، لم يتفتح الباب على مصراعيه بسبب ثقله. لكن
تلك الركلة كانت كافية ليصطدم الباب برأس (حامد) الذي تراجع
متألماً.

”ما هذه الغباوة يا أخي؟“

قالها (حامد) وهو يتراجع لداخل الغرفة و(عماد) يدخلها وهو يتأهب
للصراخ فيه. لكنه توقف مذهولاً وعيناه تنسع تدريجياً تتأمل الغرفة
التي عادت لما كانت عليه ما عدا بعض الأجزاء.

”ما... ما الذي حدث؟“

قالها (عماد) ساهماً وعيناه ماتزال تتحرك في الغرفة حتى توقفت عند
موضع ما في ركنها. ضيق عندها عينيه متأملاً (رحيم) الذي ارتدى
ملابس سوداء وتضخم جسده قليلاً وأمسك بيده اليمنى سوطاً يتدل
على الأرض يُشع لوناً قرمزيًا. وسأل (حامد):

”ما الذي حدث ل(رحيم)؟“

”نيو لوك“.

نظر (عماد) بعينين لا تريان إلى (حامد) الذي تنحى وذهب ليقف خلف
المنضدة وقال:

حاول أن تتعاليك أعصابك، أنا أصعبت سيد العرفة المحاسبة
تجديد. (رحيم) هو الحماس. ولو أتى غير مرناح لاسمه. سخط
من العرفة أن نطلق عليه سونيا أسفا أوريجيال. ما رأيك باسم؟

كيف حدث هذا؟

قال (عماد) تلك العبارة مفاظفا (حامد) النبي رة بسرعة:

لا أعرف. كل ما أعرفه هو أن العرفة أخبرني أنها تعيد نفسها مرة
أخرى. ثم قالت بأنني السيد الجديد لها.

فأيا (حامد) مبتسما.

كيف!! أنت لا تفقه شيئا عن العرفة المحاسبة!

صلي على النبي. ما فائدة قطع العيش يا (عماد)؟

صرخ (عماد) بعصبية:

توقف عن مزاحك!

(رحيم). أمني الكلمات لغروج أحد أصدقائنا.

فأيا (حامد) وهو يتناول زجاجة موضوعة على الرف خلفه من زجاجات
المختبرات الكيميائية مقلقة بسعادة من الفلين أعلاها. نزع السدادة
ووضعها على المنضدة أمامه.

رأى (عماد) (رحيم) وهو يقف بجانب (حامد) ويحدثه فيقول هذا الأخير:

لياخيم كجكم أمويل سليمان.

في الدائرة المزخرفة الكائنة وسط الغرفة ظهر جثي يجلس على ركبتيه وهو ينظر يمينا ويسارا ببطء مندهشا.

- "أنت قلت الآن اظهر بحق عهد (سليمان) بقسم سرباتي قديم!"

قالها (عماد) فابتسم (حامد) بفخر وسحب نفسا عميقا ليتكلم بعمق. لكنه فجأة سعل بلا قصد.

- "كيف عرفت هذه الطريقة؟"

أشار (حامد) له لينتظره حتى ينتهي من سعاله. مرت ثوانٍ طويلة إلى أن انتهى. فنظر لـ (عماد) بعينين حمراوين وقال وهو يحاول إعادة ابتسامته:

- "الغرفة أرثني كل شيء منذ بنائها. علمت بأن هذا الموضع كان دبرا لرهبان مسيحيين يدعى دير الراهب (شمعان السانج). رأيت شابا يتحدث بلغة عربية بلكنة غريبة يساعد ثلاثة رجال على بناء هذه الغرفة."

- "من هم؟"

- "المعلم (جرجم) وراهب اسمه (ميناء) و(عبد الله). علمهم الشاب كل شيء يتعلق بالغرفة النحاسية ورأيت النقوش توضع لأول مرة وكيفية قراءة كل نقش وكيف يمكن لسيد الغرفة أن يتلاعب بعالم الجن قبل أن يهدم الدير سلم (ميناء) عهدة الغرفة لـ (عبد الله) الذي اشترى الأرض بعد فترة وبنى عليها بيته وأصبح هو سيد الغرفة النحاسية. يتعاقب عليها أحفاده حتى وصلت لرؤية حفيده (عماد)."

وكان (عماد) قد تذكر شيئاً فقال بلهفة:

"أين جثة (عباد)؟ لا تقل لي عاد للحياة!"

"ما زال ميتاً. لكن الغرفة نقلت جثته لبعدها لآخر لحياتها".

"(حامد) لن أنتظر لأراك جثته مثله. عليك بمغادرة الغرفة والابتعاد عنها. (المخلي) عرف كيف يُجبر الجاساس على إدخاله لها. وسيحدث لك مثل ما حدث ل(عباد)".

ابتعد (حامد) عن المتضدة قائلاً:

"لا تخف. لقد ابتدعت الغرفة نظام حماية جديد لها. سدت ثغرات الدخول لها وسلحت (رحيم) بسلاح جديد يمكنه من السيطرة على الجان بسهولة".

"تقصد السوط الذي يحمله بيده!"

نظر (حامد) ل(رحيم) يتأمله وقال:

"اعتقدته جبل غسيل ملون ليخفق به أعداءه. المهم. عندما يأتي (رحيم) بجثتي لن يستطع الدخول للغرفة إلا بعد أن أفتح له أنا لمنفذ عندما أراه. وهو أيضاً أرتة الغرفة كل جاساس تعاقب عليها وطرق حركته وتتبعه للجان. أنا حفظت ما استطعت من أقسام يستخدمها سيد الغرفة. و(رحيم) سيدكرني بما نسينته".

أخذ (عماد) نفساً عميقاً تبعه:

"يمكنني أن أصدق أن (يوسف) لم يمت وأن حربًا بين الجان ستبدأ
فربنا وتنتقل لعالم البشر. يمكنني حتى أن أصدق أن الهرم الأكبر بناه
المقاولون العرب. لكن أن تكون أنت سيد الغرفة النحاسية!"

"الغرفة تُعيد نفسها بعد تدميرها ومن تجده يقف في نطاقها تقبله
كسيد لها. كأنك تُعيد تهيئة كومبيوتر فقد كل بياناته وتُحمله ببرنامج
تشغيل جديد فتكتب اسمك ك admin جديد له لأن بيانات ال
admin القديم انتهت بعد تهيئة الكومبيوتر."

"إذن فقد أصبحت أنت سيد الغرفة مصادفة؟"

"ريك!"

أفلتت من (عماد) ضحكة ساخرة واتجه إلى باب الغرفة قائلاً:

"سأذهب لأخبر (يصفيدش) بما حدث، هل ستأتي معي؟"

"سأبقى هنا قليلاً لأرتب بعض الأمور."

ابتسم له (عماد) وخرج من الغرفة غير مصدق لما عرفه. أما (حامد) فقد
نظر للأرض مفكراً ثم رمق (رحيم) وقال:

"أتعرف بمن تذكرني وأنت تمسك السوط بيدك؟"

"الست محاسن الحلو؟"

"انتظر.. لقد نسينا الجني الذي حضرته."

نظر (حامد) بدهشة للجني الواقف في الدائرة ببدله النظر بدهشة
مماثلة. فجأة أخرج (حامد) لسانه يفيظ الجني الذي لم يفهم مغزى
الحركة. عندها قال (حامد) للأرحيم) بملل:

”يا (رحيم).. اشحنه على قمقمه ثانية“.

وقفت الخالة ناظرة (للخصاب) لثوانٍ طويلة والدماء تهرب من وجهها
والشحوب يغطي قسماؤها. بينما (مهران) ينقل بصره بينهما لا يدري
ما يقول.

”لماذا عدت؟“

قالها بصوت ممتزج بالخوف. فهض (الخصاب) بصعوبة وسار نحوها
وهو يقول:

”طريقة غريبة لترحني بزوج شقيقنك الغائب“.

تراجعت الخالة بسرعة وكادت أن تسقط وهي ترفع يدها أمامها لتوقفه
من التقدم. وقالت بعصبية:

”ابتعد“.

عزت وجه (الخصاب) ابتسامة ساحرة ونوف.

”ما الذي رونه زوجني عني ليرعيك هكذا؟“

”كل شيء. أيها الشيطان“.

ضحك بصوت عالٍ وهم بقول شيء لولا أن قال (مهراڻ) بارتباك: "ماذا يحدث؟ أنا لا أفهم".

"ابتعد عنه يا (مهراڻ)، ولا تقف".

"اصمعي يا امرأة".

قال (القصاب) العبارة الأخيرة بلهجة امرأة وصوت أجش قوي جعل الخالة تبتلع بقية عبارتها وهي تشهق. في حين قال (القصاب) بنفس الصوت:

"دعيني أشرح له ما حدث".

أقلت منه سعال ولكنه تماكك نفسه ونظر لمهراڻ وهو يقول بصوت لين: "أعرف أن ما تمر به في تلك اللحظة يحتاج مني محاولة تهدئك لأيام، لكن لا وقت عندي. فالمرض ألم بي منذ زمن وأشعر بنهاية العمر وأعتقد يا بني أنه حان الوقت لتعرف عني كل شيء وترث ما معي من عداوة".

قاطعت الخالة بغضب:

"تنته الآن بابنك وبالأمس أنكرت نسبه؟"

نظر لها (القصاب) بغضب وهم أن يقول شيئاً، إلا أنه تراجع ولان وجهه ثانية وقال بأسف:

"معك كل الحق في هذا، أنا أخطأت.. وتركت (مهران) مضغفة في بطن أمه وأنكرت نسبه لي. ولكنك لا تعرفين كل الحقيقة برغم ما قالته زوجتي لك".

"بل أعرف.. أخبرتني بأنك عاجز عن الإنجاب. أي كلام يُعقل هذا! رجل يعجز عن الإنجاب برغم استنطاعته المعاشرة؟"

هنا نظرت الخالة لـ(مهران) بحرج وقد أحست بأنها تكلمت بكلام لا يصح أمامه، بينما قال (القصاب) بصوت خافت:

"أنت لا تعرفين شيئاً".

خيم الصمت للحظات قبل أن يقطعه (مهران) وهو ينظر للأرض قائلاً بصوت أجش:

"ما الذي عاد بك أيها العجوز؟"

لم يجب (القصاب) لثوانٍ. إلا أنه نهض بصعوبة وهو يتنحج واتكأ على عصاه وببده اليسرى كيسه القماشي، سار حتى باب المنزل وفتحه وهو ينظر لخارجه قائلاً:

"لا وقت عندي للمجادلة. الموت ينتظرني بعد أيام أو شهر على الأكثر. يجب أن تتسلم ميراثك. لا أطلب منك العفو. بل أطلب مرافقتي حتى تتسلم كل حقوقك.. في حارة (قهبستان) ستجد منزلاً يقابل حانوت (مختار) تاجر الأعلاف. على باب المنزل ستجد نقشاً لأسد. أنتظرك هناك الليلة بعد صلاة العشاء".

أخرج من الكيس الذي يحمله صرة من النقود وقذفها ناحية (مهران) الذي تلقفها.

- "ستجد فيها ما يُغنيك أنت وخالتك. ولكنها ليست ميراثك. ميراثك أعظم من هذا. إن اكتفيت بما فيها ولم تأتني الليلة فلا حرج عليك".

غادر (القصاب) المنزل في نفس اللحظة التي فتح فيها (مهران) الصرة ليجدها تمتلئ بالجنهات الذهبية.

انتهت صلاة العشاء في المسجد فتعالت أصوات المصلين وبعضهم يتحدث إلى الآخر والبعض ينهض ليصلي صلاة السنة، وخدام المسجد ينهض ليزيد البخور في مبخرة المسجد لتعلو الرائحة الزكية في أنوف الحاضرين. نهض (مهران) بتناقل يجر قدميه والتفكير فيما حدث ظهرًا يكاد يفجر رأسه. غادر المسجد وهو يمدن قدميه في نعليه وصوت خالته مازال يتردد في أذنه يُحذره من الذهاب لأبيه وهي تستحلفه بأضرحة الأئمة ألا يذهب. رفضت أن تُخبره سبب خوفها منه ولكنها لم تهدأ قبل أن يحلف لها بما أرادت. لم يكن من الصعب عليه أن يوافقها فيما شاءت. فقلبه انقبض منذ معرفته بأن هذا العجوز الغريب والده. لقد كان يهرب من المشاكل منذ مولده فكيف يذهب إليها بقدمه هذه المرة.

ابتعد عن المسجد وهو يسير بين الحارات عائدًا للمنزل وهو يفكر في كيفية تعامله مع الجنيهات الذهبية التي صارت ملكه الآن. توقف فجأة ناظرًا خلفه وقد شعر بشيء غريب. كان هناك عينًا تتبعه. نظر

في وجود السائرين خلفه فلم يجد ما يبرر ذلك. عاد للمسير مرة ثانية ولكن الشعور راوده أكثر وخاصة وهو يمر في حارة ضيقة خالية من المارة. كاد أن يقسم لنفسه أن شيئاً ما سيحدث. عليه أن ينظر خلفه مرة أخرى. ولكن هل النظر الآن سيُبدد مخاوفه أم ستزداد؟ نظر لخلفه بترقب.

فجأة وجد (بيرقدار) خلفه تماماً يمسك بملابسه ويدفعه حتى اصطدم ظهره بحائط منزل جانبي. أخرج (بيرقدار) من ملابسه سكيناً صغيراً ووضع أمام رقبة (مهران) وهو يقول بعصبية:

- "أين العجوز الذي سرت معه اليوم؟"

شعر (مهران) بنبضات قلبه كأنها تدق في أذنه تماماً وتسارعت أنفاسه. فعاجله (بيرقدار) بضربه من مقبض السكين على وجهه وهو يُعيد السؤال. فردّ (مهران) محاولاً تمالك نفسه:

- "ذهب في طريقه. لا أعلم لأين."

عاجله (بيرقدار) بضربة أخرى بمقبض السكين وهو يقول بعصبية:

- "من الأفضل لك أن تعلم طريقه لأنه إن غادر فأنت باق. وإن لم أصل له فسأصل لك.. هيا تكلم."

تسارعت أنفاس (مهران) ولكنه نظر فجأة خلف (بيرقدار) وقال متوسلاً:

- "انقذني منه يا سيدي."

نظر (بيرقدار) خلفه بسرعة فلم يجد أحدًا. دفعه (مهران) بكل ما استطاع من قوة وجرى بأسرع ما تخيله عقله مغادرًا الحارة بلا هدى. لم ينظر خلفه ولو لمرة واحدة حتى بعدما دخل حارات امتلأت بالمارة والحوانيت. وفي عقله تبلورت فكرة واحدة.. والده.

جلس (القصاب) داخل منزله مفترشًا الأرض مواجهًا الباب. لم يتحرك من ساعة على هذا الحال. إلا من بعض السعال الذي كان يأتيه من حين لآخر. حتى من قبل صلاة العشاء وهو ينتظر. أمه لم ينقطع في أن يسمع طرقات الباب. الأوراق الباقية من عمره في دنيا البشر قارت على السقوط من شجرة الحياة. ابتسم بداخله لهذه الخاطرة. لو لم يختر هذه الحياة لعاش لمئات السنين. لكنه فضل خدمة عائلته على أن يعيش وسطهم في راحة.

طرقات الباب أنت فجأة فلم يجفل ولكنه تنفس في راحة وهو ينهض بسرعة حتى كاد أن يتعثر. لكنه تمالك نفسه وفتح الباب ليفاجأ بمهران يتصبب عرقًا بملابس غير مهندمة تحنلها بقع العرق وصوت لهائه يعلو بشكل غير طبيعي.

“ادخل يا بني وأغلق الباب خلفك”.

تبعه (مهران) لداخل المنزل محاولًا السيطرة على لهائه كأنه يريد أن يقول شيئًا ما:

”دفعت إيجار هذا المكان شهرين مقدماً لصاحبه، برغم أنني لن أعيش للشهر القادم“.

قال (القصاب) عبارته واختار مقعداً ضخماً في ركن المنزل جلس عليه وهو ينظر لـ (مهران) الواقف بارتباك قائلاً:

”خالفت توقعي وأتيت، ما الذي أجبرك على المحيء؟“

”ألم تطلب مني ذلك؟“

”طلبته وأردته بشده. لكنني أعرف في وجوه البشر، وجهك أكد لي أنك لن تأتي، فما الذي أجبرك على ذلك؟“

تراجع (مهران) خطوة وهو يقول:

”إذن سأرحل“.

”لن ترحل لأي مكان، اجلس وتعقل، وحدثني عما هربت منه؟“

نظر (مهران) يتأمل المنزل.. صالة واسعة مثل صالة منزله لكن سجاداً كثيف الشعيرات يغطي أرضها مع بعض الزخرفات البسيطة على الحوائط والنوافذ. أما السقف الخشي فتدلّت منه القناديل الملونة التي أضفت إضاءة مريحة للمنزل. بالإضافة إلى مقاعد الجلوس المبطنة وقعت عيناه على صندوق كبير من الذي يُستخدم لوضع الملابس من الخشب يمتلئ بالزخارف والنقوش.

”قلت لك اجلس وحدثني عن سبب مجيئك إلي“.

قالبها (القصاب) بحزم فجلس (مهران) على أحد المقاعد وقال بعد أن ابتلع ريقه:

- "بيرقدار) الذي فضحته اليوم مددني بسكين ليعرف مكانك. وكاد أن يقتلني لولا هروبي".

- "ولم لم تخبره بمكاني برغم نيتك ألا تراني مرة أخرى؟"

صمت قليلاً ولكن (القصاب) عاجله قائلاً:

- "لا تعرف الإجابة.. (بيرقدار) لن يمثل لك أي مشكلة في الأيام القادمة، فلا تخف وهيا لنبدأ".

- "نبدأ!!!"

- "نعم.. وستعرف كل شيء في حينه.. اذهب لهذا الصندوق وافتحه".

- "لم تركت أمي؟"

- "سأجيبك، لكن نفذ ما أقول. فالوقت هو أئمن ما أملكه الآن".

فتح (مهران) الصندوق فوجده يمتلئ بالكتب والمحابر ولسانف من القماش مغلقة.

- "اسحب محبرة وريشة وقرطاساً نظيفاً".

نفذ (مهران) ما قاله وجلس بالأشياء:

- "افتح المحبرة واغمس الريشة واكتب في القرطاس ما سأمليه عليك".

نهض (القصاب) وتغلى عن عصاه. وسار حتى وقف أمام (مهران) وهو يقول بجديّة:

"أسماء ملوكنا العلوية الموكلون بالعهد الذي أخذه (سليمان) منا على باب الهيكل، هم.."

نظر (مهران) له مصدومًا وهو يقاطعه متسانلاً:

"ملوكنا!!"

"نعم.. فأنا لست من البشرية بني. أنا من الجان. وأنت أيضًا."

انتهى الجساس من رواية كل ما عرفه (عباد) عن (يوسف) وأصدقائه وعلاقاتهم بمخطوطة ابن إسحاق و(المخليبي)، حتى توقف عند موت والده ونجاة (حازم).

"قل لي يا (جساس)، ما الذي أجبرك على عدم الهروب فجأة؟"

"قلت لك إنني أعلم بشأن أبحاثك. وأعلم أنك أخذت بصمة ترددية لجسدي عن طريق حقل الطاقة الذي صنعته."

"هل تعلم عن الهندسة الكهربائية؟"

"لا. لكن كل أبحاثك من البداية وأنا أراها تتطور يومًا بعد يوم وأعرف أن هذا الحقل من الطاقة قد أخذ ما يشبه البصمة لجسدي. يمكنك منها أن تحدد مكاني وأن تستدعيني له. غرفة والدك النحاسية تُشبه كثيرًا طريقة عمل هذا الحقل."

كان (طه) يجلس على الأرض و(الجساس) يقف أمامه داخل حقل الطافة
الغامل.

"لم ترك والذي هذه الكتب مخبأة وتمنى عثوري عليها؟"

"لا أعرف السبب لكنه حلم بدخولك لهذا العالم. برغم خوفه عليك
من ميراث الغرفة النحاسية. لكنه لم يكن ليتخيل أن تصل لما وصلت
أنت إليه."

نظر (طه) للأرض مفكرًا يستعيد أحداثًا قديمة.

(منذ ست سنوات عندما زاره صديقه (هيثم) الذي كان يُعدّ رسالة
الماجستير في هندسة الكهرباء بدأت الأحداث. (هيثم) في الأصل زميل
دفعته لكنه تخطاه بسبب دكتور (سلمانوي) الذي أوصى على (طه)
بعض الأسانذة ليظلّ في عامه الثالث في الكلية. استعان (هيثم)
ب(طه) كثيرًا في رسالته. وقد عرض عليه هذا الأخير المبيت معه في
الشقة لأسبوع كي لا يضطر لزيارته يوميًا.

في اليوم التالي أقنع (هيثم) (طه) بعد الكثير من الإلحاح بأن يستخدمها
غرفة مكتب والده. (طه) يكره هذه الغرفة ولا يُفضّل الاقتراب منها
حتى أنه طلب مؤخرًا من المرأة التي تأتي كل أسبوعين لتنظف الشفا
بالا تقترب منها تاركة الأتربة لتأكل محتوياتها إن أمكن.

هالة والده المتبقية في الغرفة ضايقته كثيرًا. حتى إنه تمنى أن تُحذف
هذه الغرفة من الشقة. في نفس الوقت لم يجرؤ على التخلص من

محتوياتها ولم يعلم السبب من قبل. فتح المكتب لزميله وأزال بعض الأتربة من على المقاعد والمكتب سريعاً.

مريوم وانان وهما يستخدمان المكتب في وضع الأوراق وبعض المراجع الأحبية التي أحضرها (هينم). في نهاية هذا اليوم طلب (هينم) أن يستخدم أحد أدراج المكتب ليتمكن وضع بعض أوراقه.

أشار (طه) بيده له أن يستخدم الأدراج كما يحب. فتح (هينم) أحد الأدراج فوجده يمتلئ بأوراق. أخرجها ليراها (طه) الذي قال:

"ضعها في أي مكان لألقيها في القمامة في وقت لاحق".

اندهش (هينم) من ردة فعل (طه) لكنه رفع حاجبيه ووضع الورق جانبا. وضع بالدرج خمسة كتب. ثم فتح الدرج الثاني ليخرج منه ثلاثة كتب ذات غلاف سميك. جذبه ملمس الأغلفة. لم يكن قد أمسك بجلد مدبوغ من قبل ولم يعرف خامة غلاف هذه الكتب. لكن ملمسها جذبه.

رفعها عالياً وهو يقرأ أسماءها بصوت عالٍ:

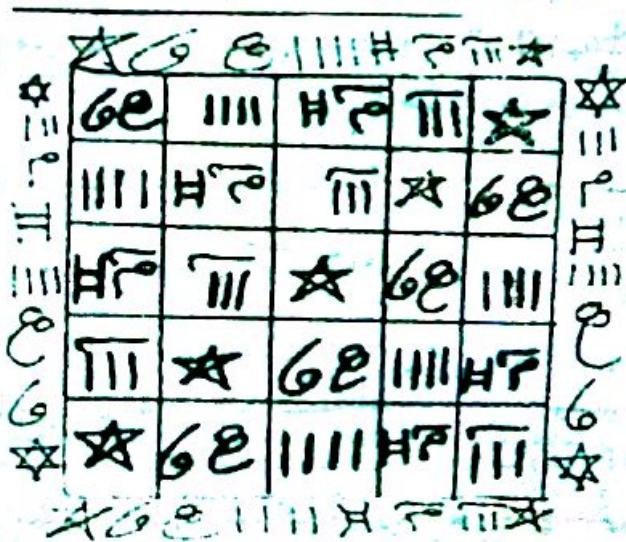
"رسائل ابن موسى الحاوي.. السحر العظيم.. رياضة ابن حيان في حديث الجان".

نهض (طه) من على مقعده وقد جذبته أسماء الكتب. أمسك هو بكتاب "رياضة ابن حيان في حديث الجان" وفتحها يتأمله. الكتاب من الداخل مكتوب بالحبر الأسود كتابة يدوية واضحة مع بعض العبارات

باللون الأحمر، ورق مقوى كُتِب عليه من وقت قريب لكن الغلاف من مادة سميكة جدًا شك أنها جلد مدبوغ.

فتح بعض صفحاته وقرأ من صفحة بشكل عشوائي يطالعها سريعًا:

(واعلم أيها السالك إلى خلوة كشف الطاهر (إلياً بن ملكان) أنك تصوم عن كل روح وكل ثقل. فإن ثقل بدنك قلت عزيمتك وضعف صبرك، فاصلب ظهرك باللبن والتمر ونواشف الخبز، وتحصين نفسك وخلوتك واذن شيخك لتنهل من مدده مدة رياضتك، وقل بعد كل صلاة بسم الله أنا الأسد سهمي نفذ منه المدد، لا أباي بأحد ولا يقدر علي أحد إلا الواحد الأحد بحق قل هو الله أحد، داوم عليها فإنها مددك عند الفتح، واكتب خاتم (ألياً بن ملكان) على جدران خلوتك كما تراه)



تأمل (طه) الرسومات لدقيقة محاولاً استنباط أي شيء يفهمه من الرموز. جاءه صوت صديقه متسائلاً:

-"كتب تحضير كما توقعت، أليس كذلك؟"

أشار (طه) برأسه علامة الإيجاب وهو يمد يده في ملبسه ليخرج علبة سجانه ويتناول إحداها ليُشعلها مفكراً. أما صديقه فقد قلب في الكتب الباقية سريعاً وهو يقول:

-"أثق أن هذا الكلام هراء. لكنني أحمل له بعض الرهبة."

-"الجن المذكور في الأديان".

قالها (طه) بتلقائية وهو ينفث دخان سيجارته ويقلب في صفحات الكتاب الذي تكلمت كل فصوله عن الخلوة. لكن في كل فصل كانت الخلوة تؤدي لشيء جديد. وكل خلوة لها شروطها وأيامها وطلاسمها. جلس (طه) على مقعده مرة أخرى وهو يجري بين صفحات الكتاب بعد أن شعر بفضول مفاحي لهذا العالم برغم عدم اهتمامه سابقاً بمعرفته.

بينما جلس صديقه على مقعد المكتب وهو يتصفح الكتابين ويتنقل بينهما بسرعة. يقرأ بضعة أسطر من كل صفحة فإن لم تستهوه قلبها، وإن أعجبتك تعمق في السطور ومزر عليها نظره أكثر من مرة ليستوعبها.

-"استمع لهذه العبارات في أول صفحات كتاب (رسائل ابن موسى العاوي) يا (طه).. (وقال الإمام الرازي رحمه الله تعالى جن عليه الليل أي ستره. وبه سمي الجن لاستنارهم واختفائهم عن الأبصار. ومنه

سُمي الجنين لاستناره في بطن أمه، أما في وصفهم ففي الجن قولان الأول أنها أحسام هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة. لها عقول وأفهام وقدرة على أعمال شاقة وصعبة، والثاني في الأرواح الفلكية المجردة، هي كما يزعم البعض أرواح عالية قاهرة قوية وهي مختلفة بجواهرها وماهيتها، كما أن لكل روح من الأرواح انبشيرة بدنًا معينًا، فكذلك لكل روح من الأرواح الفلكية بدن، وهو ذلك الفلك المعين، وكما أن الروح البشرية تبدأ أولاً بالدماع، ثم بواسطة يتعدى أثر ذلك الروح إلى كل البدن، فكذلك الروح الفلكي يتعلق أولاً بالكوكب ثم بواسطة ذلك التعليق يتعدى أثر ذلك الروح إلى كلبة ذلك الفلك وإلى كلبة العالم، وكذلك ينبعث من جرم الكواكب خطوط شعاعية تتصل بجوانب العالم وتتأذى قوة تلك الكواكب بواسطة تلك الخطوط الشعاعية إلى أجزاء هذا العالم، وكذلك بواسطة الخطوط الشعاعية المنبعثة من الكواكب الواصلة إلى هذا العالم).

انتهى صديقه من القراءة ونظر ل(طه) ليجده واقفاً ينظر إليه.

- "ما بالك يا (طه)؟"

- "ألا تجد شيئاً غريباً فيما قرأته؟"

- "الحقيقة لم أفهمه كله".

ترك (طه) الكتاب الذي يحمله وجرى إلى خارج غرفة المكتب ليأتي بمطفاة السجائر وهو يقول:

"الم تنبئه لكلام الرازي القريب من العلم الحديث؟"

قال (طه) العبارة السابقة وهو يجلس على المقعد ويضع المظفاة على
فضده وهو ينظر للأسفل بعينه ويفتحهما على الساعهما، علم
صديقه لحظتها أنه يجمع أفكاره بتركيز عالٍ كما تعود على رؤيته كثيرًا
من قبل على هذه الحال. تركه حتى يتكلم. لكن (طه) ظل ثابتًا وهو
يسعد أنفاس المسيخارة بقوة حتى انتهت وأطفأها. لم تغير نظره
عينية وهو يشول بهدوء شديد كأنه يحاول أن يسيطر على سول من
الأفكار مهاجمه.

تفسير الجن هو كل ما لم يشاهده الإنسان. أي إن إطلاق تلك الكلمة
بشكل عام فهو يعني كل ما خفي ولا يعني فقط طائفة الجن. أي إن
النبي (سليمان) عندما ذكر عنه أنه يسيطر على الجن فلم يكن
المقصود الجن الذي نعرفهم فقط. بل كل ما خفي عن أعيننا.
كالطاقة مثلًا.

"كلامك يبدو لي خياليًا."

"انتظر.. كلمات الرازي القديمة عن الخطوط الشعاعية. ألا تذكر بما
نعرفه عن الإشعاع. الطاقة المنبعثة من مادة تسير عبر الفراغ في
خطوط مستقيمة. إنها الموجات الكهرومغناطيسية التي تتحرك في
الفضاء بسرعة الضوء."
"وضح نظريتك."

ما الذي سيحدث لو أمكننا دراسة فرضية وجود الجن كشكل من أشكال الطاقة!!

فزع (إسلام) عينيه لينظر حوله بدهشة يتأمل غرفته، نهض فشعر بثقل أطرافه، وضع يده على الضمادات التي لفت أجزاء وجهه يتحسسها وهو يحاول التذكر ما الذي أتى به هنا.

نزل من على فراشه والتنميل يغزو قدميه، لكنه تعامل على نفسه وسار حتى باب الغرفة وفتحه، إحدى الممرضات جرت عليه وهي تنهره على خروجه ونظرات الدهشة تملأ عينه.

“ما الذي حدث لي؟ وما هذه الضمادات؟”

توقفت الممرضة تنظر له تحاول أن تفهم ردة فعله الغريبة.

“أستاذ (إسلام)، هل نسيت ما الذي حدث اليوم؟”

نظر للأرض مفكراً، ثم هز رأسه نفيًا.

“هيا بنا لندخل غرفتك وسأفسر لك كل شيء.”

دفعته الممرضة برفق ليدخل غرفته، ونظرت إلى المروهي تنادي على إحدى زميلاتها تسألها عن دكتورة (رقية) وتطلب منها أن ترسلها لغرفة (إسلام) حالًا.

مرت عشر دقائق حتى دخلت (رقية) الغرفة لتعبد (إسلام) بتهدئة
بعسدية مع الممرضة وهي ترد عليه بنضاد صبر. عند رؤيتها توقف
(إسلام) عن الحديث وينظر لها بتأملها

- "دكتورة (رقية)! أتحدي!"

فالتفت الممرضة وهي تلوح بيدها، تجاهلتها (رقية) وهي تركز عينها على
عيني (إسلام) المستغيثة. كأنه طفل مرتبك وجد نفسه في منزل يمتلئ
بالغرباء، وينظر لعينها طالبا منها طمأنته.

ابتسمت له فقال لها:

- "هل أعرفك؟"

كانت (رقية) قد قابلت من قبل مرضى تحت تأثير الصدمة يتخذون ردود
أفعال غريبة. لكنها لم تكن لتندهش من أي ردة فعل لـ (إسلام) بعد
كمية الغرائب المتعلقة به وأصدقائه.

- "تذكرتك!"

هتف بها (إسلام) وهو يشير إليها. فزادت انقسامها وهي تطلب من
الممرضة مغادرة الغرفة. اجلست (إسلام) على فراشه وجلست على
المقعد بجانبه وهي تقول:

"ما الذي تتذكره؟"

نظر للسقف مفكرا لحظات وقال:

"أتذكرك.. رأيتك من قبل وتحديث معك. لكن التفاصيل غير حاضرة في ذهني".

"ألا تتذكر كيف جنت للمستشفى؟"

"لا".

"ما الذي تتذكره عن نفسك؟"

"كل شيء. اسمي (إسلام...)"

توقف عن الكلام واتسعت عيناه وهو يحرك شفطيه بلا صوت يحاول أن يتذكر اسمه بالكامل.. اختفت الابتسامة من وجهه (رقية) وهي تعتدل في جلستها:

"ما هي آخر ذكرياتك؟"

"مخطوطة ابن إسحاق"

"ماذا؟"

نظر (إسلام) لعينيها طويلاً وقال بصوت خائف:

"شيء لا أدري هل يجب أن تعرفه أم..."

فاطمة قائلة:

"يجب أن أعرف كل شيء نتذكره الآن".

نهضت وساعدته على الاستلقاء على الفراش ليرتاح، وجلست مكانها مرة
أخرى قائلة:

”أحك كل شيء، ولا تخف. أنت في حالة صدمة بسيطة وتذكر المعلومات
العالقة بذهنك سيجز بقية ذكرياتك ويعيدها لعقلك.”

نظر لعينيها طويلاً والراحة تغزو عقله. وبدأ يحكي كل ما يتذكره عن
مخطوطة ابن إسحاق.

الفصل الثالث
أصدقاء قدامى

استيقظ الأستاذ (عبد الكريم مصطفى) مدرس التاريخ في فراشه فتلملت زوجته في نومها. ربت على رأسها بحنان كي لا تستيقظ فسكنت. نهض من فراشه بتناقل وهو يعدل منامته كي يتقي أثر برودة هواء الصباح. ارتدى (الشيشب) الموضوع بجانب الفراش ونهض وهو يسير ليخرج لصالة الشقة ومنها إلى الحمام ليستعد لذهابه إلى المدرسة الثانوية التي يُدرّس فيها. وقف أمام مرآة الحمام يتأمل وجهه الممتلئ وشاربه الضخم الذي تعود على تسريحه كل يوم. بالطبع لم يستطع تأمل وجهه جيدًا لأن نظارته الطبية مازالت في غرفة النوم. وقف بجانبه أمام المرآة وهو يتحسس كرشه ويقول في نفسه (النظام الغذائي الذي تخضعني له زوجتي لأفقد وزني لا يعمل بل ربما زاد وزني أكثر). وقعت فرشاة الأسنان من على الحوض إلى الأرض معدنة صوتًا صغييرًا، فقفز (عبد الكريم) فزعًا من الخوف ولكنه تمالك نفسه مرة أخرى وهو يضحك على أعصابه التي صارت منفلتة في ردادات فعلها بعد وصوله الخمسين. ساهم في ذلك أمراض الضغط والقلب التي أصيب بها.

وصل (عبد الكريم) بسيارته (128) موديل السبعينات إلى سور المدرسة وصفها بجوار الرصيف. والطلاب يسرون بجانب السور إلى بوابة المدرسة وبعضهم يلوح له فرحًا والآخر بناديه محببًا بسخرية. برغم أن الطلاب يعتبرون أن شخصيته ضعيفة في السيطرة عليهم إلا أنهم يحبونه لطيبة قلبه معهم.. لَوْح لهم وهو يجاهد ليخرج من السيارة

العميقة وبلعن الأنظمة الغذائية التي لا يستطيع السير عليها. وبلعن سيارته القديمة بصعوبة خرج من السيارة وأغلق أبوابها جيداً ثم فتح غطاء السيارة وفصل عنها بطارية الكهرباء لأنه يعرف أن عمرها الافتراضي انتهى منذ عام ولو تركها موصولة لأكثر من ساعة للهدنت وسبعناح لشحنها مرة أخرى.

دخل المدرسة والطلاب يتبارون للسير بجانبه وتعينته. وبعضهم يلقى تعديرات ضاحكة فيبتسم لها رغماً عنه وهو يحاول أن يرسم الوفاق على ملامحه. كان يحبهم برغم استخفافهم به في بعض الأحيان. ويشعر أنهم يعرضونه عن الأبناء بسبب فقدته للقدرة على الإنجاب. ون جرس طابور الصباح في نفس وقت دخوله فجرى الطلاب من حوله ليلحفوا بالطابور. رأى من بعيد أستاذة (زينب) وكيلة المدرسة وهي تحمل الجرائد اليومية كعادتها، فلوح لها ككل صباح بيده فلوح له بالجرائد. من أكثر من عشرة أعوام وهي تشتري الجرائد في طريقها للمدرسة وتقرأها. وفي الفسحة المدرسية يأخذها (عبد الكريم) ليكمل قراءتها.

بعد نهاية الطابور اتجه إلى حمام المدرسين وهو يفكر في أن يشتري اليوم الكشري ويكسر النظام الغذائي بلا علم زوجته. مرة واحدة كل يومين ولن يلاحظ أحد. ألقى تعباً الصباح على بعض المدرسين السائرين من حوله حتى وصل لباب الحمام المفتوح. دخل فانغلق باب الحمام من تلقاء نفسه. توقف لشوان وهو ينظر له بدمشة. أشاح بيده بلا اهتمام وهو يتجه إلى إحدى الدورات. سمع صوت أحدهم وهو يحاول أن يفتح باب الحمام من الخارج ويفشل ثم يطلق سبة بصوت

منخفض. ولكنه سمعه ورحل! جرى (عبد الكريم) وهو يحاول فتح الباب من الداخل، ولكن المزلاج علق ولم يعد يدور. شعر بسخونة تلفح ظهره فرفع رأسه للأعلى وفمه ينفتح لا إرادياً من الخوف والدهشة. صوت كفتح الأقفال يأتي من خلفه، ابتلع ريقه ونظر خلفه ليرى دائرة من الدخان بلا رائحة.

"لا.. لا يمكن".

فألها برعب وهو يتراجع للخلف ويصطدم ظهره بالباب. انقشع جزء من الدخان ليظهر خلفه كائن متوسط الطول يحمل قرنين صغيرين أعلى رأسه ووجه مثل وجه القرد. يقول:

"كيف حالك يا صديقي؟ لم أرك منذ - م ونصف تقريبا. وبعمر سنينكم هنا.. اثنان وعشرون عامًا".

تسارعت أنفاس (عبد الكريم) وهو يقول بيأس:

"ليس بعد كل هذه الأعوام!"

ابتسم الكائن قائلاً:

"أجهزياً (سعيد) فلقد عدت للخدمة".

"تم تغرف يا والدي؟"

ابتسم (القصاب) وقال:

في البداية لن تصدق. ثم سأريك بعض الأدلة فتصدم. وبعد زمن
ستقبل هذا. والآن اكتب وتعلم ما سأمليه عليك وستعرف تفاصيل
كل شيء، أثناء التعلم. اعتبرني مخرفاً مؤقتاً حتى يظهر لك الحق. ولن
نحمر شيئاً. بل سأهيك أسرار عالم الجان. والآن اكتب"

شعر (مهران) أن عليه الاعتراض ولكنه تراجع لسبب لم يعلمه ونظر في
القرطاس وكتب ما يمليه (القصاب):

"روفبائيل. جبرائيل. سمائيل. ميكائيل. صرفبائيل. عنبائيل.
كسفائيل."

جلس (القصاب) بجانبه وقال وهو يتأمل الفراغ أمامه:

"في حضرة (سليمان) يرافقه صاحب حكمة الدهر (أصف بن برخيا)
وبحضور كل عائلات الجان من كل مكان. حكى لي جدي عن هذا
اليوم. عندما أخذ ملوك الجان من كل بقعة العهد السليماني بخدمة
أسمانه."

ابتسم (القصاب) وهو مازال ينظر للفراغ. لكنه نهض فجأة فرخا وهو
يقف في صحن الدار بصحة لا تناسب هيئته. وهو يشير لبقعه قائلاً
بعماس:

"كان (سليمان) يقف هنا بكل عظمة وفخر يرتدي أبيه ما رأى قومي من
ملابس وعلى رأسه تاج جواهره من الأبيض والأسود. وخلفه يقف
(أصف بن برخيا) يحمل قرطاس العهد ليختمه ملوك الجان. يقفان
وحدهما أمام باب الهيكل بلا جيش ولا حرس."

ثم جرى بنفس الحماسة ناحية طرف صحن الدار وقال مشيرًا:

”وهنا وقف ملوك الأيام بجانب الملوك العلوية والسفلية. وهنا وقف ملوك الغيلان الخمس. بجانبهم الرؤوس الأربعة من أسياذ الجان (مازر. كطم. طيكل. قسورة). وأمامهم وقف سيد العفارىت (لاقيس الإلبيسى) الذي لم يخضع هو وعشيرته لكائن من كان من قبل (سليمان) وحتى من بعده. إن ظهر لبشر تصدع عقله من توه. نبعث عنه وعن قبيلته (الجاناخ). جانًا وبشرا. بلا فائدة“.

ثم أشار لبقعة أخرى والحنين بعزوه صوته:

”أما هنا فقد وقفت عائلتنا من الجان تشهد على هذا اليوم. يوم أن تبدلت حياة الجان بكل طوائفهم“.

”كيف تبدلت؟“

شعر (مهران) بسخافة سؤاله في هذا الوقت. ربما فضل أن يترك والده لجنونه يروي خيالاته. لكن حتى تلك الخيالات أصابته بالفضول لمعرفة بعض الأمور. وكان والده ينتظر أن يتفاعل معه (مهران) ولو من باب المجاملة: اعتدل في وقفته وقال:

”علمنا (سليمان) و(أصف) ما غير حياتنا. علمنا كيف نختلط بعالم البشر لنستفيد منه ونطور لنواكبه. الغيلان المشهورون بالحرب والحيل علمهم كيف يتخفون في شكل بشر لفترات طويلة وكيف يبذلون مظهرهم بكلمات ينطقونها. واستخدمهم كجواسيس قبل بدء الحروب ليختلطوا بين الناس ويجمعوا المعلومات. وعلم الملوك

العلوية والسفلية كيف يزيدوا من قوتهم بكلمات ينطقها البشر
فنتغذى عليها لتطيل أعمارنا".

سار (القصاب) حتى وقف أمامه وهو يكمل بنفس الحماسة:

"تعلمنا وقف الحروب بيننا والاستقرار والبناء والسلام. كل شيء تعلمناه
كان مقابل خدمة خانمه ومن يستخدمه من بعده".

فجأة انحنى ظهره وتهذل صوته وغزا الحزن ملامحه وهو يجلس بجانب
(مهران) ويقول بخيبة أمل:

"ومات (سليمان) ورحل (أصف) فعدنا لسابق عهدنا من البطش. لكن
الفرق.. أننا عدنا أقوى مما كنا".

سيطر الصمت لحظات طويلة عليهما و(القصاب) ينظر بحزن أمامه
و(مهران) لا يدري ماذا يقول في مثل هذا الموقف. ولكن (القصاب)
قال بصوت جاد فجأة:

"أكمل ما كنت تكتبه. أسماء ملوكنا العلويين هل دوتها؟"

"نعم".

"دُون عندك. أسماء الملوك السفليين الموكلين بخدمة العهد (الملك

مذهب. الملك مرة. الملك برفان. الملك شهورش. الملك بهوتر. الملك

زوبعة. الملك ميمون).. أعرف أن أسماءهم غريبة عليك. ستعتادها".

"ما الذي سأجنيه عند معرفة أسمائهم؟"

سؤال جيد في أولى دروسك. لكن قبل إجابته يجب أن نعرف مع من نتعامل. عالمنا ينقسم لمنطقتين. ملوك تحكم مليارات الجان في مناطقنا. وهم من يجب أن نتعلم أسماءهم. وملوك تحكم منطقة أخرى لا صلة لها بنا. أشكال الجان لها أقرب للقوقازيين البشر. أما الملوك الذين أخبرتك بأسمائهم فلا حكم لهم علينا فعلياً.

“ما معنى مليارات؟ وكيف تقول ملوكًا بلا حكم؟”

قالها (مهران) والغباء يرتسم صريحًا على قسماته. فابتسم (القصاب) قائلاً:

“سأعلمك فيما بعد كل شيء عن الأرقام، لكن أريدك أن تعرف بأننا كجان في عالمنا من المستحيل أن نتصل أو نرى هؤلاء الملوك. لأنهم وهبوا أنفسهم لخدمة البشر بعد العهد السليماني. لكن في نفس الوقت لهم قوة في عالمنا من خلال خدامهم الذين لا نعرف طريقة عملهم حتى الآن.”

مز (مهران) كتفيه وقال:

“لا أفهم.”

اعتدل (القصاب) في جلسته وتنحنع وهو يقول:

“الملك برقان مثلاً هو الموكل عند البشر بالصرع والتلبيس وغير ذلك. فإذا أراد رجل من البشر أن يضرع عدوه فما عليه سوى أن ينطق بدعوة خاصة بالملك برقان فيصرع العدو. أما الجنّي فمهما قال من

دعوات وتعاونيد فلن يستجب رجال الملك بركان. يجب أن ينطق بها بشري".

"أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فهمت عما تتكلم. أنت تريد تعليمي السحر. أي الكفر!"

تنفس (القصاب) محاولاً السيطرة على أعصابه وبلع ريقه وهو يقول:

"يا بني السحر المحرّم هو المؤدي إلى الشر. كأن تستخدم البارود في الدفاع عن منزل. أو تستخدمه في الهجوم على منزل رجل بريء. هل تحرم البارود؟ غير هذا وذاك أنا لا أعلمك السحر. أنا أعلمك ميراناً من الأسرار التي حفظتها لأعيش في هذا العالم وأخدم عائلتي".

"أنا لن أتحمّل تلك التخاريف مرة أخرى. جئت إليك لتساعدني في حل مشكلتي وها أنت تتكلم منذ..."

كان (مهران) يقول العبارة السابقة وهو ينهض ويلقي بالقرطاس والريشة بجانبه. ولكن صوت (القصاب) الحاد أوقفه وهو يقول له أمراً:
"اجلس!"

توقف (مهران) متحفظاً حتى أكمل (القصاب):

"اجلس قليلاً وسأريك حلاً لمشكلتك. وهذا آخر ما ستسمعه مني الليلة. وغداً إن لم تفلح طريقتي فلا تأتي مرة أخرى".

جلس (مهران) بشك فقال (القصاب):

”دُونَ مَا سَأَقُولُ فِي قِرطاسٍ جَدِيدٍ وَاكتَبَ عَلَيْهِ مِنَ الأَعلى . (توكيل الملك برفان بالصرع)”

تأكد من أن حالته نائمة كي لا تسمعه. جلس بعدها في غرفته وأخرج من جلبابه القِرطاس الذي أملاه عليه والده أمس وراجعته مرة أخيرة بعدما حفظ كل حرف به طوال الليل. نظر أمامه وهو يتذكر تحذير والده بأن عليه أن يصرف عمار المكان قبل أن يتلو دعوة الملك (برقان). أخذ نفسًا طويلًا ليكسبه ثقة يفتقدتها في تلك اللحظة المتهورة. ثم قال فجأة:

”يا غموش. يلفموش. الغموش. مرغموش. إيلغموش. مرش. مريوش.
جل الجليل صاحب الاسم الكبير. الأرض بكم ترجف والرياح بكم تقصف والأودية بكم تخفق والجبال بكم تنزل وأسماء الله نار محرقه محيطه بكم يا عمار هذا المكان. وإلا فتنزل ملائكة عليكم من السماء بشهب من نار فتقطع منكم الأمعاء. وتترككم مطروحين ملعونين مصروعين. الله الله الله. الكلام كلام الله والعبادة عبادة الله والأمر أمر الله ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. أيها الملك طارش ليس لكم منه راحة حتى ترحلوا من هذا المكان. أعزم عليكم يا معشر الأرواح والأعوان أن تنزلوا على عمار هذا المكان بالسلاسل والأغلال في الأعناق بالهيبه والوقار. اسمعوا وأطيعوا واطردوهم وأبطلوا حركاتهم واذهبوا بعمار هذا المكان وحرسمهم وعبالهم من طريق الخدام. وسيروا في خدمتي حتى ينتهي عملي هذا.”

دقة واضحة سمعها (مهران) من داخل غرفته. مصدرها مجهول لكنها العلامة على رحيل عمار المكان كما أخبره والده. جرى على المكان الذي يحتفظ فيه بالريشة والمحبرة وأخرجهما وهو يرسم ما دونه في



الترطاس بيده اليسرى المرتعشة على باطن كفه الأيمن..

شعرهالة تحيط بيده بسبب هذا الطلسم الذي رسمه، ولكنه تمالك أعصابه مرة أخرى وهو ينفخ حتى يستقر الحبر على مسام جلده. مر الوقت وهو مازال ينفخ الهواء حتى شعر بأنه يتهرب من الإقدام على الخطوة التالية. جلس على الأرض ويده اليسرى المرتعشة زادت في -ركتها وأنفاسه تسارعت.

نهض وهو يقول مغمضًا عينيه:

-بسم الله.. أقسمت بالأسماء السريانية على خدم (برقان) أن يتلبسوا يدي بالسمع والطاعة ويتهضوا إلى ما أمرتهم بالقوة والاستطاعة، بحق صاحب جبل الدخان الراكب على الفيل المتعمم بالثعبان. بعزم روديانيل العفريت الهارب من قمقم سليمان. تلبسوا الكف وفرقوا الأصابع وأصرعوا من تجبر عليّ وغلب. بركة جيش عصاب بن

الشمالقة سكان الجبال والعيون الغائرة. عيطوش عيطوش لبطوش
ليطوش أروايوش أروايوش أحب يا برقان بخدمك ورجالك وتلبسوا
يدي."

لم يحدث شيء! اتهم نفسه بالغباء. كيف يُصدّق أن يحدث...
فجأة. سمع صوتًا يأتي من بعيد، صوت حوافر خيول. يتعالى الصوت
كل ثانية ويصبح أكثر وضوحًا. كأن تلك الخيول تقترب. تهادت لأنفه
رائحة لا هي بالزكية ولا هي بالمقززة. صوت الحوافر يقترب من أذنه
حتى سمعه كأنه داخل غرفته. ثم صمت وزادت الرائحة.

تفرقت أصابعه فجأة رغماً عن إرادته. حاول ضمهم فتنفروا بقوة أكثر.
فجأة لانت أصابعه. هذه هي علامة تلبس يده. تعال صوت أنفاسه
الخائفة هذه المرة وهو ينظر لأصابعه بفرع. لقد حدث نصًا ما أخبره
به والده.

عند هذه اللحظة تغير كل شيء. لقد امتلك لأول مرة قوة حقيقية. نظر
لباب غرفته ثم إلى يده وابتسامة ترسم على شفتيه رغماً عنه.

مرت نصف ساعة وهو يدور في الحارات والشوارع باحثًا عن (بيرقدار).
تعجب الجميع من مظهره وطريقته في السؤال. أقسم البعض أن
عينيه أصبحت أكثر قوة وعمقًا. ومشينته القديمة بدلت بأخرى واثقة
بطينة كأنه مصارع (كشتي) يتهادى في ساحة القتال أمام الجمهور.
كان يضم يده اليمنى في شكل قبضة لفتت نظر البعض.

بعد الكثير من البحث سمع صوت (بيرقدار) ينادي عليه وهو يقف أمام
مفهمى يعرج بالجالسين. التفت إليه ونظر إليه وابتسم.
لا يعرف (بيرقدار) الذي أخبره أحدهم أن (مهران) يبحث عنه. لم
ارتك عندما رأى تلك الابتسامة. لم تكن متوقعة منه بأية حال.

افترب (مهران) بثقة حتى أصبح وجهه مقابلاً لوجه (بيرقدار) الذي نظر
لقبضة يده اليمنى المغلقة ولم يفهم.. رفع (مهران) قبضة يده اليمنى
وفتحها في وجهه فرأى الطلسم المرسوم عليها:

-توكلوا يا خذاء الطلسم بصرع مطلوبيني هذا-.

قالها (مهران) وهو يضع يده على كتف (بيرقدار) الذي شعر بشيء يضغط
على رأسه ثم فقد الوعي وجسده يتقوس على نفسه عكس إرادته.
ورعشات متتالية تجتاح أطرافه.

ظل على هذه الحال لثوانٍ حتى جرى رواد المقهى يحيطون به مضطربين.
أما (مهران) فقد ابتعد ليسير في طريقه مبتسماً وهو يقول بصوت
خافت:

-أخرجوا من يدي فإنكم مأذونون وعليكم بركة من أسياذكم وحكامكم.
أدوناي أدوناي. أنكبر أنكبر. على بساط الأسماء انصرفوا دون تأخير.
بع بع أشليم أشليم سلام سلام-.

جاءه صوت جرس الباب داخل حلمه. فتح (عماد) عينيه فشر بالأم بف
رقبته وظهره. تذكّر أنه كان يقرأ في بعض كتبه ليلاً بمكتبه عندما
غلبه النعاس ونام على المكتب. رن جرس الباب ثانية فانتبه له ونهض

بصعوبة كي يحافظ على توازنه من السقوط عندما انخفض ضغط دمه فجأة بسبب نهوضه المفاجئ.

تثاب وهو يخرج لصالة الشقة. فتح الباب فطالعه (حازم) تُغطي وجهه بعض اللصقات الطبية و(قاصيم) يقف بجانبه. فاحتضنه بقوة.

”كيف خرجت من المستشفى؟“

دخل (حازم) وهو يقول ساخراً:

”(بصفيديش) زارني أمس في المستشفى وقام بما يحسن القيام به.“

جلس فجلس بجانبه (عماد) يهز رأسه بتساؤل. فقال (حازم):

”أعاد لي عافيتي.“

”هذه البساطة؟“

ضحك (حازم) و(قاصيم) يقول بالعربية:

”ملوك العشائر وكبارنا يستطيعون التأثير على المخ ليفرز كمية جديدة من الأندروفين بشكل ثابت لأيام فينتهي الألم تقريباً.“

أكمل (حازم):

”ألا تتذكر عندما سار (حامد) على قدمه المكسورة مبكراً؟“

”طبعاً.“

”قدم (حامد) كانت قاربت على الشفاء. نفس الفكرة معي. لم يشف جراحي لكنه أنهى ألمها فأمكنني التحرك مبكراً.“

- "هل تعرف كيفية التعامل مع الغرفة؟"

قالها (حازم) بسخرية لا تخلو من الدهشة. فقال (حامد):

- "لقد أرتني الغرفة كل ما يتعلق بها عندما نصبتني سيدها".

فهمه (حازم) بينما ظهر جثي غريب الشكل عند مدخل غرفة المكتب.

وجهه خدم (قاصيم) الرماح إليه لكنه قال بسرعة:

- "سيدي (يصفيدش) يطلب منكم مقابلته أمام مشرحة زينهم الآن. الغول

الذي حاول قتل (إسلام) مازال حيا".

ثم نظر ل(حامد) وخفض رأسه احترامًا قائلاً:

- "تحية لسيد الغرفة النحاسية وجساسة".

ثم أفلتت منه ضحكة وهو يقول:

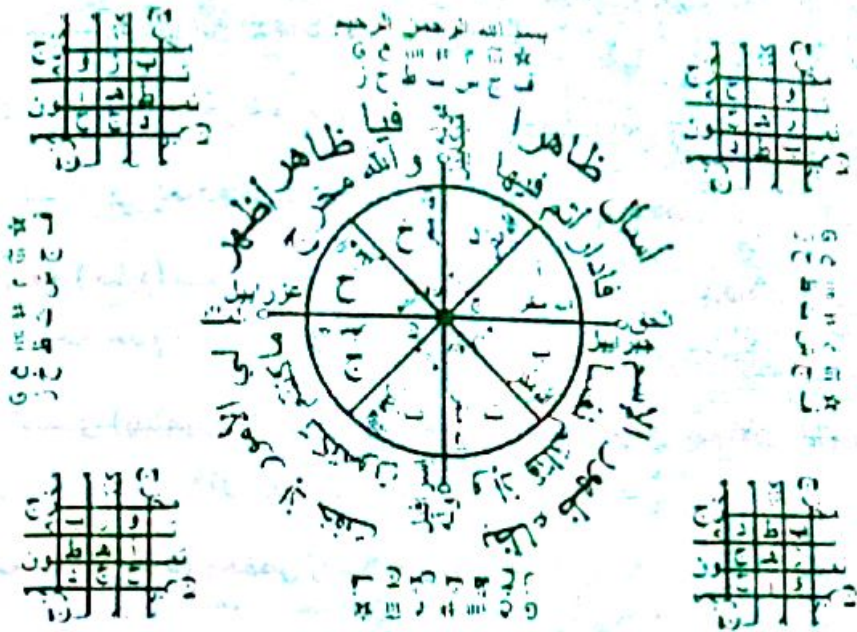
- "سيدي (يصفيدش) ببارك لك على موقعك الجديد".

- "لم يضحك الجميع عند ذكر الغرفة النحاسية؟"

قالها (حامد) بغضب. فردّ عليه (حازم) مبتسماً:

- "يضحكون عند اقتران اسمك بها".

- "الكحكة في يد اليتيم عجيبة!"



انتهى (طه) من الطلسم الذي أملاه عليه (الجساس) أمس، رسمه بحجر أحمر عادي على أرض الصالة بعدما أزاح السجاد، ثم نقل ألواح الخشب الجديدة التي اشتراها أمس وظل طوال الليل يحفر داخلها شكلاً حلزونيًا يسمح بوضع سلك نحاسي أكبر حجمًا من الذي يستعمله في تجاربه، لوحان مربعان أبعادهما ثلاثة أمتار طولًا وعرضًا.

صنع لكل لوح مسندًا، ونصب اللوحين ليقابلا بعضهما ليصنع مجالاً كهرومغناطيسيًا أقوى من السابق. أوصل الألواح بأجهزته لقياس التيار الكهربائي والتحكم فيه.

أخرج الورقة التي كتب عليها الاستدعاء الذي أخذه أيضاً من الجسار وتأمل كلماتها التي تعود عليها من قبل. أحضر بعض أوراقه من ورشته والتي تمتلئ بمعادلته التي عمل عليها لسنين.

ابنسم لنفسه عند رؤية بعض المعادلات التي عمل عليها قديماً وهو يتذكر كيف تعرّف على هذا العالم.

(مريومان بعدما اكتشف (طه) الكتب في مكتب والده، وصديقه يجلس بجانبه أمام الكمبيوتر وهو يتصفح مواقع تتكلم عن الجان في التراث. "انظر هنا".

قالها (طه) وهو يشير لشاشة الكمبيوتر، فقرأ صديقه بصوت عال:

"يقول ابن مسعود إن الله تعالى خلق نارين فمزج إحداهما بالأخرى فأكلت إحداهما الأخرى وهي نار السموم. وهي جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم. وهي نار تكون بين السماء والحجاب. لا دخان لها. والصواعق تكون منها".

أمسك (طه) هنا ببضعة أوراق كان يُسجّل فيها ملاحظاته وجرى بعينيه بينها حتى وصل إلى ورقة وقال وهو يفنظر لها:

"لدينا هنا نوعان من النار تم ذكرهما في القرآن. نار تحتاج لمصدر اشتعال. مثل الآية القرآنية (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نازلاً فإذا أنتم منه توقدون) وآية (أقرايتم النار التي تورون أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشنون). وهي النار التي نعرفها، والنوع الثاني ذاتي

الاشتعال كما فهم الأقدمون وهي نار السموم. التي نعرفها من وصف
التدماء بأنها معادل الكهرباء في عصرنا).

قلب في الأوراق حتى وصل إلى ورقة جديدة وقرأ منها لصديقه:

"روى أبو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول
الله خلق الجن ثلاثة أثلاث. فثلث كلاب وحيات وخشاش الأرض. وثلث
ريح هفافة. وثلث كبني آدم لهم ثواب وعليهم عقاب.. أعتقد أنه عندما
تحدث عن خلق الجن في هذا الحديث قصد بها خلق كل ما خفي عن
العين. لذلك فالنوع الثالث حددهم الرسول بأن لهم ثواب وعقاب
أي إنهم عاقلين".

"وبقية الأنواع؟"

"انتظر سأبحث عن شيء".

نواب على الكمبيوتر وصفق بيده انتصارًا وهو يقول:

"كلمة هفافة في لسان العرب في مادة ههف. الهفاف: البراق. براق
صيفة مبالغة فعال أي برق قوي شديد الضياء واللمعان.. كل ما
قابلنا سابقًا يشير إلى أن تكوين الجن لا يصح إلا إن كان نفس
التكوين الكهربائي. أي إن أجسامهم طاقة كهربائية. وهذا يفسر لي كيف
يؤثرون في أجسامنا".

"كيف؟"

"هل قرأت عن التشريح من قبل؟"

اعتدل (طه) بمقعده وقال:

”جسدك يستقبل المؤثرات الخارجية كاللمس مثلاً. يُحوّلها إلى نبضات كهربية ويرسلها عن طريق الأعصاب التي تُمثل الحبل الذي يستقبل ويرسل تلك الإشارات الكهربائية للدماغ. هل تفهمتي؟“

ابتسم صديقه وهز رأسه بالإيجاب. فأكمل (طه):

”لو أعطى المخ إشارة كهربية لأي طرف كيدك مثلاً. لو كانت الأعصاب مجرد ناقلة إشارات لتلاشى تردد الإشارة تدريجياً حتى تصل ليدك. لكن الأعصاب نفسها تخلق نبضات كهربية لتُحافظ على الإشارة. وفي نفس الوقت لو قمت أنا بلمس يدك الآن فإن أعصابك تُحوّل تلك اللمسة لإشارة كهربية كي تنقلها لمركز الإحساس بمخك. لو اختلف التنظيم المطلوب في ذبذبات الموجات الواصلة إلى الدماغ يحدث الصرع“.

”هل تقصد أن الجن هم المسؤولون عن الصرع؟“

”لا أعرف. الصرع هو نشاط كهربى زائد يظهر في رسم المخ. لو كانت مادة الجن هي الكهرباء ويستطيع إصدار نبضات كهربية فيمكنه إحداث الصرع عن طريق زيادة الذبذبات الكهربائية في طريقها للمخ“.

هنا اتسعت عين (طه) وطرقع إصبعه وهو يقول:

"الجن لا يدخل جسدك ليتلبسك. يكفيه أن يؤثر عليك إن كان بجانبك. لو أردت أنت أن ترفع يدك اليمنى للأعلى فأمرت مخك بإرسال الإشارة الكهربائية ليدك. سيقوم الجني باعتراض النبضة المرسله ويغيرها لنبضة جديدة تأمر يدك بالتزول لأسفل".

"أنت تفترض".

"لكنه افتراض منطقي. تخيل إن كان جسد الجني من الكهرباء. سيفسر لك قوتهم التي تتحدث الأساطير عنها. تخيل أنهم يعيشون معنا لكن في بعد آخر بسبب طبيعة أجسادهم التي تكوّنت من الطاقة. هل يمكننا أن نسخرهم عن طريق الطاقة نحن أيضاً؟ تخيل معي ما الذي سيحدث لو استطعت تغذيتهم بالكهرباء؟"

أخذ (طه) نفساً عميقاً وهو يخرج نفسه من ذكرياته القديمة. اعتدل في وقفته وأخرج ساعته الخاصة وملاً زنبركها وضبطها. سمى الله ثم قرأ بصوت عالٍ وهو يقف بجانب الطلاسم التي كتبها على الأرض والتي وضعت على جانبيها ألواح الخشب. فتح الورقة وقرأ بصوت رخيم هادئ:

"أقسمت عليكم بقسم خطف الأرواح المكتوب عند كرسي العرش السليماني. بحق طهر فقليش فقليش أندريوش أندريوش تبغات تبغات طليوت طليوت. أجب يا نيطروش سبوح قدوس ربنا رب الملائكة والروح. أجيئوا أيتها الأرواح الموكلون وتوكلوا بخطف (سنان بن عازم بن سفار) بحق الاسم الذي أوله ال وأخره ال وهو ال شلع يعيوبه به واه أه بتكه بتكفال بكعي بصعي مميال مطيع لك يا ال

جل زريا و زريال. توكلوا بخطف هذا العارض وأحضروه لمقامي. الوحا
الوحا الوحا.. العجل العجل العجل.. الساعة الساعة الساعة..
الطاعة الطاعة الطاعة".

برغم أن الجساس كان مجبرًا على إخباره بالمعلومات إلا أنه كان يثق أنه
أعطاه العزيمة الحقيقية لخطف رجل (المخلي) الأول (سنان بن
عازم). لذا بعد أن انتهى وضع يده عند مفتاح تشغيل الحقل
الكهرومغناطيسي.

وسط الطلسم المرسوم ظهر ظل طويل رفيع لرجل حرك رأسه يمينًا
ويسارًا. ضغط هنا (طه) مفتاح تشغيل التيار الكهربائي. انتشر الحقل
الكهرومغناطيسي وأحاط بالظل الذي فشل في الخروج من دائرة
الطلسم.

"أعرف أن ذبذبة صوتي تصلك يا (سنان)".

قالها (طه) وهو يتكلم بصوت عالٍ. ظهرت ملامح لوجه (سنان) تدريجيًا
فقال (طه) بنفس نبرة الصوت:

"باختصار كي لا أطيل عليك، أريد أن أعرف موعد فتح البوابات
وموضعها ومكان الفتاة التي اختطفتم، وقبل أن تتكلم أريد أن أريك
احتياطيًا شيئًا ما".

نظر لساعته وضغط زرًا جديدًا فانتشر شرر كهربائي حول (سنان)
وتداخل حتى بدأت شرارات كهربية تخرج وتدخل جسد ذلك الأخير.

مرت خمس وأربعون ثانية ثم أطفأ التردد الكهربائي الذي أنشأه. ظل التيار الكهربائي مغناطيسي كما هو بينما (سنان) يجلس على ركبتيه وقد ظهر بقية جسده. فقال (طه) مبتسماً:

- "أعرف أنك ستحاول فك الحزام الكهربائي المغناطيسي المحيط بك. لكنك ستستغرق وقتاً طويلاً حتى تجد ثغرة لتنفذ منها. وقبل أي محاولة سأفضي عليك في خلال دقيقة".

- "من أنت؟"

قالها (سنان) بصوت رفيع مرهق. فوضع (طه) يده بجانب الزر وقال:

- "ليس من شأنك، هيا اختريين الحياة والموت".

- "حان موعد الزيارة".

قالها (حامد) لـ (حازم) وهو ينظر لساعته. فهض الأخير من مقعد الانتظار بالمستشفى يتبعه (حامد). الذي قال وهما يصعدان درجات السلم:

- "لكن لم أأخذ (يصفيدش) الفول؟ اعتقدت أنه سيقتله".

بصوت خافت رد عليه:

- "الجن الآن في حالة استعداد للحرب. كل من يعمل للجهة التي نعاديك هو كثر. يجب استجوابه لا قتله".

- "لوانتهت تلك الحرب بانتصار (المخلي) هل سنتضرر كبشر؟"

توقف (حازم) عن الصعود ونظر له (حامد) مفكراً:

- "لا أعرف... لكن لا أحبذ الانتظار حتى يخرجوا. عالم الجن كعالم البشر.
لا يجب أن تسيطر طائفة على الجميع."

نظر له (حامد) وعيناه تتسع. ثم قال فجأة:

- "لم أفهم مقصدك."

تركه (حازم) وراءه وصعد الدرجات وهو يبرطم بكلمات بتعجب بها من
عمل (حامد) كسيد للغرفة النحاسية. حاول هذا الأخير اللحاق به
حتى وصلا غرفة (إسلام). فتح (حازم) بابها ليجد (إسلام) يستند على
فراشه ويتحدث مع طبيبته (رقية).

دخلا الاثنان وأغلق (حامد) الباب. فجأة انفتح الباب مرة أخرى من
خلفهما ودخل قرين (إسلام) ليمسك بملابسهما من الخلف. تكهرب
الجو ونهضت (رقية) شاهقة. بينما تملص (حامد) من قبضة القرين
وهو يرمي نفسه على الأرض صارخاً:

- "صلي على رسول الله."

رفع (إسلام) يده أمامه قائلاً بفرع:

- "انتظرياً هذا."

تصلب القرين وعيناه في عيني (إسلام). فتمالك (حازم) نفسه وهو ينقل
عينيه بين (إسلام) الراقد على الفراش. وقرينه الذي يمسك بقميصه
من الخلف. حرك (حازم) شفثيه ببطء يطلب من (قاصيم) التصرف.

فجأة تحرك القرنين مرة ثانية وهو يحيط بيده اليمنى رقبة (حازم).
فصرح (إسلام) مرة ثانية به أن يتوقف. فتوقف قبل أن تسحق يده
رقبة (حازم).

مرت بضع ثوانٍ على الجميع وهم متجمدون، قبل أن يقول (إسلام) كأنه
ينوئل لقرينه:

- "ابتعد عنهم".

فجاء اختفى القرنين حرفياً كأنه لم يكن، تنفس (حازم) بقوة بعد أن
اختفى الضغط من على حنجرتة.

- "قرينك العاري هذا مجنون!"

قالبها (حامد) عندما نهض وهو ينفض الأتربة عن ملابسه. كانت (رقية)
كما هي واقفة وفمها مفتوح دهشة.

- "وكيف يظهر قريني بهذا الشكل؟"

قالبها (إسلام) بدهشة، فنظر (حازم) ل(حامد).

- "هل تتذكرنا؟"

قالبها (حازم)، فرد (إسلام) بسرعة:

- "طبعاً يا (حازم)".

نظر (حازم) ل(رقية) بشك. فقال (إسلام):

- "أعرفك (رقية)، حكيت لها كل شيء، فتكلم أمامها كما تحب".

”حكيت كل شيء!! لماذا؟“

لاحظ (إسلام) اللهجة العدانية التي تسربت لعبارة (حازم). لكنه نظر ل(رقية) وقال:

”هذا (حازم) الذي أخبرتك عنه.. الذي يمتلك جنينًا يدعى (قاصيم). وهذا هو (حامد).“

”أمتلك أنا أيضًا جنينًا.“

قالها (حامد) مفتخرًا، بينما زادت العدانية أكثر في نبرة (حازم) وهو يقول:

”لم تجب على سؤالي!“

”لا أعرف يا (حازم)، ربما ساعدتني (رقية) على التذكر أو إيجاد حل طي لمشكلتي.“

”لقد علمت من (بصفيديش) بحالتك.“

قالها (حازم) وهو يجلس على مقعد بجوار الفراش، بينما جلست (رقية) على الفراش وظل (حامد) واقفًا وهو يلعب بإصبعه في أنفه.

”من (بصفيديش) هذا؟“

نظر (حازم) لرقية وقال:

”(بصفيديش) شقيق (المخلي بن ذاعات).. يساعدنا على إنقاذ (حبيبة) وهزيمة (المخلي).“

”ما الذي حدث ل(حبيبة)؟“

قالها (إسلام) بلهفة وهو يعتدل على فراشه.

"هل (حبيبة) هذه هي الفتاة التي كانت مع (إسلام) لحظة الحادث؟"

قالتها (رقية). فهز (حازم) رأسه بالموافقة. لترد عليه:

"لقد سألت عنها (إسلام) أمس ونسى كل شيء عنها وعن الحادثة اليوم."

نظر (حازم) لـ(إسلام) متأملاً. وقال:

"(حبيبة) خطفها (المخلي) لمكان لا يعلمه جان ولا بشر. لكن الآن يجب

أن نعرف الأهم. ما حكاية فقدان ذاكرتك التدريجي هذا. وما أمر ذلك

القرين؟"

رفع (إسلام) عينيه للأعلى كأنه يتذكر شيئاً. ثم قال:

"لا أجد نفسي أعاني من فقد أي معلومات. أشعر أن كل شيء في رأسي

كما هو."

"هل تتذكر صدبك (يوسف)؟"

"طبعاً."

"هل تتذكر كيف تعرفت عليه؟"

هز رأسه نافية بخيبة أمل. فردت (رقية) بسرعة:

"حالة (إسلام) لم أسمع بمثلها من قبل. فهو يتذكر تفاصيل عن حياته

بشكل عشوائي من الماضي والحاضر. سأطلب فحصه على يد طبيب

أمراض عصبية لتتأكد من...."

قاطعها (حازم):

- "لن يفيد، المسألة على الأرجح تتعلق بقرينه الذي انفصل عنه".

- "لولا أنني رأيت ذلك الوحش لما كنت صدقت ما يقوله (إسلام).. ولو أنني لم أهضمه كله، إلا أن ما رأيته يكفي.. كأنني.. كأنني في حلم!"

قالتها (رقية) وهي تُحرك يدها بارتباك. كأن الكلمات التي تخرج من فمها لا تُسَعفها على شرح إحساسها.

- "ما الذي ستفعله عند مقابلة أهلك اليوم؟"

قالها (حامد) فردت (رقية) وهي تهز كتفها:

- "يجب أن أخبرهم أنه يعاني من فقدان ذاكرة مؤقت. أرجو أن يتفهموا لو نسى بعضهم وتذكر الآخرون".

- "ويجب أن يخرج اليوم أو غداً على الأكثر".

قالها (حازم) فكادت (رقية) أن تردّ عليه. لولا أنه أكمل:

- "قد ينسى (إسلام) ما حدث بيننا هذه المرة ويستدعي قرينه فيقتل أحد المرضى بالخطأ".

- "لكن جروحه تحتاج لمتابعة وربما لتدخل جراحي".

- "فليعد للمستشفى مستقبلاً. لكننا الآن يجب أن نعرف كل شيء عن قرينه وعن ذاكرته".

- "ألم تلاحظوا شيئاً؟"

قالها (حامد) فانتبه الجميع له. حينها أكمل بجديّة:

"بمجرد دخولنا جاء فرين (إسلام) ليقبض علينا، وعندما أمره (إسلام)

بالوقوف أطاق أمره. لكنه أكمل هجومه على (حازم) فجأة عندما

طلب مساعدة (قاصيم).. هل يتعلق الموضوع بخدامنا من الجان؟"

"تفصّل ان الفرين يهب لحماية (إسلام) عند ظهور أي جان عدائين أو

تابعين لخدمة شخص؟"

قالها (حازم) فرد (حامد):

"وعندما شعر بتحرك من (قاصيم) خالف أمر (إسلام) ليحميه."

"تخيل لي أنه يمتلك ذكاء خاصًا به."

نظر (حازم) ل(إسلام) وهو يقول:

"يجب أن نخرج من المستشفى سريعًا. لنعرف أكثر عن فرينك ومدى خطورته."

الفصل الرابع

ابن ذاعات

"شعور ممتع أليس كذلك؟"

قالها (القصاب) الجالس على مقعد في منزله. فرد عليه (مهران) وهو يجلس على مقعد بجانبه:

"صدقت".

"لقد كذبت في عمري على الكل إلا أنت".

قالها بجدية تختلط بالحزن.

"كيف؟"

"اتذكر عهد (سليمان) الذي أخبرتك عنه من قبل؟"

هز (مهران) رأسه إيجاباً. فأخذ (القصاب) نفساً طويلاً وقال:

"بعد أن أخذ (سليمان) العهد علينا. علم كل قبيلة منا سزا حديداً.

قبيلة الغيلان كانوا يتمبرون في حروبهم مع الجميع بسرعتهم في تعبير

اشكالهم وصفاتهم البدنية. ولكم كانوا يمشون في الشكل لمظهر

بشري كامل لا يتم ملاحظته. فعلمهم كيف يتحولون لبشر كاملين

بسهولة وكيف يعودون لحالتهم الطبيعية مرة أخرى إذا أرادوا. لأن

التحول لبشر لفترة طويلة يحتاج لقوة كبيرة كي يحافظوا على

اشكالهم. (سليمان) علمهم كيف يستمرون لأيام بنفس الشكل

البشري واستخدمهم كحواسيب يرسلهم لحوش أعدائه ليستغلوا

أحوالهم العسكرية كي يضمن أن يستطعمهم بخطوات. أما نحن. بقية

عائلات جهان. فقد تعلمنا الكثير. كان يظهر في عالم البشر بشكل

مادي لفترة قصيرة جداً لا تتعدى ساعات أو يوماً على الأكثر. وفي أكثر الحالات يتم ملاحظتنا بسبب أن طبيعتنا وحركتنا تختلف عن طبيعة الإنسان. فنصح كالبقعة السوداء في الثوب الأبيض. والمشكلة هي أن التحول المادي يرهقنا ويعرضنا للإصابة بأمراض لم نعتدها أجسادنا. ورب مرض بسيط لا يؤدي الإنسي يؤدي لهلاكنا في ساعة إن حملته أجسادنا. هذا غير أن التحول من حال إلى حال يرهق أجسادنا ويستنفدنا أكثر من الغيلان. حتى مات (سليمان) وتحارب الجان على كثره من الكتب التي تركها. وقد نالت بعض العائلات القليل من الكتب تعلموا منها طرق كثيرة وأسرار تخص الجان. بعضها تحدث عن تحول الجان لبشر. تحولاً لا يدوم يوماً أو اثنين. لكن يدوم كامل العمر.

-ميزة تتفوق على الغيلان-

نهض (الفصاب) بلا عصاه وذهب ناحية صندوق الكتب والأدوات وفتحه وهو يقول:

-العكس هو الصحيح. هذه الطريقة لا ينتقل بها الجان للعالم المادي لفترة ويعود لطبيعته مرة ثانية. لا. بل يظل بشراً حتى الموت-

أخرج القرطاس والمحيرة والريشة ووضعهم بجانب (مهران) وعاد للجلوس:

-ما المشكلة في تحول الجان لبشر لبقية العمر؟-

ابتسم (الفصاب) بركن فمه الأيسر بسخرية قائلاً:

“أعمار الجان مثل أعمار البشر في العموم، منا من يموت عند السبعين أو الثمانين، أو يصح معمراً ويموت في المائة. لكن الشرق أن العام الواحد عندنا بخمسة عشر عامًا من أعوام البشر”.

اتسعت عينا (مهران) بينما (القصاب) يكمل حديثه:

“بمجرد أن يتم التحول النهائي لبشر تصبح أعمارنا مثل أعمارهم. تسرى القوانين علينا بشكل أكثر حدة، لذلك عندما قررت بعض القبائل والعائلات كعائلي العمل بتلك الطريقة اعتمدوا على التطوع، لأنك تختار الموت والمرض والغربة بكامل إرادتك في سبيل حماية عائلتك وقبيلتك، عندما تكمل العشرين من أعمار الجان يمكنك التقدم للمهمة. عندما يتم تحويلك لنفس العمر من البشر، تصاب في أول أعوامك ببضعة أمراض ليكون جسدك البشري مناعته ضدها، وفي بعض الأحيان تموت متأثراً بها فيضيع كل شيء، وإذا قاومت عليك بأن تبدأ حياة جديدة باسم جديد وفكر جديد، تندمج وسط البشر كواحد منهم، وتزوج منهم، لكن لن تنجب، وهذا أحد عيوبنا، نطفنا لا تصلح لرحم فتيات البشر”.

صمت (القصاب) ليرى حاجي (مهران) وهما يعتقدان، وقال:

“ولأنني أحد هؤلاء المتحولين، فعندما حملتك أمك تركها بعد أن اعترفت لها بجزء من الحقيقة.. وبعد أن اتهمتها بالخيانة”.

“وما الذي غيّر رأيك؟”

حمل صوت (مهران) التحفز وهو ينطق بالعبارة، فرد (القصاب) بسرعة:

”لأنك لا تحمل قريناً.. مثلي“.

”ماذا!!!“

”عدت لأرى زوجتي قبل موتي لأن ما بيننا تعدى الزواج ووصل للحب.. فوجدتك.. ولم أجد لك قريناً. هذه علامتنا. نتحول لبشر لكن لا نحمل قريناً. وانت تحمل العلامة. إذن أنت ابني. لا أعرف كيف حدث هذا. فتلك أول حالة نعرفها عن تزاوج جني ببشرية وإن كان هناك أسطورة قديمة حول رجل سبقك لكنها بلا تأكيد.. راقبتك حتى علمت كل شيء عنك. وقررت تحميلك ميراثك كي تعرف من أنت وما الذي تفدر عليه“.

لم يتكلم (مهران). فقال (القصاب) بهدوء:

”أعلم يا بني أن ما تسمعه أكبر من قدرتك على الاستيعاب أو التصديق. لكنها الحقيقة. أنت ابن رجل من الجان تحول لبشر“.

انتظر (القصاب) كي يتكلم (مهران) لكنه لم ينطق وظل محافظاً على وجهه الخالي من التعبير. فصمت (القصاب) هو الآخر محترماً صمت ابنه

”أكمل حكايتك عن الجان“.

لم يكن هذا الرد الذي توقعه (القصاب) في تلك اللحظة. توقع بعض الأسئلة من (مهران) عن حالته. توقع التأنيب. توقع الرفض. لكن تلك البساطة صدمته. لكنه أكمل في هدوء:

- كل قبيلة - وبعض العائلات- يُحوّلون القليل من الجان لبشر لخدمتهم في المستقبل. يتم التحويل بشكل سرّي فلا يعرف المتحوّلون بعضهم البعض. يتابع كل متحوّل رجل من الجان يُكلّف بأن يكون همزة الوصل بينه وبين عائلته أو قبيلته. وإن مات الجنيّ المسؤول عني أو قُتل لسبب ما يحرم عليّ الاتصال بهم وتفقدني عائلتي."

- "وما سبب كل هذا التكنم؟"

- "لحمايتنا.. مهماتنا في عالم البشر كثيرة. كلها تختص بالولاء لعائلتنا

- "ممن تحتمون؟"

- "الكل.. الجان لا يستطيعون نطق التعاويذ والعزائم أو كتابة الطلاسم. فإن نطق الجنيّ العزيمة لا يجيبه خدامها لأن عهدهم مع سليمان يجبرهم على خدمة البشر فقط. لذلك ننطق نحن ما تريده عوائلنا وقبائلنا. إن خُبس أحد الجان نقسم على الملوك لتحريره. وإن قامت حرب بين عائلتي وعائلة أخرى عزمّت على أعدائنا من الجان ليموتوا. لو تجرّ أحد السحرة على عائلتي وقد كان متحصناً من الجان. قتلته بيدي رجلاً لرجل."

- "إذن فأنت قاتل؟"

انتفض (القصاب) وهو يصيح:

- "قاتل وسارق ومرّوع لأجل مهمتي."

صاح (مهران) به كما لم يصح من قبل:

- "وما ذنبي في كل هذا؟"

- "ذنبك أنك ولدي. ويجب أن تتعلم ما يحملك!"

- "يحميني ممن؟"

- "من الجميع."

قالها (القصاب) بأعلى صوته ثم سعل بقوة باصقًا بعض الدماء على يده التي وضعها على فمه.

هب (مهران) واقفًا ليرى لا شعورنا على كتف (القصاب) قائلًا بلطف:

- "ما بالك؟"

نظر (القصاب) للدماء ثم رفع رأسه وهو يقول بجدية:

- "اقرب أجلي.. اجلس وتناول قرطاسك وربشتك واكتب ما سأمليه عليك."

أطاعه (مهران) بلا نقاش وسمع (القصاب) يقول:

- "طلسم وعزيمة التزيف."

استقر (بيرقدار) على فراشه منذ ساعات زانغ العينين لا يتحدث إلا قليلًا. تجلس بجانبه أمه بعدما حمله بعض الرجال إليها، لم تتمالك نفسها عندما علمت بصرعه في الطريق. وما هي تجلس منذ ساعات تُحدّثه ولم تفهم منه شيئًا.

دخل أبوه الغرفة بعدما عاد من عمله بالجباية. كانت الأم قد حاولت أن ترسل له أكثر من شخص ليحضر لكنها فشلت لتنقله الدائم بين الأسواق. بمجرد دخوله نهضت الأم تُحدّثه بصوت خافت بما حدث. فأشار إليها بالخروج وجلس هو على طرف الفراش.

ربت على قدم ولده بحنان وقال:

"قل لي ما حدث اليوم؟"

"لا شيء".

"أمك تقول إن الجميع شاهدك تتحدث مع فتى في عمرك قبل أن يُعشى عليك. ما الذي قاله الفتى؟"

لم يرد. اقترب أبوه منه أكثر وهو يقول:

"لقد ربيتك وأعرفك أكثر من نفسك. وجهك يقول إنك تخطط للانتقام من هذا الفتى.. أليس كذلك؟"

ظل على صمته فأكمل الأب:

"هذه المرة لن أمنعك، بل لك مساعدتي إن أردت. لكن يجب أن أعرف التفاصيل".

"اتركني لأنام يا أبي".

قالها (بيرقدار) مغمضًا عينيه وهو على نفس وضعه. فربت الأب على رأسه وتركه.

مرت عشرة أيام على بدء تعليم (مهران). وقد باع ثلاثة عملات ذهبية مما تركه والده فأصبح في بسر من العيش. وأحضر طبيبًا شهيرًا لخالته وأقنعا بأنه يذهب يوميًا إلى حانوت العطارة كي لا يثير الشبهات عن مصدر نقوده. بينما يذهب من الصباح إلى المساء إلى دار والده ليتلقى العلوم. كل يوم يطبق بعض ما تعلمه. إما مع والده أو وحيدًا في غرفته.

هذه المرة خرج من منزله يحمل حجابًا حول رقبته صنعه لنفسه ليجرب طلسمًا جديدًا. كان في طريقه لوالده يفكر كيف يجزيه. حتى لاحت له امرأة في الأربعين تقف أمام بائع فاكهة. اقترب منها وقرص مؤخرتها فنظرت بسرعة خلفها لكنها لم تر شيئًا. تلفتت يمينًا ويسارًا واستعادت بالله من الشيطان وعادت تنظر للبائع مرة أخرى. هذه المرة صفعها على مؤخرتها فانتفضت وهي تنظر للوراء فلم تر أحدًا. لم تتحمل فأغشي عليها وهي تشهق.

سار (مهران) حتى وصل لمنزل والده وطرق الباب. بمجرد فتح الباب قال (القصاب) وهو يضحك:

"اخلع حجابك يا بني".

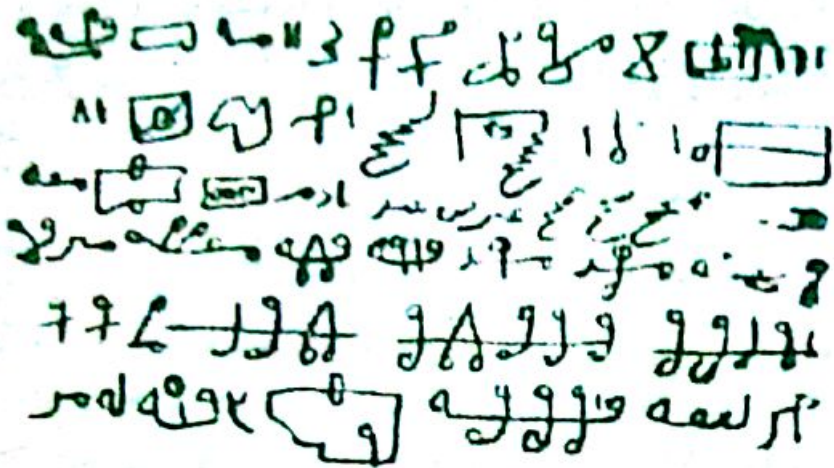
ظهر (مهران) في صحن الدار فجأة حافيًا وهو يخلع الحجاب عن رقبته. تأمله (القصاب) مبتسمًا وقال:

"تسير حافيًا لتجرب طلسم الإخفاء؟ أراهن بعمرى أنك جريته على الفتيات".

"امرأة واحدة.. كيف عرفت على أية حال؟"

"لأنني كنت سأفعل المثل.. ناولني الحجاب لأناكده"

أخذه وفضه بحرص وهو بنامله..



"خطوطك مرتعشة يا بني. يجب أن تتمرن على كتابة هذا الطلسم أكثر من مرة. واستخدم عودًا من الخشب لتضبط رسوماتك."

اقترب (مهران) منه بينما (القصاب) يُشير بأصابعه إلى بعض الكلمات في الطلسم. أعطاه الحجاب وهو يتجه لمقعده ليجلس ويقول:

"قل لي أسماء الدعوات والأقسام التي حفظتها عن ظهر قلب."

جلس (مهران) في موضعه المعتاد على المقعد المجاور له وهو يعد على أصابعه قائلاً:

"من الأقسام حفظت (قسم خطف الأرواح). (قسم خلخلة الهواء).

(قسم الزجر). (قسم الإضمار).. ومن الدعوات (الدعوة الجلجوتية).

و(الدعوة اليهودية). و(دعوة الطهاطيل). و(دعوة السبوح). و(دعوة المرتل)."

هو (القصاب) رأسه مشجعاً حتى انتهى (مهران) من عبارته. فقال:
"بالطبع أنت تعرف العمل بالطلاسم وتصاريف الأيام لكل قسم ودعوة".
"اعرف".

"اليوم سأعطيك الدعوة البرهنية بلا تصريف. اكتب وراني".
فتح (مهران) المحبرة ووضع الريشة الجديدة بها وهو يفرد القرطاس على
المسند الخشي كعادته.

"برهنية برهنية. كرير كرير. تنلية تنلية. طوران طوران. مزجل مزجل.
بزجل بزجل. ترقب ترقب. برهش برهش. غلمش غلمش. خوطير
خوطير. قلنهود قلنهود. برشان برشان. كظهير كظهير. نموشلخ
نموشلخ. برهيولا برهيولا. بشكيلخ بشكيلخ. قزمز قزمز. أنغللبط
أنغللبط. قبرات قبرات. غباها غباها. كيدهولا كيدهولا. شمخاهر
شمخاهر. شمخاهر شمخاهر. شمهاير شمهاير. بكهطهونية
بكهطهونية. بشارش بشارش. طونش طونش. شمخاباروخ
شمخاباروخ".

سعل (القصاب) وزاغت عيناه للحظات وهو يحاول أن يظهر بمظهر
الهادئ. لكن صوته المبحوح خانه وهو يكمل قائلاً:

”هذه آخر دعوة أعلمها لك من الدعوات السرانية. ستجد في هذا الصندوق قراطيس وكتب تمتلئ بالأقسام والدعوات. وسأعلمك طرق نطقها بسهولة. أحضر قراطيساً آخر واكتب ما أقول.”

كانت الحالة الصحية للقصاب تزداد سوءاً يوماً عن الآخر. ولذلك فإن (مهران) لم يراجعه أو يكسر له كلمة، هذه المرة قرّر بعد أن تنتهي جلسة اليوم أن يقاتحه في فكرة أن يأتي له بطبيب.

”اكتب ورائي. كي تضبط التعازيم السرانية نطقاً فلتتبع الآتي. إن كان ثنائياً فافتح الأول واكسر الثاني مع التنوين مثل (قش). وإن كان ثلاثياً فإن كان بعد الأول ألف نحو (شال) أو واو مثل (طوح) فالأول مفتوح والثاني ساكن. وإن كان رباعياً فإن كان بعد الأول ألف فالثالث مكسور والرابع مجرور مع التنوين مثل (ماجد). وإن كان بعد الأول واو فالأول مرفوع والثالث والرابع أيضاً مع التنوين مثل (طورش). وإن كان بعد الأول ياء فالأول مفتوح والثالث مكسور والرابع كذلك مع التنوين مثل (حيلة). وإن كان بعد الأول حرف صحيح فالأول مفتوح والثاني ساكن والثالث منصوب والرابع مجرور مع تنوين مثل (هشش). إن كان خماسياً وكان بعد الأول حرف من حروف العلة والرابع حرف علة كذلك فحكمه حكم حرف العلة من الرباعي مثل (خيلود). وإن كان سداسياً أو سباعياً فإن كان الثالث والخامس حرف علة فحكمه حكم ما تقدم في ضبط ما قبل حروف العلة. وما خالف غير ما قلت فهو شاذ.”

سكت (القصاب) يلتقط أنفاسه ناظرًا إلى (مهران) والأخير يبادل له نظرة
إشفاق. كاد أن يحدنه لولا أن رفع (القصاب) يده مانعًا إياه من
الكلام وقال بوهن:

- "لا يعلم سر وجودك غيري".

- "وجودي!"

- "أنت أول ابن بشري لجان. لو علم قومي بوجودك أشك أنهم سيتركونك
لحالك".

- "أنا مجرد بشر طبيعي".

اعتدل (القصاب) في مقعده بضعف قائلاً:

- "لا يا بني. أنت غريب في عالم البشر وغريب في عالم الجان. علمتك ما
علمتك لأحميك من بطش العالمين. أنت خطر على أحدهما. ولكن لم
تظهر خطورتك بعد".

- "ما الذي يجعلك تُقرّر هذا؟"

- "قلبي.. قلبي هو ما ينبئني بهذا يا ابن (شادق)".

- "(شادق)؟"

- "نعم يا بني. فأنا (القصاب بن شادق)".

تأكد (بيرقدار) من انشغال أمه في غسل الملابس وتحرك بخفة حتى دخل لغرفة نوم والده. فتح صندوق الملابس بحرص شديد باحثاً عن (غدارة) والده. وجد صندوقها النحاسي. أخرجها وأعاد الملابس كما كانت بهدوء. عاد لغرفته ونبضات قلبه تتسارع. صحيح أنه فكر في خطته الأيام السابقة عشرات المرات لكن وقت التنفيذ فكر بالتراجع كثيراً.

عليه أن يردّ الصاع صاعين لمهران. لكنه لن يشتبك معه وجهاً لوجه مرة ثانية. فمهران اكتسب قوة غريبة. على ما يبدو أنها من العجوز الغريب. صرعته بمجرد لمسه. لذا يجب أن تكون المواجهة على مسافة أسته تحفظه مما قد يحدث له إن اقترب منه. راقبه الأيام الثلاثة السابقة من أبعاد مسافة وهو يسير من منزله صباحاً إلى منزل آخر ويغادره بعد صلاة العشاء. هناك مرة وحيدة لم يره وهو يغادر المنزل. لكن الغريب أنه عاد لمنزله ليلاً.

فتح العلبة بحرص وأخرج المسدس المزخرف وكيس البارود الأسود وثلاث طلقات. كان يعرف طريقة تعمييره بالنظر. والتي كانت بسيطة.

ما كان ينقصه هو تحديد كمية البارود التي يجب أن يصبها في الماسورة. فتح كيس البارود وصب بعضه بالتقريب. ثم أخذ قطعة من القماش دائرية صغيرة من العلبة ووضعها على حافة الماسورة واضعاً الطلقة فوقها. أخرج عصا الضغط من المسدس وكبس بها الطلقة لداخل الماسورة بحرص حتى استقرت فوق البارود. أغلق العلبة وأخفاها تحت فراشه بينما أخذ طلقتين وكيس البارود وخبأها في ملابسه مع المسدس.

لم يبق له إلا تنفيذ آخر جزء من الخطة.

خرج (مهران) من منزل والده ككل ليلة محمر العينين من كثرة التركيز فيما يكتب ويقرأ. يحمل كبسه القماشى الذي يحوي ما يدونه كل ليلة وكتاباً أو اثنين يعطيه والده له. سار بخطى متهادية وهو يعبر حارة نغروق في الظلمة بلا قناديل أمام منازلها. خرج منها لحارة أخرى ذات بضعة قناديل والناس تملأها.

دخل زفاق جانبي فجأة لم يكن في خط سيره كل ليلة. دخل خلفه (بيرقدار) وهو يخرج كبس البارود من ملابسه ويفتحه ويتناول المسدس. توقف (مهران) عن السير وابتنسم وهو يقول بصوت وصل (بيرقدار):

"أعرف أنك تراقبني كل يوم. لكنك هذه المرة التزيت أكثر من اللازم".

ارتعشت يد (بيرقدار) وهو يسحب مطرقة المسدس للخلف ويضع أمامها بعض البارود ليساعد على الانتقال الاشتعال لداخل ماسورة المسدس. وقع بعض البارود أرضاً لكنه لم يعبأ.

"ما الذي تنوي عليه اليوم. قتلي؟"

قالها (مهران) ساخراً وابتنسامته تزداد وهو يلتفت لبواجه، لتتجمد الابتسامة على وجهه وهو ينظر للمسدس الذي بصوبه (بيرقدار) نحوه. لم يكن في نية هذا الأخير قتله. بل اعتمدت خطته أن يصيب قدمه برصاصة تصيبه بالعرج بقية عمره. وجه (بيرقدار) ماسورة

المسدس ناحية قدم (مهران) والمسافة بينهما لا تتعدى الستة أمتار. نظر في عينيه وضغط الزناد لتتحرر المطرقة المطلقة شرارة الاحتكاك التي أشعلت البارود. ما لم يحسب له (بيرقدار) رد فعل المسدس الذي ارتفعت ماسورته للأعلى عند خروج الطلقة وصوت الفرقة يشبه انطلاق قذيفة المدفع.. يبدو أن البارود أكثر من اللازم. انتشر الدخان أمام عين (بيرقدار) لكنه استطاع أن يرى من خلاله (مهران) وهو ملقى على ظهره وقد ابتعد عن موقعه الأول.

جرى ناحيته ووقف على رأسه ليشاهد ثقب الرصاصة في منتصف معدته اصطدمت عيناه بعيني (مهران) لثوان. لكنه لم يجد حلاً سوى الهروب.

الخطة فشلت. وترك (مهران) خلفه جثة هامدة.

أخذ (عبد الكريم) يقلب بين أوراقه التي احتفظ بها في صندوق تحت فراشه منذ سنوات عديدة عندما كان يدون كل أسفاره. سافر كثيراً إلى مناطق تاريخية أثرية تتعلق بالتراث الإسلامي. وكان غطاءه هو حبه للتاريخ بصفته مدرس تاريخ.

حتى وإن لم يتفهم البعض ذلك لكونه يُدرّس لطلاب الثانوي فشور التاريخ. لكنهم تقبلوا ذلك. حتى زوجته كانت تعودت في الماضي على سفره لبعض قرى الصعيد لزيارة قبور الأولياء أو كثرة ذهابه للمساجد المشهورة وحيذاً. لكنها لم تعرف سر تقربه للطرق الصوفية والروحانيين. لم تعرف أنها مهمته الأصلية في البحث وراء بعض

الطلاسم وفكها من البشر الذين تعلموا العلوم الروحانية شفاها من
شيوخهم.

لكنه توقف عن البحث منذ سنوات. شعر بالملل وبأن ما عرفه وجمعه
غير هام. كان ينتظر اتصال المسؤول عنه لكنه تأخر. قال في نفسه
سينتظر أن يتصلوا به كي يعرض ما توصل إليه.

اليوم استيقظ من النوم وتعلل بمرضه كي لا يذهب للمدرسة. أخذ
أجازة عارضة بالهاتف وطلب من زوجته أن تذهب لأمرها ككل يوم كما
تعودت حين يكون في المدرسة. رفصت في البداية لكنه طمأنها على
صحته وأكد عليها أنه سيحضر بعض الدروس لطلابه وسيسبقها
لمنزل أمها عصرًا ليتناولوا الغداء هناك لأنه لم يزر أهلها منذ شهر.

والآن هو يترقب أوراقه جيدًا متوقعًا أن يحدث اتصال آخر في أي وقت في
نهار اليوم.

اعتد لنفسه كوبًا من القهوة وأخذه ليتناوله في الصالون وهو يحمل
أوراقه تحت إبطه. بمجرد دخوله الصالون سمع صوتًا يقول:

"لا تسقط قهوتك يا (سعيد)".

اهتزت القهوة بيده وهو ينظر للجنّي الجالس على مقعد الصالون يتنسم
له.

"طريقة حضورك الدرامية مخيفة".

قالها (عبد الكريم) وهو يجلس على المقعد المقابل له:

"لن يعجبك لو ظهرت لك فحاة.. لا أعرف ماذا حدث لك؟ هل أصعبت
نخاف منا كالإنسان؟"

"مرت سنوات طويلة واعتقدت أنكم نسيتموني".

"تغيرت كثيرًا عن يوم تجنيدك. لقد تطوعت بكامل إرادتك وبكل
حماس. ألا تتذكر؟"

"لا نلص فرق السنوات بين البشر وعالمكم".

ضحك الجنّي وقال:

"عالمنا؟ تفصّد عالمك".

ابتسم (عبد الكريم) ساخرًا وهو يقول:

"أنا لا أعلم ماهيتي الآن.. بشر أم جان.. المهم قل لي ما يحدث في عالم
الجان. قلتم لي إنكم ستتصلون بي في حالة الحروب والتمردات".

"أتذكر (المخلي بن ذاعات)؟"

"طبعًا.. السجين".

"تحزر.. ونحضر لفتح البوابات السبع للقيام بحرب شاملة على كل
القبائل".

هزّ (عبد الكريم) رأسه كأنه ينفذ تلك الفكرة عن رأسه لكن الجنّي
أكمل بسرعة:

"في وقت آخر ستفهم كل شيء. المهم قل لي أخبار بحثك عما طلب منك".

وضع (عبد الكريم) القدر جانبا ووضع أوراقه أمامه يقلب فيها وهو يقول:

"تقصد أي شيء، توصلت في السنوات السابقة للكثير من روحانيات البشر. في أسيوط عند مسجد (جلال الدين السيوطي) قابلت شيخا أخبرني ب...."

قاطعه الجني:

"لا أقصد هذا.. هل نسيت مهنتك الأصلية التي كُلفت بها؟"

نظر لعينه لثوان قبل أن يقول (عبد الكريم):

"تقصد الأمر المطلوب من كل من تحولوا لبشر؟"

"بالضبط".

قلب (عبد الكريم) في أوراقه مرة ثانية حتى أخرج ورقة وهو يقول بدون أن ينظر للجني:

"بحثت عن طريقة للوصول لهم من ثاني عام لي في عالم البشر. المشكلة لم تكن في الوصول لهم بقدر تعريفهم. الكثير ممن لهم خبرة في السحر والعلوم الروحانية كما يسميها بني آدم يقولون إن تحضيرهم سهل. بل وبعضهم يلمح أنه اتصل بهم. كل طرقهم

اكتشفت زيفها. اللهم إلا واحد فقط قال انه نعلم على يد (عبد
الفتاح الطوخي) يقول..."

فاطعه الجني متسائلاً:

"أليس هذا الساحر الذي عاقبته قبيلة (فهدان)؟"

"نعم هو.. تلميذه يقول بأنه حصل منه على صورة لكلمات كتبها (أصف
بن برخيا) بعد موت سليمان الحكيم. الكلمات من المفترض أنها
تتعلق بهم وبطريقة استدعاء سيدهم. أعطاني الكلمات في شكل
رسوم على ورقة وهو متأكد أنني لن أستطع قراءتها لأن (عبد الفتاح
الطوخي) نفسه أقر له بأن هذه الكتابة سنظل بلا ترجمة"

أخرج ورقة قديمة ونهض من مكانه ليعطيها للجني. الذي أخذها ونظر
فيها بلا اكترات وهو يهز رأسه:

"هل هذا كل ما توصلت له بخصوصهم؟"

"نعم"

فجأة قال كأنه تذكر شيئاً:

"هناك شيء لا أعرف هل سيفيدكم أم لا بخصوصهم. أخبرني نفس
الرجل أن هناك رجلاً قديماً أطلق عليه لفظ ابن الجن. هو من كان
معه سر استخدام تلك الكلمات. وأنه سمع ذلك من (عبد الفتاح
الطوخي)".

"ابن الجن؟! أهو لقب عاطقه أم كنية أم ماذا؟"

"لا أعلم. هناك من حملوا في التاريخ هذا الاسم كعالم لغة عربية اسمه
(ابو الفتح عثمان ابن الجني) وهناك (عمرو بن الجن) ابن شقيقة
الملك العثمان".

"أشعر بأن هذا الرجل وراءه أمر ما".

"ربما كان مثلي وافتضح أمره فأطلق عليه هذا اللقب".

"ربما.. المهم أن تنتظر أوامري الجديدة لأنني سأرحل الآن. زوجتك عادت
سريعا وهي الآن على باب الشقة".

ثم غمز بعينه وقال:

"ربما اعتقدت أنك تخونها".

سمع (عبد الكريم) صوت الباب يفتح وزوجته تنادي عليه فابتسم لفكرة
خيانته لها. ماذا لو علمت بأن كل حياتهما الشخصية غطاء
لحقيقته. اتسعت ابتسامته وهو ينهض ويجيبها:

"أنا هنا يا حبيبي".

"هل حصرت عدد الجان المتخفين في صورة بشر؟"

قالها (المخلي) لأحد أتباعه، الذي أجاب على الفور:

"حصرتنا الكثير.. هل نهاجمهم؟"

"لا".

قالها بحزم ثم أردف قائلاً:

"تنشيط كل جواسيس الجان في عالم البشر عمل لن يوافق عليه مجلس الجان لأنه يكشف الجواسيس لي. هذا العمل المجنون أشعر بيد (يصفيدش) تُحرّكه".

"لكننا لو صبرنا عليهم ربما هاجمونا. هم يمتلكون الكثير من التعاويذ والطلاسم والعزائم والأقسام التي يستخدمونها كبشر".

"أعرف أنهم كذلك. لكنهم كالكمين لي في نفس الوقت. (يصفيدش) ينتظر أن أهاجم أحدهم فيوقع بمزيد من رجالي.. على سيرة رجالي. هل من حديد عن اختفاء (سنان)؟"

"لا يا سيدي.. ولو أنني أشك أن ل(يصفيدش) علاقة بذلك".

"(سنان) أقوى من أن يُختطف أو يدخل في قتال مع جنّي وبهزم. اختفاء (سنان) من الأمس يقلقني. من هذا الذي يمكن أن يكون وراء ذلك. وما هي قوته؟"

دخل (عماد) لمكتب (عباد) معتمداً على نسخة المفتاح التي أعطاها له (يصفيدش). بعدما حدثه (حامد) هاتفياً طالباً منه الإتيان. جاء بأسرع ما استطاع.

دخل لفتح السلم الضيقة يهدوء ونزل درجات السلم حتى سمع صوتاً يأتي من الغرفة النحاسية ذات الباب المفتوح. تاهب وهو يدق في

الصوت ليميز نبراته قائلاً في نفسه إن (حامد) أسر جنياً ولابد أنه أخبره بشيء.. في تلك اللحظة توقف عند الباب قبل أن يدخل وهو يسترق السمع..

(يا متولي.. يا جرجاوي يا جرجاوي.. المعلم راح لمتولي.. قاله يا أختنا دابر بكا مالك.. ما كنت قاعد بكمالك.. ياك خدوا من البوك مالك)

دخل للغرفة فوجد (حامد) يجلس على الأرض يأكل من طبق كشري وبجانبه هاتفه المحمول تتصاعد منه أغنية..

"هل تسمع أغاني في الغرفة النحاسية؟"

انتبه له (حامد) وهو يقول:

"سيرة شفيقة ومتولي للريس حفي. ما رأيك فيها؟"

"الريس حفي!!"

"عندي مواويل أخرى للريس أمين الحنش. لحظة أشغلها لك."

"انتظر عندك.. لم تأت بي لأسمع المواويل. ثم كيف تاكل كشري في العرفة النحاسية؟!"

"تفضل معي."

زفر (عماد) من فمه زفرة طويلة وحاجبيه ينعقدان غضباً. لكن (حامد) أزاح طبق الكشري جانباً وهو يهض ليقف خلف المنضدة ويقول:

"يا حساس. أغلق الباب."

انفلق باب الغرفة.

- "لم تقل لي كيف تدخل المنزل هنا من الأساس؟"

- "(رحيم) يدخل ثم يفتح لي الباب من الداخل."

- "أشعر بأنك تُهين عالم الجان بطفولتك هذه!"

- "المهم.. أتيت بك هنا لتعرف شيئاً لا أستطيع تقدير قيمته بالنسبة لنا. الغرفة علمتي أن لكل طائفة من طوائف الجان اتصال برموز داخل الغرفة. حتى لو مات سيد عشيرة أو عائلة فسأعرف عندما ينطفئ الضوء الخاص به ويتحوّل للأسود. هذا يعني موتاً طبيعية. أما لو تحوّل للأخضر فهذا يعني أنه قُتل من البشر. أما اللون الأحمر فيعني أن الجنّ قتلوه. رأيت منذ ساعة حالة قتل. في الغالب تلك الحالات غير مهمة. لكن طريقة القتل أدهشتني. لذلك طلبت من (رحيم) أن يبحث عن شخصية المقتول لأعرف أنه (سنان بن عازم بن سفار) سيد عائلة (سفار). هي عائلة عادية كما أخبرني الجاساس. لكن (سنان) نفسه هو صديق (المخليبي) منذ زمن وذراعه الأيمن."

- "شيء طبيعي في هذا الوقت أن تتقاتل القبائل ضد بعضها البعض."

أشار (حامد) بإصبعه لرمز في آخر الغرفة النحاسية فنظر له (عماد). رأى فتاتاً معدنياً على الأرض. أعلاه رمز لا يظهر منه الكثير.

- "لقد خرجت شرارة كهربية من هذا الرمز وانفجر بعدها. الغريب أن الغرفة تعيد بناء نفسها في حالة التدمير. لكنها لم تفعل هذه المرة. طريقة الموت غريبة وأثرت على الغرفة مباشرة.. لم أعد أحصي

الغرائب التي تقابلنا من كثرتها، لكن من هذا الذي استطاع قتل
الذراع اليمى (للمخلى) بنك الطريقة!"

نظر (عماد) لـ(حامد) وقال:

- "لو كان ما تقوله صحيحًا، فهناك لاعب جديد ظهر. إن كان في صفنا
فأنا مطمئن."

- "وإن لم يكن؟"

مز (عماد) كتفيه وابتسم سخرة وهو يغادر الغرفة.

الفصل الخامس

العائد

شعر (مهران) بألم في قلبه. عاد وعيه فجأة وعادت أحر ذكري له.
الرصاص المذوفة من غدارة (بيرقدار) والدخان يعيط بها. أجره
من الثانية تذكر صوت البارود المتفجر وسقوطه على ظهره. تذكر أنه
لم يشعر بألم الرصاص بل قوة الصدمة هي كل ما شغله.

اختلعت الذكري بألم قلبه فأخذ نفساً عميقاً. شعر بتراب يدخل لفتحتي
أنفه فزفر لينخلص منه. كل ما فات حدث في ثانية. الثانية التالية
أدرك أنه مكفن. فتح عينيه فدخلهما التراب.

لقد دفن. حرك يده اليمنى التي اصطدمت بالتراب فوجدتها تغترق
طبقاته بسهولة. لم يتوقف ليندهش فحسده يعنّج الهواء. حرك
يده الأخرى وسط الطبقات بسهولة ونهض فطاووعه حسده بسلامة.
كان يغترق الطبقات الترابية كأنها مياه ثقيلة حتى اصطدم من الأعلى
بطبقة صلبة مسطحة. لكنه وسط الظلام والتراب وجد مساحة
صغيرة فارغة بين الطبقة الصلبة وبين الأتربة صنعها خلعة حسده
لطبقات التربة. استنشق منها نفساً عميقاً أدار رأسه للحظة.
استنشق مرة أخرى ودق بيده اليمنى على الطبقة الصلبة. فسمع
صوت تشقق بسيط.

نهضت (مروى) من نومها تشعر بألم في عنقها اعتادت علي منذ انتقلت
هي ووالدها من أباد إلى إيران. لم تحب المنزل البسيط الذي أجره
والدها ولم تتكيف على طقس البلاد منذ حضرت مرافقة والدها في
تجارته.

”أنت من أصررت على الذهاب معي. تذكرني أنني حذرتك من قبل“.

قالها والدهما الشيخ (يونس الحرابي) وهو يقف أمام باب غرفتها مبتسماً وهو يرتدي جلبابه وقفطانه ويتعمم بعمامته الكبيرة التي يحب التباهي بها بين تجار الفرس. كان الجميع يطلق عليه لقب الشيخ بسبب دراسته الأزهرية وعمله بتدريس العلوم الشرعية بأروقة الأزهر. لكنه اتجه للتجارة وعشقها. تاجر منذ شبابه بكل شيء بين المحافظات المصرية. العطور والسجاد والبخور والدقيق والأقمشة وكل ما استطاع أن ينقله بين وجه بحري وقبلي. اتسعت تجارته وثروته وخرج للشام وبغداد وبلاد الفرس. تزوج من الصعيد وأنجب ابنته الوحيدة. لكن زوجته ماتت بالمalaria قبل أن تتم ابنته الخامسة. لم يتزوج ثانية واكتفى بمرؤى التي كانت له الوئيس والرفيق والأم والأخت.

لم تتركه في رحلات تجارته داخل مصر وخارجها. وكل مرة يُقنئها عن مرافقته تزداد عناداً. حتى في رحلته هذه إلى بلاد الفرس كما يحب أن يطلق عليها أهل مصر. والتي يقوم بها كل ثلاثة أعوام. أصرت على مجاورته في تجارته. وتعللت بأنها لم ترافقه في رحلانه السابقة لتلك البلاد.

حاء واتفق على صنوف مختلفة من البضاعة تُحمل على أربعين جملاً. لم يبق له إلا أيام قليلة على العودة لمصر. وخاصة أن (مرؤى) تعودت على العيش في المنازل المريحة. لكنه لم يجد من يقبل أن يؤجر له منزلاً لأيام إلا هذا.

”انتظر لأرتدي ملابسى لأراققت”.

قالتها (مروى) وهي تنهض من الحشية المفروشة أرضاً بنناقيل.

”لا يا حبيبتى. فانا لن أذهب للعمل. سأذهب للمقابر. توفي والد (علي) القزاز) صباحاً. سأذهب لمنزله الآن لنصلي الظهر على والده وندفنه وأعود إليك”.

”أليس هذا التاجر الذي قابلناه أول أمس”.

اتجه (يونس) إلى باب المنزل وهو يقول:

”نعم يا حبيبتى هو. هل تريدن شيئاً من الخارج؟”

”شكراً يا أبى”.

غادر (يونس) المنزل وهو يتأكد من اعتدال هندامه وسار حتى وصل إلى منزل صديقه التاجر. فوجد تجمعا لبعض التجار ورجال عائلته. كان يعرف بعضهم فسلم على الجميع بحرارة وأخذ يستفسر منهم عن مكان (علي) الآن باللغة الفارسية التي كان يتقنها. خرج (علي) من المنزل وهو يخبر الجميع بأن الخشبة التي تحمل والده ستخرج الآن. عزاه البعض سريفاً وخرجت الخشبة تحمل الجثة يحملها بعض الرجال.

رافقها الجميع حتى المسجد القريب. صلوا الظهر ثم صلوا عليه وخرجوا إلى المقابر يرافقهم البعض من الأحياء والعطوف المجاورة. سواء من عرفوا المتوفى أو من جهلوه.

كان (يونس) يرافق (علي) ويشد أزره طوال الطريق. حتى إنه رافقه وهو يزل الجنة للقبر.

وقف الجميع أمام القبر وهو يفلق وهم يهمهمون بالأدعية واللحاد يستعد لبناء ضريح صغير.

سمع الجميع صوت دقة يأتي من أحد أضرحة القبور المجاورة. نظروا لها مستفسرين. فجأة تدرخ الضريح من دقة أخرى كأنها تأتي من داخل القبر. تعالت أصوات الاستعاذة من الجميع.

انكسر الضريح من منتصفه بصوت فرقة ضخم وصعد من القبر شاب يغطي الغبار والأتربة كل ما فيه كأنه بلا ملامح.

دق (مهران) بقوة أكثر على الطبقة الصلبة فسمع صوت تكسر. استجمع عزمته ودق بقوة أكثر فغزا الضوء عينيه وألمها. عبأ رثبه بالهواء وهو يغادر القبر وأقدامه تفوض بعض الشيء في الرمال. صعد ووقف على أرض صلبة يقرده جسده العاري والكفن يقع عن جسده السخلي. وأصوات مختلطة لرجال على مقربة منه تصرخ وتحدث بسرعة.

في البداية لم ير جيدا. يقع ضوء ورؤية مشوشة. ثم تحسنت الرؤية وهو يلتقط أنفاسا بسرعة. تراخي جسده رغما عنه وسقط أرضا لكنه استند على يديه وعاد للتهوض وهو يترنح.

عادت الرؤية بسرعة تدريجيا ليرى رجالا بعضهم يجري مبتعدا والبعض يتراجع وهو يهمهم بكلمات دينية مختلطة. في البداية تخيل أن رؤيته

مارالمة مشوشة. لأنه يرى لكل رجل خيالاً صغيراً شامخاً يحيط به
بميل للون الأحمر.

فتح عينيه وأغلقهما أكثر من مرة فوجد نفس الخيال يحيط بهم.

حري الجميع وبني أربعة رجال. أحدهم تقدم منه وهو يرفع يده أمامه
ويطلب منه أن يهدأ. كانت ملابسه عربية عن ملابس أهل بلاده.
ولغته الفارسية غير متقنة. اقترب منه الرجل أكثر وخلع قمطانه وهو
يردد بارتباك

“اهدأ يا ولدي لا عليك.. اهدأ”.

نركه (مهران) يقترب حتى أحاطه الرجل بقمطانه.

“مياه”

فالها (مهران) بضعف فلم يسمعها الرجل. صرخ بها فهز الرجل رأسه
متقيماً وطلب منه السير معه. سار (مهران) معه مستسلماً. نشجع
بقية الرجال الواقفين وأحاطوا به وهم يغادرون المقابر.

ظهر الناس من العدم تجري ناحية المقابر ليشاهدوا (مهران) الممتلئ
بالأثرية. لا يقتربون منه لكن عيونهم المنسعة وهمماتهم العالية غير
المشومة. وهم يترجون له وللمحيطين به الطريق. صنعت مشهداً
مهيئاً يعجز خيالهم عن تصور حدوثه.

بعضهم جرى لداخل المقابر ليطالع القبر المكسور كما سمعوا من الرجال الهارين منذ قليل، من دخلوا وسط المقابر عادوا لجمع الناس بعد أن ابتعد (مهران). وأخذوا يصيحون:

“(ابن القصاب) حي. (ابن القصاب) حي”.

تعاون الجميع على إدخال (مهران) لمنزل (يونس). وبعض الناس ممن لم تصل أخبار خروجه من القبر يلقون بالأسئلة عليهم معتقدين أنه مصاب أو مريض أو حتى مجذوب.

أدخلوه للمنزل و(يونس) يصيح بابنته بأن تحتشم لأن معه غرباء. مَيَز (مهران) كلمة من لغته العربية من كثرة قراءته للقرآن فتأكد أنه غريب. أجلسوه على مقعد و(يونس) بدثره أكثر بقفطانه كي لا تظهر عورته عند جلوسه. كانت عين (مهران) نصف مفتوحة من الإرهاق وينظر إلى الأرض دائمًا. نادى على ابنته مرة ثانية يطلب الماء.

خرجت (مرؤى) من غرفتها ترتدي جلبابًا رماديًا وتلف طرحة من نفس اللون على رأسها غير مهندمة. كانت ذاهبة لتحضر المياه لكنها توقفت تنظر لمهران بدهشة. فصرخ بها أبوها لتحضر الماء.

حرت وأحضرت القلعة وناولتها لابنها الذي أخذها وطلب من (مهران) لطف ألا يشرب كثيرًا. طاوعه هذا الأخير وأخذ رشفة لكن معدته لم تتحمل وحاول التقيؤ. لكن لم تخرج من بطنه لا الرشفة ولا شيئًا آخر.

ناولہ رشعة اخرى فتقبأها.

“هل عندنا ماء بكفي للتحمم؟”

قالها (يونس) ل(مروى) فردت بسرعة:

“عندنا الكثير. فقد جاء السفا منذ قليل.”

“حصري الماء للتحمم وأخرجني لي جلبابا نظيفا من صندوقي.”

جرت (مروى) لتنفذ ما قاله بينما نظر (يونس) ل(مهران) قائلا:

“كل شيء على ما يرام يا بني. قل لي ما اسمك؟”

“(مهران)”

قالها وهو يرفع عينيه له. لكن عينيه تعلقت بشيء خلف (يونس). شيء يشبه القرد يتحدث مع اثنين يماثلانه الهيئة. حرك عينيه فوجد الكثير منهم يتحركون في صحن المنزل ولا ينتهون له.

لم يشأ (يونس) أن يُزعج (مهران) بالأسئلة. ساعده على التحمم ليُزيل الأتربة العالقة بجسده ووجهه. ثم ألبسه جلبابه وطلب من (مروى) أن تطبخ بعض الطعام. لكنه لم يخف دهشته من نظرات (مهران) الزائفة وحركة عينيه الغريبة كأنه يتابع شيئا ما ببصره بلا إرادته.

صرف الرجال الذين ساعدوه لإحصاره وحاول أن يُشعره بالراحة كي يزول عنه وقع صدمة لا يعرف سببها. وإن كان قد كَوّن فكرة عن أنه

ربما ذفن منذ يوم أو اثنين بالخطأ واستيقظ فجأة.. وبرغم أن تلك
الفكرة ساذجة لأنها لا تُفسر له كيف يُدفن في التراب بلا هواء وكيف
كسر الطبقة الأسمنتية من الداخل بيده.

أجلسه على مقعد وجلس بجانبه.
"شكراً".

ابتسم (يونس) له عندما نطقها وكاد أن يردّ عليه لولا صوت الطرقات
العالية على الباب. فتحه فصدم من عدد الواقفين رجالاً ونساءً
يتقدمهم رجل عجوز ذو لحية كثيفة بيضاء. مهيب الهيئة يتكى على
عصا ويرتدي ملابس علماء الشيعة كما عرفها.

"أنا الشيخ (جعفر). هل لي أن أقابل الشاب المقيم عندك؟"
"أهلاً بك. تفضل. لكن هل لي أن أستأذّنك أن تدخل ومعك نفران
فقط؟"

"كما تريد يا بني".

قالها الشيخ ونظر خلفه يطلب من رجلين فقط الدخول معه. نهض
(مهران) بعدما رأى شيخه الذي رياه وهو يدخل. جرى عليه الشيخ
بشكل لا يتناسب مع سنه. احتضنه بقوة وهو يرت على ظهره.

من خلف الشيخ تصاعدت تكبيرات الرجلين والشيخ يقود (مهران)
للمقعد ليجلس. لم يشعر هذا الأخير بمثل هذه الراحة منذ خرج من
القبر إلا عند رؤية شيخه الذي رياه روحياً.

هذه الراحة انتقلت لـ(يونس) عندما وجد استجابة (مهران) لشخص لأول مرة. قال في نفسه إن الموضوع أصبح بسيطًا. سيرحل مع أهله سواء كان هذا الشيخ أو من سيأتي لاحقًا.

- "ما الذي حدث لك يا بني؟"

قالها الشيخ بتأثر وهو ينظر لوجه (مهران). فرد هذا الأخير:

- "لقد أصابني (بيرقدار) بالبارود يا شيخي."

نظر الشيخ خلفه للرجلين ثم نظر لـ(مهران) بأسى وقال:

- "تعرف يا بني. أهل البلد علموا ما حدث."

"الحمد لله."

قالها (مهران) وهو يريح رأسه للوراء. ثم انتبه ثانية وقال:

- "أين خالتي؟"

في تلك اللحظة خرجت (مروى) من غرفة النوم وتوقفت تنظر لـ(مهران) الجالس.

- "مانت!"

قالها أحد الرجلين الواقفين فلم يبد على (مهران) أي تعبير سوى أنه نظر أمامه لتصطدم عيناه بعيني (مروى).

- "عظم الله أجرك."

قالت (يونس) بتلقائية بالعربية. لكنه تذكر معادل العبارة في الفارسية وقالها.

- "كيف ماتت؟"

قالت (مهران) بصوت متهدج وعيناه مثبتة على (مروى). فقال الشيخ:

"ماتت حزناً عليك يا بني. لكن ليست تلك المشكلة الآن."

- "أين (يرقدار) الآن يا سيخي؟"

- "قتل هو وأباه وأمه... قتلهم أبوك (القصاب)."

لم يرد (مهران) بينما أكمل الشيخ قائلاً:

- "رحمهم الله جميعاً. كلهم صعدوا لخالقهم. لكن المشكلة أن كل هذا حدث منذ تسع سنوات. أنت في القبر يا بني منذ تسع سنوات!"

انتهى (حازم) المكالمة وهو ينظر لـ (عماد) الجالس على الأريكة في صالة شقته:

- "دكتورة (رقية) أخبرني الآن أنها استطاعت إخراج (إسلام) وأقنعت أمه باحتياجه لعلاج طبيعي وبعض الوقت ليتذكر كل شيء. ومن الغد ستحضره لنا ليمكثنا أن نعرف أكثر عما يحدث له."

- "لا أرتاح لإدخال تلك الفتاة لدائرة المعلومات. هناك خطورة على حياتها الآن."

- "أوافقك لكن ما باليد حيلة.. أخبرها (إسلام) وهي أفادتنا بشكل جيد حتى الآن، وتقبلت كل ما عرفته بطريقة أدهشتني بالنسبة لطبيبة تأخذ كل مسلم به عن طريق العلم الحديث".

قالها وهو يجلس بجانب (عماد) ويتحسس بعض الضمادات في وجهه كأنه يعبت بها. بينما قال (عماد) مبتسماً بسخرية:

- "لا تندم من تقبلها، معظم الناس يخشون داخلهم خوف لا أقوى من عالمنا. عالم الجن. الأرواح. الأشباح. المهم أن يسمر الإنسان بأن هناك عالماً آخر. لأن وجود مثل هذا العالم يعطيه شعوراً بالإيمان بالله. يعطيه أملاً فيما بعد الموت. حتى من ينكرون وجوده يحتاجون لعالم آخر كعالم الكائنات الفضائية. لأن بذرة الإيمان بالعوالم الأقوى وجدت منذ طفولتنا".

- "والله زمان.. اشتقت لدروسك في الفلسفة التي كنت تلقها علي أيام الجامعة. هل تتذكر تلك الأيام؟"

ابتسم (عماد) وهو يرجع رأسه للخلف ويُغمض عينيه:

- "كنا نتخيل أننا نبحث عن أقوى أسرار الكون. لم أكن سأصدق لو قلت لي إننا سنشترك في الإعداد لحرب بين قائل الحان".

- "سألني (حامد) هل إن بدأت الحرب سينتصر البشر؟ لم أجد إجابة حقيقية أجيبه بها".

- أعتقد أننا سنعاني بشكل أو بآخر. هل نسيت أن البشر يستطيعون التحكم في الجان بالطلاسم والأقسام والتعاويد. سيطلب طرفا الحرب المساعدة في إبادة الآخر. وربما تطور الأمر أكثر مما نتخيل".
- "أكثر مما نتخيل يا (عماد)".

جاء الصوت من اللامكان فنظر (حازم) و(عماد) لموضع في صالة الشقة. ثواب وتشكلت في هذا المكان صورة (بصفيدش) البشرية.
- "تأخرت عن موعدك".

دخل (بصفيدش) ليجلس على مقعد يقابلهما وقال:

- "استقرت الأمور نسبياً ويمكننا أن نضع خطة لخطواتنا القادمة".

- "أتسمي ما حدث ل(يوسف) و(حبيبة) و(إسلام) استقراراً؟!"

قالها (حازم) بغضب فردد عليه (بصفيدش) ببرود:

- "الحرب قادمة لا محالة. هذا الاستقرار هو الهدوء الذي يسبق العاصفة كما تقولون. ويجب أن نستغل هذا الوقت في التحضير لوقت اللقاء".

- "لا حرب قبل أن تُفتح البوابات. هذا هو ما يجب التركيز عليه".

قالها (عماد). ثم استدرك قائلاً:

- "أبلغت أنك تريد مقابلتنا لأمر هامة. هل هناك جديد بخصوص (يوسف) و(حبيبة)؟"

”حبيبة) مازالت مختلفة عن أعيننا وإن كنا نشك في فرصة أنها لم تغادر عالمكم بعد“.

”ماذا!!!“

”مجرد فرصة أرجو صحتها“.

”و(يوسف)؟“

”مازال جسده في عالمنا، نحاول أن نجد طريقة لإعادة فرينه مرة ثانية إن أردناه أن يعود لكم“.

”هل فشل علماءكم في ذلك؟“

قالها (حازم) فابتسم (يصفيدش) له وهو يقول:

”جيد أنك تعرف علماءنا، وإن كان من الواجب على (قاصيم) أن يخبرك بأن الفيزياء التي تحكمنا تختلف قوانينها عن فيزياء عالمكم“.

”أعرف.. وأعرف أيضًا بأن الكثير من علمانكم قاموا على مدار آلاف السنوات بأبحاث عن أجسادنا“.

”كل هذا لا يهم، فدخل البشر لعالم الجان لم يحدث كثيرًا وإن كنت أمل بأن أجد حلًا“.

”أخبرنا بما تريد.. وعلى كل كنت سأطلب مقابلتك لأمر ما حدث بداخل الغرفة النحاسية سأخبرك به لاحقًا“.

قالها (عماد) فهز (يصفيدش) رأسه بالموافقة، ثم قال:

تعثمت فمائلنا منذ زمن الكثير من الحبل أو العلوم بمفهومكم جعلنا
بطور من استخدام قوانيننا الفيزيائية. والنتيجة أن الكثير من القبائل
حصلت على طريقة لتحويل الحبي لبشر."

ناهد (حازم) في جلسته بينما ضيق (عماد) عينيه و(يصفيدش) يكمل:

"حولنا الحبي لبشري لكنه ناقص. لا يُنجب ولا يحمل قرينًا. وفي بداية
تحوله يصبح عرضة لأمراضكم. فيحاول جسده تكوين مناعة عند
إصابته بالأمراض. وربما مات في أول أيامه بينكم. طورنا مع الوقت
أساليبنا واعتمدنا على تطوركم في مواجهة الأمراض وحللنا مشكلة
مناعة جسده.. لكننا لم نحل مشكلة عمره القصير الذي لا يتناسب
مع أعمارنا. فهو يموت مثلكم بسرعة ومع اختلاف نسبة أعمارنا
لأعماركم فهو يموت بعد 6 أو 7 سنوات على الأكثر من أعمارنا. لكنه
مفيد جدًا. فهو الذي يستطيع جمع المعلومات عن كل ما نريد
معرفة وقراءة التعاويذ للسيطرة على أعدائنا بسبب كونه بشراً."

"وكيف لا نلاحظهم؟"

قالت (عماد) فرد (يصفيدش):

"سنحبل تفرقتهم عنكم. يندمجون بينكم ولا يلاحظهم إلا البشر ذوو
الخدمة. مثلك يا (حازم)."

نظر (حازم) وأكمل:

"لذلك فهم ينتعدون عنن هم مثلك على قدر المستطاع، حتى وإن اقتربت منهم فلن تلاحظهم إلا إن طلبت من خدمتك من الجان التواصل مع قرينه فستفشل خدمتك ولن نعرف السبب".

- "استراتيجية أبهرتني بحق".

قالها (عماد) وهو يرفع حاجبيه إعجابًا بما سمعه.

- "أمرت بتنشيط كل جواسيسنا في مصر لأضرب عصفورين بحجر واحد.. أولاً (المخلي) يخاف منهم لقدرتهم على معاربة رجاله وتعطيلهم. لذلك سيعاوم اصطيادهم بنفسه ولن يقتلهم لأنه يأمل أن يكونوا قد توصلوا لما نبحث عنه منذ زمن".

- "وما هذا الشيء الهام؟"

- "العفاريت".

- "لم تبحثون عنهم وهم يعيشون بينكم؟ أليس العفاريت درجة في عالمكم؟"

- "العفاريت لقب يُطلق مجازًا على بعضنا. أما العفاريت الحقيقية فقد اختفوا بعد موت (سليمان) الحكيم، وأخذوا معهم أسرارهم رافضين الاختلاط بنا".

- "وما السبب؟"

قالها (حازم) بشغف.

"لا نعلم. يقول البعض إنهم الوحيدون الذين التزموا بالعهد الذي أخذناه على باب الهيكل وقرروا عدم التدخل بعلومهم الخاصة في حياة البشر والجان، والبعض يقول إن سيدهم (لاقيس الإلبيسي) أخذ كل ما دونه (أصف بن برخيا) مساعد (سليمان) الحكيم قبل رحيله. منتظرًا عودته ليسلمه ما كان له".

هنا اعتدل (عماد) وقال متسائلًا:

"أليس (أصف بن برخيا) هو المذكور في الآية القرآنية بلفظة (قال الذي عنده علم من الكتاب أنا أتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك)؟"

"هو نفسه.. أما (لاقيس) فذكر في الآية التي تسبقها".

"(قال عفرت من الجن أنا أتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين)".

قال (حازم) الآية بدهشة تختلط بالانهار. ثم تبعها قائلاً:

"اعتقدت أن الآية تتحدث عن عفرت نكرة. لم أتوقع أنكم تعرفونه".

"تعرفه ونعرف أن قبيلته تتكون من 250 عفرينًا. أطول منا عمرًا وأكثر منا قوة. عفرت واحد يساوي قوة قبائل كاملة متحدة. عاملهم (سليمان) الحكيم معاملة خاصة فأخلصوا له الولاء. و(أصف) من بعده. لأنه علم (لاقيس) الكثير".

"هل الأسطورة التي تقول بأن الجن هم من أخذوا كتب (سليمان) عليه السلام بعد موته من تحت عرشه حقيقية؟"

قالها (عماد) فرد (يصفيدش):

"(أصف) هو من سلمها ل(لاقيس) ليحفظها من أيدينا نحن. ما كان بالكتب أضعاف ما علمنا منه. وهو ينتظر عودته بأي طريقة".

"كيف سيعود؟ هل (لاقيس) هذا بلا عقل؟"

قالها (حازم) وهو يلوح بيده، فرد عليه (عماد) مبتسماً:

"(أصف بن برخيا) شخصية محيرة. وجدت في كل الثقافات التي احتوت حكاية (سليمان) عليه السلام. وجد بأكثر من اسم وأكثر من هينة. أعتقد أن (يصفيدش) يقصد الأسطورة التي تتعلق بأن (أصف) ليس من البشر. أليس كذلك؟"

قالها ونظر ل(يصفيدش) ليجده يبتسم. ففتح (حازم) فاه من الدهشة. وقبل أن يتكلم قال (عماد):

"الأسطورة تقول بأن (أصف) هو نصف بشر نصف جان. لا يعرف له أصل. وعلم الكتاب هو الحكمة التي تلقاها من مصدر أعلى.. الله".

"أصبت فيما قلت. ونحن كل هذا نبحت عما يدلنا على طريق العفارت".

قال (عماد) وهو ينظر للأرض مبتسماً:

"لم تكن المعاجم تُبالغ إذن حين وصفت لفظة (عقر) بمعنى أثار التراب من سرعة حركته. ومنها جاءت لفظة عفرت".

”استطاعت اللغة العربية تقرب المعنى. لكن قوة العفريت لا تضاهي
وقدرته نخيفنا. برغم هذا أصبح شيئاً روتينياً على كل قبيلة أن تبحث
عن مكان تواجدهم لتحاول التواصل معهم والأخذ من علمهم.”

”وأنت تعتقد أنهم سيفيدونكم في حركم مع (المخلي). أليس كذلك؟”

”هي ورقة لا نعتمد على اللعب بها، لكنني مؤمن بالبحث عنها. مثلما
يؤمن أخي بذلك. كل منا يعتمد على ظهورهم لجسم الصراع
لصالحه. وأرجو أن تساعدوني في التوصل إليهم.”

”ماذا؟”

قالها (حازم) عاقداً حاجبيه. فردّ (بصفيدش) بسرعة:

”واحد من جواسيسنا ذكر لنا شيئاً غريباً عن كلمات أخذها من ساحر.
هذه الكلمات قيل إنها تختص بالعفاريت.”

”كلمات تحضير؟”

قالها (عماد) فنهض (بصفيدش) واتجه لركن الصلاة حيث منضدة
الكمبيوتر وعليها أوراق مهملة تكونت عليها بعض الأتربة وبجانها
قلم. أخذه وسحب ورقة فارغة ورسم عليها بعض الرموز.

عاد لهما وهو يسلم (عماد) الورقة التي تأملها (وحازم) يشاركه النظر فيما
يتمعن.

⊠ ⊡ ⊢ ⊣ ⊤ ⊥

⊦ ⊧ ⊨ ⊩ ⊪

⊫ ⊬ ⊭ ⊮ ⊯

- لغة غريبة.. تخيلتها المسماة للحظة لكنها بالتأكيد تبتعد عن أي لغة عرفتها".

قالها (عماد) وحدقتا عينيه تنسع لا إرادياً محاولها تذكر أي رمز من رموزها قد مر عليه.

- "ورجالنا الذين تخصصوا في اللغات القديمة لم يعرفوها أيضاً. برغم أنهم يعلمون الكثير من اللغات التي سبقت حكم (سليمان) الحكيم".

هنا قال (حازم):

- "وما أدراكم أنها لغة؟ لم لا تكون طلسمًا ما لاستدعائهم مثلاً".

- "لو كانت طلسمًا لعرفنا. الطلاسم تكون هالة من الطاقة حولها نراها بسهولة عند كتابتها. وهذه الكلمات لا تمتلك هالة الطلاسم".

"تردد مني إذن البحث وراءها؟"

قالها (عماد) وهو بعد لم يرفع عينه عن الورقة.

"نعم.. والبحث أيضًا عن (ابن الجن)".

نظر الاثنان له في أن واحد. فأكمل (يصفيديش):

"قال لنا جاسوسنا إن هناك من سمي بابن الجن. وأنه هو من عرف
سر استخدامها".

"ربما قصد (أصف بن برخيا) نفسه. بناء على الأسطورة التي قالها
(عماد)".

قال (حازم) تلك العبارة وهو يوزع نظراته بين (حازم) و(يصفيديش). فردَّ
هذا الأخير:

"ربما.. وربما ظهر (أصف) مرة أخرى".

"على كلي اترك لي هذا الموضوع. سأحاول. ولكن أعتقد في قرارة نفسي
بأن هذا الطريق مسدود".

"والآن قبل أن أرحل.. ما الذي أردت إخباري به؟"

"(حامد) اكتشف في الغرفة النحاسية طريقة موت غريبة لرجل
(المغلي) المسمى (سنان). قال بأنه لم يُقتل بطريقة البشر ولا بطريقة
الجن. ولا بطريقة عادية".

انتفضر (يصفيديش) في مقعده وهو يقول:

“هل عرف من قتله؟”

“لا.. يبدو أنك تعرف بمقتل (سنان)”.

“الجميع يعرف باختفائه الغريب.. (سنان) جثي لا يتم تحضيره وقتله من البشر لأنه أقوى من ذلك بكثير. وإن قتله أحد من عشانرنا فيجب أن يكون بمثل قوته. وسيستمر الصراع طويلاً بينهما فيعرف الجميع من فعل ذلك. لكن (سنان) اختفى من كلا العالمين فجأة بلا أثر.. لو قُتل في عالمنا لعرفنا. ولو قُتل في عالمكم سيترك بصمه طاقة نعرف موضع موته بها. لكن الاختفاء التام أقلق (المخلي) وأقلقني أيضاً. وضعت افتراضاً أنه هرب لكنك أخفني أكثر.. بإقرارك بموته. هذا يعني أن قوة غريبة تختلف عن قوة البشر والجان استطاعت ذلك”.

“ربما تلك القوة تعمل لصالحكم”.

“وما أدراك أن تلك القوة لن تتخلص من الجميع؟”

برغم أنه دخل كثيرًا لأروقة قسم الميكانيكا بكلية الهندسة ويعرفه الجميع منذ زمن. لكن تلك البذلة والكرافت والحقيبة التي يحملها جعلت الكثير يخطئ في التعرف على (طه). برغم أن لحينه كما هي وشعره الكثيف الذي فشل في تصفيف بعض خصلاته التي طارت بفعل الهواء تتبعثر في هيئة لا تليق بملبسه.

استنشق بضعة أنفاس من سيجارته قبل أن يرميها على الأرض بلا مبالاة وهو يتجه لأحد الممرات ويقترب من (عمرو) المعيد بالقسم. والذي

كان يتحدث مع مجموعة طلبة بعد انتهاء محاضرة.. وضع يده على كنف (عمرو) فنظر له مندهشاً في البداية. ثم صافحه بحرارة واستاذن من طلبته وهو يسير بجانبه. حتى وصلا لغرفة تمتلئ بالمكاتب يستخدمها المعيدون وبعض الأساتذة بشكل غير منتظم. كانت خالية في هذا الوقت فجلسا بجانب أحد المكاتب.

"ما الذي ترتديه؟ هل هناك مناسبة اليوم؟"

"أحاول أن أظهر بمظهر صاحب المصنع أمام المؤجر اليوم. قل لي متى ستقبله؟"

"بعد نصف ساعة من الآن. لكن لن أذهب معك قبل أن تشرح لي الموقف. قلت لي أمس في الهاتف إنك تريد تأجير مكان يصلح لمصنع صغير بالقرب من شبرا وتریده اني يوم بشكل ضروري. وأحضرتك لك وتريد تأجيرك الليلة ودفع مستحقته لشهور مستقبلاً.. ما الذي تريده من وراء هذا الطلب المفاجئ؟"

وضع (طه) حقيبة الجلدية على المكتب وفتح قفلها لتظهر آلاف الجنيهات رُصت بجانب بعضها البعض. أخذ خمسة عشر ألف جنية من الحقيبة وسلمها ل(عمرو) الذي أخذها بلا فهم. بينما أخرج (طه) من جيب آخر بالحقيبة ملفاً ورقياً وفتحه بعد أن أغلق الحقيبة.

"أريدك أن تصنع لي هذا الموتور وأن تنتهي منه غذا على الأكثر."

"ماذا؟!!"

فألبها (عمرو) بصوت عالٍ لم يتحكم فيه و(طه) يفتح الملف ويخرج بضعة أوراق تملأ برسومات هندسية. عرضها على (عمرو) الذي أخذها يتأملها.

"اسمع يا (عمرو). أنا أعرفك منذ سنوات طويلة. وأعرف خبرتك فيما أطلبه. لكن صدقني ستعرف كل شيء لكن السرعة هي ما أطلبه".

أخذ (عمرو) يتأمل الرسوم قليلاً. ثم قال وهو لم يرفع عينيه عنها:

"ما تطلبه بخصوص الموتور يمكن أن أحضره لك بعد غد. لأن تصميم الموتور لا يختلف كثيراً عن مواير مستعملة تباع في كل مكان. لكن سأضيف إليها بعض القطع.. وسعره لن يصل لثلاثة آلاف بكل ما سأضيفه".

"أعرف أن سعره لن يتجاوز هذا الرقم لكن ما معك خمسة عشر ألف جنيه. خذ منهم عشرة آلاف للموتور كحقوق. والبقية لصناعة تلك التروس الخاصة".

فألبها (طه) وأشار بإصبعه لورقة تحتوي على تفاصيل لتروس مختلفة الأحجام بمقاسات كتبت على حواف الرسوم.

"أحتاج لتنفيذ تلك التروس بدقة في ورشة خراطة تحت يد خراط محترف".

ثم أشار لورقة أخرى وهو يقول:

"وبناء هذا الحامل بتلك المقاسات ليناسب وضع الموتور بداخله".

"أولاً تكلفه الموتور والتروس والقاعدة لن يكملوا عشرة آلاف جنيه.
ثانياً أنا لن أخذ مليماً لنفسى. ثالثاً يجب أن تشرح لي ما يحدث".

أحرج (طه) سيجارة لنفسه وأعطى أخرى ل(عمرو) وهو يقول:

"فوق ما أعطيتك سأعطيك عشرة آلاف أخرى. وكل هذا لننهي على
الغد كل شيء. وعند بناء الجهاز الذي صممته ستعرف ما فائدته.
وفوق كل هذا مشاركتك في تشغيله تهمني.. وإن لم تأخذ كل المال
سأذهب لشخص آخر ليساعدني".

"قلت لك لن أخذ نقوداً".

"وأنا ذاهب".

نهض (طه) من مقعده فأجلسه (عمرو) وهو يقول:

"اهدأ.. ننتهي مما نريد أولاً ثم نتناقش حول النقود".

أشعل (طه) سيجارته وقرب الولاعة من سيجارة (عمرو) وهو يقول:

"وحتى تفهم خطورة ما يحدث.. أخبرك أن كل هذا له علاقة بالجان".

سعل (عمرو) وهو يسحب النفس من السيجارة. بينما (طه) يكمل قائلاً:

"والآن هيا بنا لنلحق موعداً مع صاحب المصنع".

”زاد وزنك في آخر سنوات يا (حازم).“

قالها (عماد) وهو يرتدي ملابس نوم أخذها من دولاب (حازم). نوان ودخل (حازم) غرفة النوم وهو يجفف يده بمنشفة الحمام ويقول:

”لو ملابسي واسعة عليك فهذا لأنك لا تتغذى جيدًا!“

”تقصد لأنك تأكل بفرجة.. كيف وافقتك أن نتعشى كوارع وفتة ولحم رأس منذ قليل!“

جلس (حازم) على طرف الفراش وهو يلقي بالمنشفة على أحد المقاعد قائلاً:

”لا تنكر أن الكوارع لذيذة.“

خلع (عماد) نعليه وأراح ظهره على الفراش العريض وهو يقول:

”لا أعرف كيف وافقتك على المبيت في شقتك ولا أعلم كيف سأنام بعد هذا الطعام.“

”شقتك أو شقتي لن تفرق كثيرًا يا صديقي. ليس هناك من ينتظرك لتقضي الليل معه وأنا مثلك.. أعتقد أنني بدأت أفكر جدًّا في الزواج وتكوين أسرة.“

”وهل نسيت عداء قبائل الجان لك؟“

أراح (حازم) جسده على طرف الفراش الآخر ووجهه ينقلب إلى الضيق وهو يقول:

تقصده أنه سيعرف عن الكلمات؟

لا أعرف.. لكنه خيط سأمسكه من الغد.

ثناءب (حازم) وهو يفرك عينيه بيده ويقول:

اتصل به واسأله عن...

قاطعه (عماد) وهو يريح رأسه على الوسادة بخيبة أمل:

لا.. سأضطر للذهاب له. فلا أمتلك رقم هاتفه ولم أهتم قديماً. أرجو

أن يكون في الكلية في الغد.

وأنا أيضاً.

فأها (حازم) وهو يعطي ظهره لعماد ويفمض عينيه استعداداً للنوم

...

سأناخر عن المنزل الليلة يا ماما.

فأها (حامد) وهو يمسك هاتفه المحمول يتحدث مع والدته خارج الغرفة

النحاسية.

هل نام الحاج؟ الحمد لله.. أنا في منزل (طلبة) صديقي في الكلية براح

لي بعض المحاضرات التي فاتتني.. لا تخافي علي.. حاضر سأعشى..

ماذا؟ حاضر سأحضر معي بثلاثة جنيات (فسو) وحبنة رومي.. وماذا؟

لانشون بالزيتون.. حاضر. محمد رسول الله يا ماما.

أنهى المكالمة ودخل للغرفة وهو يغلق هاتفه ويقول:

"(رحيم). ساعد قهوة على السبرتاية.. قهونك سادة أليس كذلك؟"

لم يجد اجابة. فنظر حوله وهو ينادي على (رحيم) بلا اجابة. أخذ الكشكول الذي يكتب فيه كل ما يشاهده في الغرفة ولا يعرف تفسيره كي يناقشه مع (رحيم).

سمع الصوت المميز لطلب دخول (رحيم) من منفذ الغرفة. صوت يقترب من شهيق عالٍ. وقف خلف المنضدة وهو يقول:

"افتح يا سمسم".

صحك لنفسه فسمع صوت الشهيق يعلو أكثر من ذي قبل. فقال بجديّة:
"- تفتح الغرفة بحق دعوتي ويدخل الجساس نفاذاً لكلمتي".

طهر (رحيم) في الدائرة ففتح (حامد) ذراعيه على اتساعهما وهو يقول:
مبتسماً:

"حبيب قلبي.. وحشتي".

"توقف عن المزاح.. غبت عنك دقائق بوقتك أنت".

"لماذا يطالبني الجميع بالتوقف عن المزاح!!"

"عرفت أشياء عن موت (سنان)".

قطب (حامد) جبينه وهو يقول:

"ألبدا اختفيت من الغرفة فجأة؟"

- "نعم.. أردت تجربة شيء فكرت فيه منذ وقت قريب. كل الرموز في الغرفة تخرج منها إشعاعات طاقة تقودني إلى الأماكن أو الأشخاص التي تمثلها الرموز. عند موت (سنان) انقطع إشعاع الطاقة الخاص به. ففكرت في احتمال. ماذا لو قمت بشحن الرمز المدمر الخاص به (سنان) بجزء من طاقتي؟"

- "لم أفهم لكن كلامك يبدو جيدًا".

- "عندما شحنته عاد الشعاع للخروج مرة ثانية لأخر مكان تواجد به (سنان)".

رفع (حامد) حاجبيه متأهبا فأكمل (رحيم):

- "كنت أريد معرفة منطقة موت (سنان).. في عالم البشر أم عالمنا؟"

- "قل بسرعة".

- "عالم البشر.. لكن الشعاع قادني لمنطقة أكثر تحديدا.. منطقة (شبرا) التي تسكن بالقرب منها".

- "شبرا!! لا تقل لي إن بلطجية ثبتوه وأخذوا أمواله!"

- "انقطع الشعاع عند منطقة عمارات ولم أعرف أكثر من هذا".

- "حلاوتك!"

الفصل السادس

أصف بن برخيا

لم يبعد (مهران) عينيه عن عين (مروى) التي لم تفهم شيئاً من لغة الحوار. لكن شهقة والدما والرعب الذي ارتسم على وجهه عندما حانت منها نظره إليه جعلها تتأكد أن الأمر يحمل مصيبة تتعلق بهذا الشاب الوسيم الذي مازال ينظر إليها.

أما (مهران) نفسه فلم يظهر على وجهه أي تعبير. لكنه قال لشيخه بهدوء لا يتناسب مع موقفه:

- "أحك لي ما حدث بعد موتي".

نظر الشيخ للأرض بحسرة ثم قال:

- "بعد دفنك بيوم واحد ماتت خالتك حزناً عليك.. أما (بيرقدار) فقد رآه الكثيرون يجري ليلة مقتلك فعلم الجميع أن له بداً. لكن نفوذ والده منع الجميع من الشكوى.. حتى ظهر بعدها بأيام شيخ عجوز يتكى على عصا. لم تنقطع دموعه منذ شاهده الجميع ليلاً يسير بين الحارات. وكل من يسأله كان يخبره بأنه (القصاب) والدك.. سارحتي وصل إلى منزل (بيرقدار).."

هنا نظر (مهران) الشيخ فابتلع هذا الأخير ريقه وأخذ نفساً طويلاً وقال:

- "صرخ أمام البيت يطلب العدل من والد (بيرقدار) لساعة. العشرات تجمعوا حوله كي يثنوه عما يفعل. لكنه ظل يصرخ بجملة واحدة (العدل يا أبا القائل كي تأتيك الرحمة).. فلم يجبه أحد. بعدها صرخ قائلاً (رحمة الله تنزل عليكم). ثم وضع يده على حائط البيت فانفجر البيت وتهدم في ثوانٍ".

كبر الرجال المصاحبان للشيخ. فعاود (مهبران) النظر ل(مروى) وهو ينتظر بقية الحديث.

”جرى الناس فرعين. وأبوك ينتعد عن البيت والدموع تنهمر من عينيه.. تجمع الناس حوله. وحاولت مع بعض الناس التحدث إليه لكنه كان صامتا تماما. سرنا وراءه حتى وصل إلى بيته ودخله. تبغناه فلم نجد له اثرا. فقط ملاسه المغطاة بتراب بيت (بيرقدار) ملقاة على الأرض. أما هو فاختفى كما لم يكن.. أصر الناس على بناء مقام على بيته باعتباره من أولياء الله. وبرغم أنني لم أوافق على ذلك لكن الجميع يروره إلى الآن“.

تعالّت أصوات من الخارج تنادي باسم (إسماعيل). فنظر (مهبران) لباب المنزل بينما ناع الشيخ:

”الناس في كل مكان يرون ما حدث معجزة. بعضهم يقول بأنك الإمام (إسماعيل) وعدت لهم في آخر الزمان كي...“

قاطعته (مهبران) بغضب وهو يهض قائلا:

”لا“.

ذهب للناب وفتحته فرأى مئات الناس تقف على مرمى البصر تملأ الشارع ذهابا وإيابا. كبروا وهللوا عندما شاهدهوه.. بينما صرخ هو فيهم:

”أنا لست الإمام العائد أيها الناس“

جرى البعض عليه يحاول تقبيل يديه وقدميه فأقلت منهم وهو يهتف:

.. "أنا (مهراڻ).. (مهراڻ بن القصاب) يا ناس.. لست وليا ولا إماما ولا نبيا..
اتركوني لحالي!"

خفت أصوات بعضهم وهم يتهايمون. ثم قال. أحدهم فجأة بصوت عال:

.. "إن لم تكن الإمام فأنت ابن (القصاب) الولي المبارك من الله".

ظهر صوت رجل آخر من مكان يقول:

.. "أنت حي بعد سبع سنوات يا ابن سيدنا (القصاب).. أنت الحي!"

رفعه اثنان منهم على الأكتاف فتلقفه الناس وأحدهم يصرخ:

.. "الحي بن القصاب.. الحي بن القصاب".

فردد الناس كلهم نفس الاسم وهم يتلقفونه ويسيرون به بين الحارات.

لم يذهب (عماد) إلى عالم النوم بسهولة لأنه لم يتعود المبيت بعيدا عن شقته كثيرا، لكنه بمجرد أن نام وجد نفسه في حلم. لم يقابله حلم نفي كهذا الحلم. يعرف أنه يعلم ويشعر بكل شيء في نفس الوقت.

هو قصر غريب لا تظهر تفاصيله كاملة. لكن عند ركن من اليمين وجد بابا يفتح من تلقاء نفسه. وظهر خلفه رجل يرتدي ملابس عجيبة باللون الأسود وعلى رأسه عمامة ضخمة وله لحية وشارب متمفج. كان ينظر يمينًا ويسارًا كأنه ينتظر شيئًا ما.

نظر (عماد) يساره فوجد (حازم) بجواره برمقه.. دوى انفجار فجأة اهتز له المكان. فصرخ الرجل ذو اللحية بلغة غريبة وجد (عماد) نفسه يفهمها:

” احضريا (لاقيس)!”

ظهرت زويعة أمام الرجل وتطايرت أتربة أنت من العدم في وجه (عماد) الذي فرك عينيه مندهشا مما يحدث. توقفت الزويعة عن الدوران وظهر مكانها شيء أسود بالكامل. ارتفاعه لا يقل عن أربعة أمتار ويعطي ل(عماد) ظهره. بينما الرجل ذو اللحية يقول:

”انشق الجان عنا”.

دوى انفجار آخر أعنف مما سبق. فصرخ الرجل:

”انهم يدمرون كل ما بنيناه وبسرقون الصحف والورق الذي دونته”.

تكلم الكائن الأسود بصوت مخيف مرتفع جعل (عماد) يتراجع خطوة للوراء. والكائن يقول:

”لا تحف. سأنقذ البقية وأطردهم من مدائننا”.

”يجب أن أذهب الآن”.

قالها ذو اللحية وهو يسير مبتعدا. فتساءل الكائن:

”وكيف سأوصل الصحف إليك؟”

أمرى المكلمة ونظر للشاب متسفا وهو يقول:

"أخبرني عن آخر أحوالك يا (سكر)".

"الحمد لله يا باشا، اشتقت للجلوس معك منذ شهر".

نادى (طه) النادل وطلب منه ل(سكر) شايًا ومغسلاً، ثم نظر له قائلاً:

"هل مارلت تستغل على السيارة النقل الخاصة ب(مصطفى)؟"

"الحمد لله يا باشا، جميلك لن أنسا، زوجني تدعوك كل يوم".

فألها (سكر) بأدب، فقال (طه) متسفا بود:

"أعرف أنك فرغت عندما طلبت منك تلك الأشياء في الهاتف منذ بضعة ساعات".

أنزل النادل الشيشة أمام (سكر)، فوضع هذا الأخير الميسم في فمه ليأخذ بضعة أنفاس سخنت المعجم وزادته احمرارًا.

"لم أفرغ يا باشا لكنني خفت عليك، فأنت بعيد عن هذا الطريق ولا ارضى لك أن تسلك ما سلكت أنا".

نظر (طه) أمامه وقال وهو يبتعث دخان الشيشة من أنفه:

"منذ عرفتك وأنا واضح دافعا، لا أكذب فيما أقوله ولا أسلك طرفا ملتوية لأطلب ما أريد، أليس كذلك؟"

هتفت (سكر) كان (طه) انهمه بحرمة:

“اعوذ بالله يا باشا.. حاشا لله أن أظن بك الكذب أو اللف والدوران.. كل ما هنالك أنني صُدمت في البداية عندما طلعت مني...”

“مخدر الحشيش وحبوب (ترامادول)“.

قالها (طه) وهو يقاطعه. فصمت (سكر) قليلاً. وخاصة عندما جاء النادل ليضع الشاي أمامه. مرت لحظات صامتة إلا من صوت فرقرة الشيشة حتى قطع (طه) الصمت بجديّة:

“اسمع يا (سكر). لست في طريقي لإدمان الترامادول ولا سأشرب الحشيش لمزاجي الخاص. سأستخدم الحشيش ليصنع هبوطاً في ضغط دمي وتقليل ضغط عيني. أما الترامادول سأستخدمه لتقليل الألم“.

هز (سكر) رأسه بقوة دلالة على فهمه لما يقوله (طه). لكن هذا الأخير كان يدرك أن (سكر) لم يستوعب أغلب ما قال. مذ (سكر) يده لداخل جيب سرواله وأخرج قبضته مغلقة تحمل داخلها إصبعاً طويلاً رقيقاً من الحشيش وشريط دواء (ترامادول). أعطاهما لـ(طه) بطريقة حاول أن يجعلها غير لافتة وهو يتلفت يمينا ويسارا.

“كم كلفتك؟“

سألها (طه) وهو يخرج رزمة نقود من جيب بدلته. فرفض (سكر) بإصرار حقيقي وأبعد يده وهو يحلف على (طه) بأنه لن يأخذ مليماً. ظل الحال بينهما هكذا لنصف دقيقة: (طه) يصر على إعطائه نقوداً والآخر يرفض بجديّة تعال معها صوته.

قالها وضحك مع صديقه. فابتسم (عماد) وهو يقول:

- "أعتقد أنك طالب في قسم التاريخ وتنتظر أستاذًا ما لتسليم بحثك الذي تحمله. وأعتقد أن ذاكرتي قوية بما يكفي لأحفظ اسمك المدون على غلاف البحث.. (حسام محمد عبد المجيد). ودكتور (محمود الطناني) صديق قديم لي وسأطلب منه توصية خاصة لك إن لم ندلي على مكانه الآن".

تأهب الشاب له لكن صديقه قال بسرعة:

- "أسف يا أستاذ.. مكتب الدكتور (طناني) هناك".

ثم أشار بيده لمكتب قريب. تركهما (عماد) وهو يسمع من أحدهما كلامًا خافتًا لم يتبين معناه.

طرق باب المكتب المفتوح ودخل فوجد دكتور (محمود) الذي رمق وجهه قليلًا كأنه يحاول تذكره. نظر (عماد) له بفرحة وإجلال مثلما تعود أن ينظر له دائمًا. وقد لاحظ أن السنين قد أظهرت مزيدًا من التجاعيد على وجهه الذي تعود عليه.

- "هل أعرفك من قبل يا بني؟"

قالها دكتور (محمود)، فاقرب منه (عماد) ومدّ يده ليصافحه قائلاً:

- "أنا (عماد) الذي..."

قاطعه دكتور (محمود) وهو يهتّب واقفًا لمصافحته قائلاً:

- "تذكرتك الآن. كيف حالك يا بني؟!"

"لم أتوقع أن تتذكرني.. الحمد لله على كل شيء يا سيدي".

فألبها (عماد) وهو يخفض رأسه احترامًا. فدعاه للجلوس أمامه وهو يضغط على زر بجانب المكتب. أتاه رجل يسأله عما يريد. فطلب ل(عماد) كولا وطلب لنفسه شايًا. في نفس اللحظة دخل رجل وسيم في الخمسين من عمره. ذو شعر أسود به بضع خصلات بيضاء. ويحمل في يده اليسرى بضعة كتب.

هش دكتور (محمود) للرجل وطلب له قدح قهوة وهو يطلب منه الجلوس. فقال الرجل بسرعة:

"يمكنني أن آتي في وقت آخر".

"لا يا (يسري). يجب أن أعرفك ب(عماد). فهو في معزتك لدي".

مد (يسري) يده يصافح (عماد) الذي وقف احترامًا له ودكتور (محمود) يتابع:

"(عماد) شاب نجيب لم ينتسب لكلية الآداب ولكنه باحث من الدرجة الأولى في المسائل التاريخية. أعرفه منذ كان طالبًا شغوفًا بالتاريخ الإسلامي والتصوف".

هز (يسري) رأسه ميتسفا بأدب فأكمل دكتور (محمود):

"أعرفك يا (عماد) بدكتور (يسري) المتخصص في التاريخ الإسلامي مثلي. علامة لم أشاهد مثله من قبل طوال مدة تدريسي للتاريخ. اعتبره ابني الروحي وأعترف أنني أتعلم منه الكثير".

“العفو يا أستاذنا”.

قالها (يسري) ثم نظر ل(عماد) قائلاً:

“فرصة سعيدة يا أستاذ (عماد)”.

فجأة قال دكتور (محمود) بمرح:

“أراهن بأنك جنت لتسأل عن معلومة تاريخية”.

ضحك (عماد) مجاملاً. وقال وشيء من الخجل ينخلل صوته:

“لن أنكر. فأنا لا أتق إلا بك في التاريخ الإسلامي”.

فهقه دكتور (محمود) وهو يرجع رأسه للخلف. ثم قال وابتسامة كبيرة
تغزو فمه:

“لا تخجل يا بني. هذا شيء بشرفتي.. قل ما تريد”.

تنحى (عماد) وقال:

“الموضوع يتعلق بأصف بن برخيا”.

عاد دكتور (محمود) بظهره للوراء ليرجعه على مسند المقعد وهو يقول:

“منذ زمن لم يناقشني أحد في موضوع كهذا. منذ أن اختفيت أنت
تعديداً”.

"نذكر طبعًا يا دكتور بأنك نصحتني ببعض الكتب عن هذه الشخصية. وناقشنا كثيرًا في نمطها وتحولها لأسطورة عند بعض الأديان والشعوب القديمة".

"طبعًا. وأذكر جيدًا أول سؤال سألتني إياه عنها. كنت تريد أن تعرف هل كتاب الأحناس ينسب فعلاً لاصف بن برخيا أم لا. وأجبتك بلا بشكل قطعي".

قال (يسري) (عماد):

"اعذراني على تدخلتي في الموضوع، لكن هل تعتمد على الفكر الديني في تكوين رأيك عن (أصف) أم على الفكر التاريخي؟"

فبل أن يجيبه (عماد) ضرب دكتور (محمود) بيده على جبهته وقال:

"نسيت يا (يسري) أنك قدمت بحثًا عن (أصف) منذ سنوات في الفكر الشيعي".

"لم تمر علي أبحاث عن (أصف) في الفكر الشيعي".

قالها (عماد) متسانلاً كأنما يدعو (يسري) للتحدث. فقال الأخير:

"في الدين الإسلامي اعتمدت كلا المصادر السنية والشيعية على المرويات الإسرائيلية في حكاية (أصف). وإن أعطوه في الفكر الشيعي اسمًا أقرب للعبرية وهو (إساف) أو (عساف) بلفظ آخر. وفي بعض المرويات أسموه (بليخا بن برخيا). وقالوا بأنه قريب لسليمان".

وتأرجحت صلة القرابة بين ابن الأخت وابن الخالة. لكنها في كل الحالات أعلنت من شأنه في مجلس (سليمان).“

ردّ عليه (عماد) بسرعة:

“لا أجد فرقاً واضحاً يميز الفكر الشيعي في تلك المسألة“.

“الفرق أن بعض الروايات اعتمدوا فيها على أنتمهم مثل الإمام (الباقر) الذي قال إن (أصف) امتلك حرفاً من اسم الله الأعظم. وهو ما تكلم به فخسف بالأرض ما بينه وبين عرش (بلقيس). فمد يده يأخذه ثم عادت الأرض لما كانت عليه.. والإمام (الصادق) الذي قال بأن الأرض طويت له فأتى العرش في طرفة عين. وغيرهما من الأئمة الذين تكلموا عن مسألة هل (أصف) من الجان أم البشر“.

“أم مهجن؟“

قالها (عماد). فرفع (يسري) حاجبه الأيسر مندهشاً. بينما قال دكتور (محمود):

“ما يقوله مضبوط يا (يسري). هناك من تكلم في تلك المسألة. أنه في مرتبة ما بين البشر والجان. لكن قل لي يا (عماد): ما الذي تبحث عنه تحديداً ويتعلق بأصف؟“

أخرج (عماد) من جيبه الورقة المطوية التي احتوت على الكلمات التي كتبها (بصفيديش) وأعطاهما لدكتور (محمود). الذي فتحها ونظر لها لثوانٍ ثم قال:

"ما هذا؟"

"نص من مخطوط وجدته يتحدث عن (أصف)".

"وهل معك المخطوط الأصلي؟"

"صاحبه استرده ثانية. لكنني نقلت تلك الكلمات التي تتكلم عن (أصف)".

نظر دكتور (محمود) للورقة مرة ثانية ثم هز كتفيه وقال:

"أسف يا (عماد).. ليست لي خبرة باللغات كما تعرف".

نهض (يسري) ووقف بجانب المكتب ينظر بفضول للكلمات. رمق (عماد) وقال:

"أعتقد أنني أعرف معنى هذه الحروف".

قفز (عماد) من موضعه وهو يسأل:

"ما معناها؟"

"رأيت مثلها في طلاسم مزامير داوود".

"تقصد أنها ترجمة لإحدى المزامير؟"

"لا.. أتكلم عن الطلاسم المستخدمة في سحر المزامير الذي استخدمه حاخامات اليهود. أشرفت على رسالة دكتوراه من زمن طويل عن تلك المزامير. ولكنني لا أتذكر هذا الطلاسم بالتحديد".

تأهب دكتور (محمود) وهو يقول:

- "هل هناك احتمال أن يكون هذا الطلسم هو..."

لم يكمل جملته بينما هزّ (يسري) رأسه إيجاباً وهو يقول:

- "ربما يكون هذا الطلسم هو الطلسم رقم 51 للمزامير.. الطلسم المفقود".

(قسم روض الفرج)

نظر الضابط لـ (حامد) الواقف ببدلته البنية بيتسم له في وذ لم يعط انطباعاً في نفس الضابط سوى الغباء.

- "تقول إنك تريد مقابلة المأمور لأمر هام؟"

- "نعم يا سيدي".

قالها (حامد) بفخر لم يفهمه الضابط.

- "وهل يمكن أن أعرفه؟"

- "للأسف لا".

- "إذن لن تقابله".

- "قل له إنني كنت معه في مشرحة (زينهم) منذ يومين".

أفلتت من الضابط ضحكة ساخرة. مزبه ضابط شاب آخر فتساءل عن سبب ضحكته. همس له بوضع كلمات في أذنه وهو يشير لـ(حامد) الواقف أمام الكاونتر. فابتسم الضابط الشاب وقال وهو يمد يده ناحية (حامد):

- "بطاقتك من فضلك".

أخرج (حامد) بطاقته من محفظته وأعطاهما له والابتسامة لم تفارق وجهه. فاطلع عليها الضابط وهو يقول:

- "تقول يا عم (حامد) إنك كنت معه في مشرحة (زينهم)، هل كنت هناك لتتعرف على جثة مثلاً؟"

- "أدرك أنكم ترونني مجنوناً. لكن الحقيقة أنني كنت هناك بسبب مشاكل تعرض لها المأمور. ولو علم أنكم منعموني من مقابلته سيفضب بشدة".

- "المأمور لم يذهب لمشرحة زينهم منذ فترة. وأنت إما مجنون أو جنت هنا للمزاح".

قالها الضابط الأول بشيء من الجدية. فاخضت ابتسامة (حامد) وهو يقولك:

- "لن نخسر شيئاً لو أبلغتماه بوجودي".

- "انتظر هنا في مكانك حتى يدخل سيادة المأمور لمكتبه".

نظر (حامد) حوله حتى وجد مقعدًا خشبيًا متهاكًا بجانب الكاونتر فجلس عليه وهو يسمع صوت (رحيم) يقول:

"ما تفعله أغبي شيء توقعته منك".

"هل حفظت ما اتفقنا عليه يا (قاصيم)؟"

"حفظت ولكنني لن أضحي بأي من رجالي يا (حازم)".

"لم أطلب منك التضحية بأحد. لكننا لن نعرف قدرته إلا بما اتفقنا عليه".

كان (حازم) يقول عبارته وهو يُحضر صينية يضع عليها بعض الأكواب الفارغة. فجأة رن هاتفه المحمول خارج الصالة فأسرع يرد ليصف (رقية) كيفية الوصول لشقته هي و(إسلام). أنهى المكالمة ونظر ل(قاصيم) قائلاً:

"والآن اذهب أنت ورجالك وتأكد جيدًا من عدم وجود جان داخل الشقة وخارجها".

اختفى (قاصيم) من جانبه. فجلس (حازم) على أريكة الصالة وشبك يديه وهو ينظر لباب الشقة متظاهرًا بالهدوء.

رن جرس الباب فهض يفتحه بخطوات جعلها متناقلة لتكسبه هدوءًا وثقة.. طالع وجه (رقية) التي براها لأول مرة بملابس غير معطف الأطباء الأبيض. لوهلة فكر كم هي جميلة لكنه نفس الفكرة بعيدًا

عنه بسرعة وهو ينظر لـ(إسلام) المرتبك وهو يقف بجانبها. هسن وجه
(حازم) له وهو يقول:

”كيف حالك يا صديقي؟“

نظر (إسلام) لـ(رقية) وسأل بحذر:

”هل أعرفه؟“

جلس (عماد) يكتب في غرفة تضم عددًا من المكاتب لأعضاء هيئة تدريس
قسم التاريخ. كان يجلس خلف مكتب (يسري) الذي جلس بعيدًا عنه
أمام مكتب أحد أساتذة القسم يتحدث معه بخصوص إحدى
مشاكل القسم.

منذ قليل طلب دكتور (محمود) من (يسري) أن يتابع مع (عماد) كل شيء
يخص الكلمات الغربية التي طلب معرفتها. وخاصة أن الأول لا خبرة
له في هذه المنطقة التاريخية. بينما الثاني على معرفة بها.

نقل (عماد) على ورقة فارغة نفس الكلمات التي أراد معرفة معناها. ثم
رمق (يسري) منتظرًا أن ينهي حديثه. وعندما عاد (يسري) للجلوس
خلف مكتبه سأل (عماد):

”هل انتهيت؟“

سلمه (عماد) الورقة قائلاً:

”أرجو أن تفيدك“.

رمقها بنمعن في حين قال (عماد):

- "لكن عندي سؤال".

لم يرفع (يسري) عينيه عن الورقة وابتسم وهو يقول:

- "تفضل".

- "قرأت في مزامير داوود للسحر منذ زمن. والرموز التي وجدتها بجانب كل مزمور لم ألاحظ تشابها بينها وبين تلك الكلمات".

- "يمكنني أن أوضح لك تلك النقطة لو أردت. لكن ليس قبل أن تصارحني ببعض الحقيقة حتى يمكنني مساعدتك بصدق".

بُهِت وجه (عماد) لثوانٍ. وخاصة أن (يسري) لم يرفع عينه عن الورقة حتى تلك اللحظة. مرت لحظات صمت حتى تكلم (يسري) بصوت خافت وبنفس ابتسامته:

- "لو كانت تلك الكلمات من مخطوط عادي كنت ستحتفظ بنسخة من المخطوط مصورة. أو حتى ستفهم من بقية المخطوط أي شيء عن الكلمات.. فإما أنك تعرف بعض التفاصيل عن هذه الكلمات وتحتفظ بها. أو أنك تبحث عن شيء معين غير (أصف بن برخيا) وتأمل بأن تصل له بطريقة غير مباشرة بدون أن يعرف أحد".

قال عبارته ورمقه بنفس ابتسامته.. في أول بضع ثوانٍ حاول (عماد) أن يغير تعبير وجهه ليوحي بالثقة. لكنه شعر بحصار نفسي من كلمات (يسري). تنحج وقال بطريقة حاول أن تكون واثقة:

- "ولو افترضنا أنني أبطن أكثر مما أظهر، هل لو علمت ما أكتمه سنصل
لمعنى تلك الكلمات؟"

- "أعدك أنني سأفيدك أكثر مما تتخيل."

قالها (يسري) والجديّة تغزو ملاحمه عوضاً عن الابتسامه وهو يعتدل في
مقعده وكأنه يتوقع سماع شيء هام من (عماد)، بينما تسارعت
أنفاس هذا الأخير وهو يرمق الأرض كأنه حائر في شيء ما، فجأة نظره
وقال:

- "لا أعرف أكثر من أن هذه الكلمات تتعلق بعفريت يدعى (لاقيس
الإبليسي) وهو العفريت الذي كلم النبي (سليمان) عليه السلام ليأتي
بعرش (بلقيس)، وهناك افتراض بأن هذا العفريت اختفى هو وقبيلته
وينتظرون عودة (أصف بن برخيا) ليعطوا له أشياء لا أعرف ما هي.
وتلك الكلمات بها مفتاح عودتهم ثانية."

تجمدت ملامح (يسري) للحظات ولم يصدر منه أي تعبير. حتى قال
متسانلاً:

- "هل تتكلم بجديّة؟"

- "أنت طلبت كل ما أعرفه وبخص الكلمات. يمكنك أن تصدق أو تعتبرها
أسطورة. أو يمكنك أن..."

قاطعه (يسري) قائلاً:

- "ولم تريد هذا العفريت؟ هل تؤمن بتحضير الجان؟"

ابنهم (عماد) وقال:

"لنقل إنني مؤمن ومهتم بهذا الموضوع.. والآن هل ستساعدني؟"

"سأساعدك ولكن لأروي فضولي في البحث حول هذه الكلمات. لكن مسألة العفاريث هذه سنؤجلها لوقت آخر".

أراح (عماد) ظهره لمسند مقعده وهو يقول:

"المهم أنك ستساعد بغض النظر عن السبب".

سعل (يسري) وهو يسترخي في مقعده ويخرج من جيبه علبة سجانه ويشعل واحدة قائلاً:

"تعرف بالطبع الكثير عن مزامير داوود في العهد القديم. كما أخبرني دكتور (محمود)".

أشار (عماد) برأسه علامة الموافقة. فأكمل (يسري):

"أنت تعرف أن مزامير داوود لم تكتب في وقت واحد. وإن كان أشهرها ما كُتِب في السبي البابلي في وقت الملك (نبوخذ نصر). وبعضها على حسب الروايات كُتِب قبل (سليمان) وبعضها بعده. المهم أن بعض الباحثين حدّدوا أن بعض اليهود كتبوا طلاسماً أثناء السبي البابلي وادّعوا قدرتهم على السحر ومعرفة الغيب وشفاء المرضى وإنزال البلاء بالناس. وقاموا بجمع المزامير وأضافوا عليها بعض الترانيم. وحدّدوا لكل مزموّر طلاسماً يُكتب. ومع كل طلاسماً بعض الحسابات

لوقت عمل السحر. هناك من جمع تلك الطلاسم مع المزامير نفسها
في كتاب كبحث".

قاطعه (عماد) قائلاً:

"تقصد الكتاب الذي صدر في التسعينات؟"

"بالضبط.. وطالما أنك قرأته فدعني أخبرك أنه كان مجهودًا خرافيًا في
جمع تلك المزامير وطلاسمها. لكن للأسف الطلاسم نفسها ليست التي
كُتبت في الأسر البابلي".

لم يظهر أي تأثير للكلمات (يسري) على وجه (عماد) وكأنه ينتظر أن يتأكد
من المفاجأة أولاً قبل أن يتفاجأ:

"قارن بين الطلاسم المنتشرة بين أيدي الباحثين والمترجمين الذين تكلموا
عن مزامير النبي داوود وبين أي طلسم ذكر في كتب السحر التراثية
الشعبية الخاصة بالعصور الوسطى في المنطقة الشرقية. ستجدها
مطابقة لها. المشكلة الوحيدة أن المترجمين في تلك العصور اعتمدوا
على نسخ مختلفة حوت بعض الطلاسم المستخدمة في ذلك العصر
سرها بعض الخاخامات ليحتفظوا بأصلها لأسباب خاصة بهم".
"أي أسباب؟"

"اعتقادهم بصحتها بالطبع.. وحتى لو لم يعتقد بعضهم بذلك. فلا تمن
عشق الخاخامات القدامى لحفظ الأسرار بين خاصتهم وإظهار الفئات
للناس لتظل السلطة الدينية بينهم متوارثة أبد الدهر".

سحب (يسري) بضعة أنفاس من السجارة وهو يبحث عن المطفأ فلم يجدها. نادى على الأستاذ الذي كان يتحدث إليه منذ قليل وطلب مخطأته الموضوعية على مكتبه. اعتدل (عماد) في جلسته وقد بدأ يشعر بالملل من قلة المعلومات.

"المهم أن أحد القساوسة المصريين استطاع الحصول على نسخة خاصة من أحد الحاخامات المتحولين للمسيحية. وقام أحد الرهبان بترجمتها للغة القبطية. اسم الراهب على ما أتذكر هو (سمعان). هذا الراهب قام بترجمة ذكية لطلاسم المزامير."

"ترجمة ذكية!؟"

"لا يوجد مثل هذا المصطلح علميًا. لكنني أطلقه على المترجم الذي احتفظ بأصل ترجمته. وهذا ما فعله (سمعان): لقد احتفظ إلى جانب ترجمة المزامير والطلاسم بالنسخة الأصلية للكتاب التي كتبت باللغة العبرية القديمة. وفي أول القرن العشرين سلمت الكنيسة بعض ترجماتها الخاصة لدار الوثائق كما نسميها اليوم. وكانت النسخة الأصلية وترجمتها من ضمن الكتب المسلمة. أخذت الكتب رقمًا وظلت في المخازن فترة طويلة حتى استطعت الوصول لها منذ سنوات طويلة وأخذت صورًا ضوئية لدراستها منذ فترة طويلة."

"جيد جدًا."

"المفاجأة السينة في الأمر هي أن (سمعان) قطع آخر ورقة في المزامير من النسخة الأصلية. والتي تحتوي على المزمور 151. ولم يترجمها. والسبب غير معروف."

"لكن ترجمات المزامير الكاملة منشورة في كل العالم".

انطفاً (يسري) السيجارة وهو يقول:

"لا تدس أني لا أنكلم عن ترجمة نص المزامير. أنا أنكلم عن السحر والطلاسم الخاصة بها".

"وهل هناك سبب واضح أو صريح لحذفه المزمور الأخير؟"

"لا.. وهذا ما حيرني فترة.. إلا أنني فكّرت في أنه كان يؤمن بأن آخر مزمور هو الأقوى كما يقول التراث اليهودي".

"وهل (أصف بن برخيا) علاقة بذلك؟"

"(أصف بن برخيا) كان على عهد النبي (سليمان). وكما آمن الشيعة بصلة قرابته بسليمان. آمن اليهود بذلك. وأمنوا أيضاً باستعماله لتراث (داوود) في السيطرة على الجان. والمزمور الأخير هو ما يعتقدون بأنه استعمله"

"لكن اليهود لم يؤمنوا بالمزمور الأخير في بعض..."

قاطعه (يسري) قائلاً:

"هذا هو المشهور عنهم.. لكن الحقيقة أن طوائف كثيرة منهم كانت ومازالت مؤمنة بهذا المزمور".

"والحل؟"

"الحل أن تتركبي الليلة وسأحاول التوصل لأي خبط.. لكن لا أعدك".

”سأترك لك هاتفني إن احتجت له“.

أمسك (عماد) بورقة فارغة وخط بها رقم هاتفه. فقال (يسري):

”هل ظل هناك شيء ما تخبرني به ليفيدني في بحثي؟“

توقف (عماد) عن الكتابة لثوانٍ وأخذ يفكر. ثم أكمل الكتابة وهو يقول:

”لا يوجد شيء معين“.

”وموضوع العفارت؟“

”أنت قلت إننا سنؤجله لوقت آخر“.

”هل تعرف يا سيد (عماد) أن أحد تلامذتي طلب استشارتي في موضوع يتعلق بهذا التراث. والغريبة أن هذا الطالب هو وصديقه لم يحضرا لي أي محاضرة منذ أن تكلمنا عن هذا الموضوع. أعتقد أنهما كانا يستفسران عن شيء ما يدعى (مخطوطة ابن إسحاق).. لا أعرف سر اهتمام الناس هذه الأيام بتلك الأمور“.

”هل هناك شيء آخر بخلاف مشكلة هذا المسجون؟“

قالها مأمور قسم روض الفرج وهو ينظر بنصف عين لأوراق محضر اختفاء. فهض الرائد من على المكتب وهو يللمم بعض الأوراق ويقول:

"هناك فتى جاء منذ الصباح الباكر طالبًا لقاءك".

"من هذا؟"

قالها المأمور بعدم اهتمام. فضحك الرائد وهو يقول بسخرية:

"نسأل عليه منذ الصباح. يتحدث عن الجن والعفاريت و..."

"ماذا؟"

قالها المأمور باهتمام شديد. فتوقف الرائد عن الضحك وهو يقول له:

"يقول إنه كان مع سيادتك في مشرحة زينهم منذ يومين تقريبًا".

"أحضره لي فورًا".

"لا تخف من شيء يا (إسلام). أنا كنت صديقك".

قالها (حازم) وهو يجلس على مقعد بجانب (إسلام) الذي جلس ملتصقًا
ب(رقية) التي لم يبذُ عليها أن تضايقت. وكأنها تدرك حسن نيته.

نظر (إسلام) لها متسانلاً فهزت رأسها بالموافقة.

"صديقي من الطفولة؟"

سأل (إسلام) بهدوء.

"في الحقيقة منذ أيام فقط. قل لي ما الذي تتذكره عن مخطوطة ابن
إسحاق؟"

مز كتفيه بمعنى عدم الفهم. فأتسعت عينا (حازم) رعباً حتى قالت (رقية):

"لقد نسي الكثير من التفاصيل الخاصة بحياته. وحتى تلك الخاصة بدخوله المستشفى وخروجه منها."

"لكنه يتذكرك!"

فألها (حازم) بشك.

"ولا أعرف السبب. عائلته اطمأنت لي عندما وجدوا أنه لم ينس وجودي. برغم أنه لا يتذكر متى عرفني."

"والقرين؟"

"تقصد شبيهي الذي يزورني؟"

"تتذكركم مرة رأيته؟"

"لا.. لكني أعرف أنه زارني كثيراً."

نظر للأعلى متذكراً. ثم قال بسرعة:

"عندما نهضت من نومي اليوم وجدته يقف أمامي بلا حركة. ظل هكذا قليلاً ثم فتح باب الغرفة وخرج."

نهض (حازم) وهو يقول:

"دقيقة وسأحضر لكما الشاي."

تركهما ودخل للمطبخ ليحضر الشاي. وبينما يقوم بصبه في الأكواب أخذ يتمم ببضع كلمات بصوت خافت. سمع شهقة أنثوية من الصلاة. فحمل أكواب الشاي على الصينية وغادر المطبخ بهدوء.

في الصلاة وجد القرين يقف أمام (رقية) الجالسة بخوف وبجانها (إسلام). لحظة دخوله نظر له القرين نظرة بلا معنى وظل ثابتاً بلا حركة. نظر لصدر القرين فوجده ثابتاً. كان يريد أن يعرف هل القرين له حياة منفصلة ويعتمد على التنفس كأبي كانن حي ليتمكن قتله بتلك الطريقة أم لا.

اقترب منه فلم يتحرك... مز بجانبه ووضع صينية الشاي على المنضدة. وجلس على المقعد وهو يقول:

- "منذ متى جاء؟"

- "بعد دخولك المطبخ بقليل، جاء من إحدى تلك الغرف."

قالتها (رقية) وهي تشير لإحدى الغرف.

- "تحدث معه يا (إسلام) واسأله عن سبب مجيئه."

قالها (حازم) وهو لا يرفع عينيه عن القرين. فنظر (إسلام) ل(رقية). التي أشارت برأسها موافقة.

- "لماذا أتيت الآن."

حرك القرين رأسه ونظر ل(إسلام) قائلاً:

- "جني بحمل سلاخا يقف بالقرب منك."

قالها بصوت (إسلام) لكنه صوت لا يحمل أي مشاعر. ثم أشار بيده
لموضع عند باب الشقة. فابتسم (حازم) وهو يقول:

- "ولماذا لم تهاجم هذا الجني؟"

لم يتكلم القرين وظلت عيناه على (إسلام) بلا أي حركة. فطلب (حازم)
من (إسلام) أن يسأله نفس السؤال. فكان رده:

- "لأنه لم يهاجمك".

هنا قال (حازم):

- "أنا من طلبت من هذا الجني أن يأتي".

نظر له القرين وفجأة تحرك بسرعة خاطفة وأمسك برقبتة. فصرخت
(رقية) في (إسلام) أن يوقفه. فلم يضع هذا الأخير الوقت وأمره
بالتوقف والابتعاد عن (حازم). عاد القرين لوقفته الأولى. لكنه لم
يُحرك عينيه عن (حازم).

- "كيف أحضرت هذا الجني؟"

فالتها (رقية) بعدم تصديق. فأجابها:

- "هو من خدمتي. لكنني صرفتهم جميعًا منذ قليل وأحضرت هذا فقط
لأعرف ردة فعل القرين.. في البداية لم يعرف أنني من أحضرت الجني.
لكن بمجرد علمه هاجمني كمصدر للخطر كما فعل سابقًا.. الآن أريد
أن أعرف ما الذي سيفعله إن هاجمه الجني في هيئته الأصلية".

نظر (حازم) للركن الذي كان قد أشار له القرين وقال:

- "أنا لا أراك الآن.. لكن اهجم على هذا القرين".

مرت فترة زمنية لم يتحرك فيها القرين. فطلب (حازم) من (إسلام) أن يسأله عما يحدث. فأجاب القرين:

- "الجني يحاول قتلي".

لمعت عينا (حازم) وهو يقول:

- "اهجم على (إسلام)".

هنا مد القرين يده اليمنى في الهواء بسرعة وقام بإغلاق قبضته على شيء ما. ظهرت في مكان قبضة القرين كتلة حمراء تشكلت لشكل فرد ذي لون أحمر يتغير للون الرمادي. والقرين يقبض على رقبته والقرود يمسك شيئاً مزخرفاً يشبه الخنجر. صرخ (حازم) في (إسلام) أن يأمره بترك الجني. لكن (إسلام) أخذته المفاجأة وهو ينظر للقرود الذي يحاول الإفلات من يد القرين بلا فائدة. صرخ فيه (حازم) مرة ثانية وهو ينهض.

لكن (إسلام) نظر له وقال بعصبية:

- "لا تصرخ في هكذا".

- "قرينك سيفتله يا غي!".

نظر له (إسلام) بغضب أكثر.. فجأة ترك القرين القرود وهجم على (حازم) بكيل له لكمة أفقدته الوعي.

بمجرد دخول (حامد) على المأمور قال هذا الأخير:

-"أنت الذي تعثرت عند دخولك عليّ في غرفة التشرّيح؟"

تنحّج (حامد) وهو يعدّل من هندامه ويقول:

-"لم أتعثّر.. لقد كانت خدعة كبيرة. خطة خداع استراتيجي كي يمكنني أن..."

قاطعها المأمور بصرامة قائلاً:

-"اجلس!"

جلس (حامد) أمامه وهو يتنحّج كل بضعة ثوانٍ بلا سبب.

-"ما بالك؟ هل أطلب لك ينسوناً ليتوقف السعال؟"

-"شكراً.. أنا فقط أشعر بصدمة لمقابلتك."

-"تكلم. ما الذي أتى بك؟"

-"خدمة.. أريد منك خدمة."

-"آخر ما أتوقّعه من هذا الموقف!"

قالها المأمور وهو يعتدل محافظاً على وجهه الجامد. فسأله (حامد):

-"ألن تطلب لي شيئاً أشربه؟"

رفع المأمور حاجبيه مندهشاً وهو يقول:

- "أنت مجنون؟"

"لا".

خبط المأمور كفاً بكف وهو ينظر حوله ويتمتم بكلمات خافتة.

- "هل تقول شيئاً يا سيدي؟"

قالها (حامد) فردّ عليه المأمور بغضب:

- "تكلم يا هذا قبل أن ينفد صبري!"

أخرج (حامد) من جيبه ورقة وأعطاهما له وهو يقول:

- "هذا عنوان مجموعة عمارات بشبرا الخيمة. في إحدى تلك العمارات يقطن رجل له علاقة بالكهرباء."

ثم نظر بجانبه وقال:

- "أليس كذلك يا (رحيم)؟"

لطم (رحيم) وهو يصرخ في أذن (حامد) قائلاً:

- "فضحتني!"

- "لا تخف يا (رحيم). سيادة المأمور منا وعلينا."

نظر المأمور بشك للموضع الذي يحدثه (حامد) وسأل:

- "مع من نتحدث؟ جني؟!"

"(رحيم) حرك أي شيء لتثبت وجودك".

تحركت مطفأة تبغ على المكتب حركة بطيئة. فترجع الأمور في مقعده وهو يستعيد بالله من الشيطان. ثم نظر ل(حامد) وقد اختلفت ملامحه الجامدة وهو يقول:

"في الحقيقة لم أتخيل أنك أيضًا تتعامل مع الجان مظهرك لا يوحي
بأكثر من شمام!"

"شكرًا.. لي خادم من الجان لكنه أقوى مما أبدو أنا عليه".

"وطبعا ستهددني بحياة عائلتي مقابل تلك الخدمة".

"بالعكس.. أنا أعرف أنك تبحث عن إجابات، وسأعطيك الكثير مقابل
ما ستعطيني إياه"

"أين الفئاة المدعوة (حبيبة) التي اختلفت يوم إصابة (إسلام)؟ أهلها
تقدموا ببلاغ اختفاء أول أمس".

قالها ورفع أوراق المحضر الذي كان يمسكه منذ قليل. وأكمل:

"وما هذا الكائن الذي كنا نشرحه قبل أن تأتي ومن معك؟"

"سأجيبك لكن عدني أن تلي طلبي أولاً".

قالها (حامد) بثبات وثقة يتناقضان مع شخصيته.

"قلت لي ماذا تريد؟"

"أريد البحث بين سكان هذه العمان عن شخص له علاقة بالكهرباء
كهربائي.. مهندس كهرباء.. شخص عمل بمجال الكهرباء منذ فترة".

ثم نظر (حامد) لـ (رحيم) وقال:

"كلامي مضبوط يا (رحيم)؟"

رد عليه:

"قلت لك من قبل هي مجرد نظرية لا أتقن بها، (سنان) تعرض لطاقة
أعلى من تحمل جسده، مثلما تعرض الرمز في الغرفة النحاسية
لطاقة أعلى من طاقة تشغيله، ربما مصادفة، لا أعرف".

"لا توجد مصادفات يا صديقي".

قالها (حامد) ونظر للمأمور الذي قال:

"ما تقوله مستحيل، هذا الطالب خارج نطاق سلطتي".

"ستعند حلًا".

"لن أعذك قبل أن تخبرني بكل التفاصيل منذ البداية، وتجب على كل
أسئلتني".

"تفضل.. وكل ما أعرفه تحت أمرك".

توقفت العربة نصف النقل أمام بوابة المصنع وخلفها توقفت سيارة
(عمرو)، وخرج منها ليرشد عاملين وقفوا في صندوقها الخلفي بجانب

القاعدة الحديدية وبعض القطع الأخرى. حانت منه التفاتة لسيارة تقف بجانب الباب وعرف بسرعة أنها سيارة (طه).

في نفس اللحظة تقريبًا انفتح باب المصنع ببطء ليظهر خلفه (طه) وهو يشده. مرتديًا نفس البذلة التي شاهده بها أمس.

أشار (عمرو) للعاملين بأن ينقلا كل شيء لداخل المصنع. وساعدهما مع (طه) لإزالة القاعدة الحديدية وبقيبة الأشياء ووضعها في الداخل.

بعدما انتهوا حاسب (عمرو) العاملين. ثم انتبه لكثير من الأشياء داخل المصنع. ألواح خشبية كبيرة مثبتة على الأرض. وأجهزة لم يميز بعضها لكنه تأكد من صلتها بأعمال الكهرباء.

في أحد جوانب المصنع الفارغة وجد منضدة صغيرة امتلأت بأوراق وملفات ضخمة وبجانبها ثلاثة مقاعد خشبية.

- "هذا الصباح نقلت أشياء وأدواتي وقضيت بضع مهام ثم عدت لانتظرك."

قالها (طه) لما رأى نظرات (عمرو) المتفحصة للأدوات.

- "إذن لم تنم منذ أمس؟"

- "نمت ساعتين ظهرًا على هذه المنضدة."

- "يبدو القلق في وجهك بجانب الإرهاق."

جلس الاثنان على مقعدين خشبيين. سحب (طه) من تحت المنضدة
حقيبة بلاستيكية أخرج منها علبة عصير. أعطى واحدة ل(عمرو)
وفتح الثانية ليشرّب منها.

"هل يمكنك الآن إخباري بما نفعل؟"

قالها (عمرو) وهو يستمتع بشرب العصير. فترك (طه) عبوته جانباً
واسترخى في مقعده وقال:

"بقي القليل لتعرف كل شيء. ولكن قل لي قبل كل شيء. هل تؤمن
بذكائي؟"

"ماذا؟!"

"لا تعتبر سؤالاً درئاً من الغرور. لكن يهمني أن أعرف مدى ثقتك
بذكائي."

"لم أشك بذكائك من قبل. ومنذ تعرفت عليك في إعدادي هندسة قلت
إنك عبقرى. ولم أغير رأيي من حينها."

"لوقلت لك إنني توصلت لنظرية علمية وأنني قمت بعشرات التجارب
التمهيدية في السنوات السابقة لإثباتها. هل ستصدقني؟"
"نظرية علمية؟"

قالها (عمرو) بسخرية تختلط بالدهشة مع ابتسامة صغيرة. فابتسم له
(طه) وهو يقول:

"أعلم أن كلمة "نظرية علمية" كبيرة وتحتاج للكثير لتصديقها. لكن قلت لك إنني فمت بتجارب تمهيدية لإثباتها. واليوم التجربة الأولى الحقيقية والتي استأمنتك على حضورها والعمل فيها عمي".

نظر (عمرو) لوجه (طه) يتفحصه بشك قبل أن يقول:

"هل تتكلم بجدية يا (طه)؟"

"أتكلم بجدية وأسألك هل ستثق في؟"

تهب (عمرو) وقال:

"أثق بك لكن ما..."

قاطعته (طه):

"إذن هل تصدقني لو قلت لك إنني سأشرح لك كل شيء بعد أن تنتهي من كل التحضير للتجربة؟ كل ما أطلبه ألا تسألني في أي شيء حتى بدء التجربة. حينها ستعرف كل التفاصيل".

"يمكنني أن أساعدك وأغادر إن أردت".

"لا.. لا أثق بغيرك كملاحظ للتجربة".

"أنا غير مؤهل للتجارب العلمية، خصوصًا تلك التي تتعلق بسجال الكهرباء. وفاندتي لك لن تذكر".

كان (عمرو) يتكلم بملل بعدما شعر أن عليه السير على شروط وضعها (طه) كي يعرف ما يحدث.

منا نهض (طه) من موضعه وهو يقول:

- "هيا بنا إذن لتركب الآلة الجديدة وتكمل التحضيرات".

- "لكن تذكر أنني لا أحمل الآن أي فضول حقيقي لمعرفة التجربة".

قالها وقام معه. أخذ (طه) معه ورقتين من الأوراق على المنضدة. وذهبا إلى القاعدة الحديدية. تأكد (طه) أولاً من ثباتها. وتأكد من عزلها عن الأرض من الكهرباء. وأعطى التصميم ل(عمرو). حملاً الموتور الذي أحضره (عمرو) من قبل وركبها في القاعدة بحرص وهما يثبتانه بقطع صغيرة داخلها. وأعلى الموتور قاما بتركيب التروس الحديدية وثبتا داخلها صارناً من الصلب توافقت مقاييسه مع التروس. كان (طه) قد أحضره صباحاً بعدما أوصى عليه أمس أحد أصدقائه. طلب (طه) من صديقه أن يجلس هو ريثما ينتهي من توصيلاته الكهربائية. فنقذ (عمرو) طلبه ببرود وجلس بشاهده وهو يأخذ القواعد الخشبية ويحيط بها القاعدة الحديدية. ويقوم بعمل عدة توصيلات لجهاز آخر يتحكم في شدة التيار الكهربائي.

ثم أوصل الموتور بنفس الجهاز.

- "ما فائدة تلك الألواح الخشبية؟"

قالها (عمرو) بعدما عاد القضول لداخله مرة أخرى. فابتسم (طه) دون أن ينظر إليه وهو يقول:

- "الألواح تحتوي على أسلاك نحاسية لصنع مجال كهرومغناطيسي قوي".

انعقد حاجبا (عمرو) وشعر أن الموضوع ليس هينا كما تخيل

انتهى (طه) ونظر لـ (عمرو) قائلاً:

”ستجد زجاجة مياة تحت المنضدة، صب لي قليلاً منها“.

قالها وهو يقرب كفيه المتسخين من (عمرو) الذي وجد الزجاجة وأخذ يصب له بعضاً منها.. أخرج (طه) مندبلاً ورقياً من جيب بدلته وجفف كفيه وهو يقول:

”استعد للجزء الأكثر جنوناً يا صديقي!“

فتح الكبس الأسود وأخرج زجاجة تشبه زجاجات الدواء مليئة بسائل أحمر وقلم حبر من الذي يتم ملؤه يدوياً، وضعهما على المنضدة وبحث بين الأوراق حتى أخرج ورقة ملئت بالطلاسم.

خلع حذاءيه وجوربيه ورفع قدمه اليمنى على المقعد، ثم ملأ القلم بالسانل الأحمر الموضوع في الزجاجة.

”هل ستضع مونوكير الآن على أظافرك؟“

لم يعره (طه) انتباهاً وهو ينقل على قدمه تلك الطلاسم بدقة شديدة.. انتهى من إحدى قدميه وفعل مع الأخرى المثل.

”..(طه).. ما علاقة هذا بتجربتك؟ هل جننت؟!“

”لا.. لم أجن، واتفقنا أنني لن أتكلم إلا قبل البدء في التجربة“.

انتهى من قدمه اليسرى وجلس على المقعد وهو ينقل طلاسماً أخرى على ظهر يده اليمنى محاولاً ألا يتركها ترتعش. ثم فعل المثل مع اليسرى.

وضع بعدها القلم وهو يمسح بباطن يده حبات العرق المتكونة على جبينه ورقبته ويقول:

"قل لي هل تتذكر آخر مرة شربت فيها الحشيش؟"

"من مدة طويلة.. لِمَ تسأل؟"

أخرج من جيب بدلقه شريط دواء تناول منه حبة ابتلعها بقليل من الماء.

"ما هذا يا (طه)؟"

"مضاد للقيء.. أخذه احتياطياً. ولا تخف لن نحتاجه."

ثم أخرج شريطاً آخر وابتلع منه قرصاً.

"وهذا؟"

"ترامادول."

اتسعت عيننا (عمرو) رعينا وقال:

"هل أدمنت هذا الشيء؟"

"أول مرة أننا نأكله فيها."

"ولم نأكله؟"

"لأنحمل الألم."

قالها وأخرج من أحد جيوبه بضع سجائر حشيش ملفوفة. أعطى
(عمرو) واحدة وهو يقول ضاحكًا:

”مساء الفل!“

أخذها (عمرو) قائلاً:

”أشعر أنك تُعد لي مقلبًا ما.. ترسم طلاس على جسدك وتتناول
ترامادول وتشرب حشيش. لم أعهدك تناوله مثلي.“

”هذه هي المرة الأولى لي. حتى إنني ذهبت إلى أحد أصدقائي القدامى
ليلف لي تلك السجائر بعد خلطها بالحشيش.“

”وما مناسبة شربه الآن؟“

أشعل (طه) سيجارة واستنشق نفسًا وقال:

”أريد شيئًا يُلغي إحساس القلق بالنسبة لي. شيء بصيبي يهبوط في
الضغط فترة التجربة.“

”والترامادول؟ لقد تناولت منه فرصًا كاملاً، لو كانت هذه هي أول مرة
لك فهذه مصيبة!“

”لا تهتم بهذه التفاصيل. أشعل سيجارتك واستمتع باللحظة.“

أشعل (عمرو) السيجارة وهو يضحك قائلاً:

”لا أعرف لم أطاوعك فيما يحدث.. أعتقد أنه لا فارق عندي!“

استنشق (طه) أنفاس السيجارة وهو يقول:

"هل تعرف أن الكهرباء هي سر الحياة؟"

"أرجوك لا تقل لي إنك (اتسطلت) وبدأت في الهذيان!"

مز (طه) رأسه نفيًا بقوة وقال:

"لا.. أنتكم بجدية. المخ يرسل الإشارات الكهربائية لأعضائك ويستقبل الإشارات الكهربائية من المدخلات، ومع ذلك فالمخ ليس هو مصدر الكهرباء. هو فقط منفذ لأوامرك أنت."

"أنا؟"

"أنت أفصد بها روحك. روحك هي المصدر العظيم للكهرباء. المفاعل النووي العبقري. الطاقة التي لا تفتى ولا تُستحدث من عدم."

"أخبرني بكل ما في ذهنك."

ابتسم (طه) وقال:

"أنت تعرف أنني بكامل وعيي. وأن ما أقوله هو الحقيقة. الكهرباء والطاقة حولنا في كل شيء.. حتى الجمادات لها حالات من الطاقة. لو كتبت على ورقة بضع كلمات. سيصبح لها ترددًا مختلفًا عما كان قبل الكتابة. أنت تعيش في عالم من الكهرباء ومع ذلك توقفت الأبحاث حولها منذ عشرات السنين."

"هذا الحشيش رائع!"

"في بداية اكتشاف الكهرباء عكف الجميع على دراستها ووضعوا الخيالات لما يمكن أن يصلوا إليه لو استغلوا تلك الطاقة الغربية."

لكن بعد الحرب العالمية الثانية اهتموا بأبحاث كالليزر والتكوين الذري وأهملوا التطوير حول أبحاث الكهرباء. ولم يأتوا بجديد.

"الله عليك!"

"هل تعرف أن (أينشتاين) استخدم الكهرباء في إحدى إثنائه حول نظرية النسبية؟"

صمت وهو يستنشق بضعة أنفاس من السيارة. ثم أطلقها وهو يقول:

"حان وقت آخر مرحلة لبدء التجربة."

"(ترامادول) وحشيش. هل تخفي راقصة في جيب بذلتك لنبدأ بعدها التجربة؟"

"كيف عرفت؟"

شيق (عمرو) انهبازا وهو يرمي السيارة:

"هل معك راقصة قعلاً؟"

فتح (طه) أحد الملفات الموضوعه أمامه على المنضدة وأخرج ورقة مطبوعة لجسد إنسان وعليها تشرح الأعصاب والأوتار والعظام بالكامل، وعلى بعض أجزاء الجسد رسم بقلم حبر أزرق بعض العلامات وكتب بعض الملاحظات بخط يده.

خلع (طه) جاكيت البدلة والكرافت والقميص والسروال وظل بقطعة نستر عورته.

“والله العظيم اتسطلت!”

قالبها (عمرو) وهو يضحك. بينما ذهب (طه) لركن في المصنع يضع به أدواته وبضعة أمتار من الأسلاك. وانتفى لفة أسلاك نحاسية رفيعة من التي تُستخدم داخل أسلاك الكهرباء وتُسمى أسلاك الشعر.

“ارتدي ملابسك يا (طه) وكفناك جنونًا!”

ظلّ (عمرو) يضحك وهو يشير بإصبعه ناحية (طه). الذي ابتسم بطرف فمه وهو يفتك ربطة الأسلاك ويخرج من الكيس البلاستيكي ساعته الخاصة التي صنعها من البورسلين وقاطعة أسلاك صغيرة.

“اتفقنا يا (عمرو) على أنك لن تسأل عن أي شيء إلا قبل التجربة. شاهد ولا تعترض.”

قالبها وهو يدقق في الصورة التي أمامه. ويقطع السلك النحاسي لقطع كل منها متر واحد فقط. بينما (عمرو) يشاهده بعدم فهم. فجأة أمسك بإحدى قطع السلك وأدخل طرفها في جلد معصمه كأنها إبرة خياطة.. برزت نقطة من دمانه فصرخ (عمرو) فيه:

“ماذا تفعل يا مجنون؟!”

قالبها وجرى يمسك بمعصمه. فدفعه (طه) برفق وهو يقول بعصبية:

“اهدأ. لقد بدأت ولن أتوقف.”

“لن أتبركك تفعل هذا يا غبي!”

قالها (عمرو) وهو يمسك يد (طه) محاولاً إيقافه. فدفعه هذا الأخير بقوة تلك المرة وصرخ فيه قائلاً:

”ثق في هذه المرة.. اعتبرها الأخيرة. لن أتراجع عما أفعله!“

جلس (عمرو) على المقعد متسع العينين وهو يشاهد (طه) يلف طرف السلك على ساعده. ثم ينظر للصورة ويعرس طرف السلك بجانب كوعه وهو يجز على أسنانه.

فعل بيده الأخرى المثل. ثم أخذ قطعة سلك جديدة وغرس طرفها في بقية ذراعه اليسرى. وسحبها حتى لقيها وأوصلها لإبطه وهو يغرسها بدقة.. برغم تدفق قطرات من الدماء من مواضع الغرس إلا أنه أكمل وهو يتحمل الألم. متسانلاً في نفسه عن مقدار الألم الذي كان سيشعره لو لم يتناول قرص الترامادول.

”أقسم بالله إنك جننت“.

قالها (عمرو) كأنه بثبت موقفاً لا أكثر بينما هو جالس يراقبه.

لف (طه) جسده بالكامل بتلك الطريقة. صدره وخصره وفخذه وقدميه. ثم قام بتوصيل تلك الأسلاك بعضها ببعض وهو يثني أطرافها عند التوصيل.

بقعة من الدماء تجمعت عند قدميه من خلال خيوط الدماء التي رُسمت على جسده العاري. أمسك بأطراف الأسلاك وأوصلها ببعضها جميعاً ثم أمسك ساعته وملاً زنبركها وضبطها على الساعة الثانية عشرة.

وأخذ سلكًا نحاسيًا قطع منه نصف متر. ثم وضع الساعة بعد فتح غطائها في كف يده اليسرى وقام بلف المسلك حولها ليثبتها في يده.

ابتسم ل(عمرو) وهو يخرج حزامين متقاطعين من الكيس البلاستيكي الذي لم يبق داخله شيء. ثم سار بخطوات منهكة وألم الأسلاك المغروسة بجسده يحرق أعصابه. حتى وصل إلى الأجهزة المتصلة بالقاعدة الحديدية. ضغط على بضعة أزرار فسمع (عمرو) صوت أزيز بسيط.

- "بعد عشرين ثانية سيعمل الجهاز. لقد زودت المولد بمؤقت سيفصل الكهرباء بعد 15 دقيقة أتوماتيكيا، فلا تقلق."

قالها (طه) وهو ينظر ل(عمرو) وابتسم بإرهاق. ثم سار حتى وصل للقاعدة الحديدية وهو يقول بدون أن ينتظر خلفه:

- "وعدتك أن أفسر لك ما يحدث. ومازلت عند وعدي. في أحد الملفات على المنضدة ستجد ظرفًا بني اللون. افتحه وستعرف كل شيء. هما افتحه."

بحث (عمرو) بسرعة بين الملفات حتى أخرج الظرف. نظر ل(طه) بقول شينًا لكنه فوجئ به يتف فوق الموتور وسط للقاعدة الحديدية وهو يثبت نفسه في الصاري الحديدي بالحزام. حاول (عمرو) الاقتراب لكن (طه) أشار إليه بالتوقف وهو يقول:

- "لا تقرب. فالآن سيبدأ المجال الكهرومغناطيسي. لا تخف علي يا صديقي. نلتقي قريبًا إن كان في عمري بقية."

ارتفع الأزرار أكثر. وفجأة دار الموتور بسرعة و(طه) يدور معه. في نفس الوقت ظهر ما يشبه خيوط البرق تتصل بين الألواح الخشبية وتمر بجسد (طه) الذي يدور بسرعة شديدة.

مزق (عمرو) جزءاً من الظرف وهو يخرج ما به بسرعة. وجد بضعة أوراق. أول ورقة مليئة بحسابات كثيرة شعر أنه ليس لديه المال الرائق لقراءتها.

الورقة الثانية حملت رسماً تفصيلياً للقاعدة والموتور والصاري وداخلها رسم لإنسان. أما الورقة الثالثة فكتبت بخط اليد:

"تجربة رقم 46:

نوع التجربة: تكوين مجال كهرومغناطيسي متزايد بشكل تدريجي يمر بجسد المتطوع للتجربة بعد غرس أسلاك النحاس كما هو موضح في الصور التعريفية لصنع دائرة مغلقة. ووضع جسده على موتور بسرعة كافية ليصبح المجال كافياً ليمر داخل الأسلاك النحاسية.

مسار التجربة: يتصل الجهاز المستخدم بدائرة كترول ومؤقت. عندما يتولد المجال الكهرومغناطيسي يصبح جسد المتطوع موصل جيد للمجال بعد أن تثبتت الأسلاك بجسده. ثم يتولد داخل الأسلاك النحاسية في جسد المتطوع مجال كهربائي جديد بعد فترة من الشحن.

فترة شحن الأسلاك: تُفَرغ الطاقة من الأسلاك بعد 3 ساعات و7 دقائق و45 ثانية.

هدف التجربة: التأثير على ذرات المتطوع عن طريق المجال الكهرومغناطيسي لنقله لبعده آخر. وتحويل سرعة ذرات جسده لنفس سرعة ذرات جسد الجان. أي نقل المتطوع لعالم الجان لفترة 3 ساعات و 7 دقائق و 45 ثانية. بعدها ينهي المجال الكهربائي من الأسلاك ومن جسد المتطوع.

توقع لأضرار التجربة:

- 1 - يحرق المتطوع قبل الانتقال.
- 2 - هلاوس سمعية وبصرية بعد الانتقال.
- 3 - بعد تفرغ الأسلاك النحاسية لا يعود جسد المتطوع لعالم البشر كما كان (خطر التشويه)
- 4 - توقف القلب بعد الانتقال.

رفع (عمرو) عينيه المتسعة ملعًا من على الورق وهو ينظر ل(طه). شفق عندما فوجئ بشيء يشبه الضباب يدور حول القاعدة الحديدية. فجأة اختفى جسد (طه) وانقشع الضباب.

نظر (عمرو) للورق غير مصدق. فوجد عبارة كتبت بخط صغير في آخر الورقة التي كان يقرأها:

"ملحوظة: لو تم انتقال المتطوع لعالم الجان. فال 3 ساعات و 7 دقائق و 45 ثانية يتم حسابها بتوقيت عالم الجان لا عالم البشر".

الفصل السابع

الطلب

“أعرف أنك تتعذب منذ أمس”.

قالها (مهران) وهو يضع في فمه كسرة خبز بطريقة تُظهر عدم اهتمامه بالطعام. فابتسم له (يونس) بود قانلاً بالفارسية:

“لم يا بني؟”

في تلك اللحظة جاءت (مروى) بطبق لحم لتضعه على الطويلة الصغيرة. دعاها أبوها لتجلس بجانبه حتى تاكل معهما. جلست على استحياء وهي تختطف نظرات قليلة لـ(مهران) بين الحين والآخر.

“منذ أن حملني الناس من بينك وطاقوا بي ثم أعادوني وهم لا يتركون ساعة إلا ويأتي أحدهم ليطرق بابك”.

“ليقبلوا يدك ويتبركوا بك”.

ظهر الخجل جلياً على وجه (مهران) وهو يتوقف عن الأكل. فقالت (مروى):

“لماذا توقفت يا (مهران)؟ أكمل طعامك”.

نظر لعينها وهو يقول بلغة عربية:

“شبعت... شكراً لك”.

ابتسمت (مروى) قائلة:

“تتحدث العربية، لماذا إذن تتحدث مع أبي بالفارسية دائماً وتركي
أشعر بالغباء كل هذا الوقت؟”

ابتسم لها وهو يقول بلغة عربية ثقيلة النبرات:

"أعرف الكثير من العربية من القرآن.. أسف لم أفهم كل ما قلت".

"مرحي يا (مهران). أراك تبتسم مثلنا".

فألها (يونس) بالفارسية. فنظر له (مهران) واختفت الابتسامة وهو يقول بالفارسية:

"أنا مثل كل الناس. لكنهم لا يروني كذلك".

ظلت (مروى) تنظر له حتى انتبه لها (يونس). فتنحج وهو يطلب منها تناول الطعام. كانت تضع اللقمة وهي تختلس النظرات لـ(مهران) بلا قصد. أما (يونس) فقال بالفارسية:

"الناس تراك مباركا، فلم ترفض ذلك؟"

"لأنني لست كما يظنون".

"وهل عندك تفسير لنومك في القبر طوال السنوات السابقة؟"

"أي تفسير لا يعتمد على تقديس الناس لي".

"أنت غريب بحق يا (مهران)".

"غريب؟!"

"ترفض ما يتمناه غيرك. الجاه والسلطة الروحية في بلدك. غيرك يدفع الكثير ليحصل عليها".

ابتعد (مهران) قليلاً عن الطبلية وظل في وضع الجلوس وهو يقول:

"لو كنت مبروكًا أو وليًا أو إمامًا لعرفت. الناس هي من رسمت إطلازا
وتريدني داخله. ولن أقبل بهذا ولو كان المقابل حياتي".

"وما الذي نويته يا بني؟"

رمى (مهران) الأرض مفكرًا. جاء صوت طرقات الباب فهض بسرعة وهو
يقول لـ(يونس):

"اتركني أنا لأطرد من سيأتي".

جرى ناحية الباب بغضب وفتحه وهو يتخيل ما الذي يمكنه فعله
بالقادم.

بمجرد أن فتح الباب تراجع للوراء مصدومًا لوهلة. كان يرى رجلًا لكنه
يختلف عن أي رجل قابله منذ أن عاد من القبر.

لا يختلف في الشكل ربما. لكنه يختلف في الهالة التي تحيط به. لقد
تعوّد أن يرى هالة حمراء اللون تُشبه الخيال تُحيط بالناس. لكن
هذه المرة وجد ألوانًا مختلفة تحيط به.

الصدمة لم تصبه فقط من هذه الألوان. لكن من الجان المحيطين
بالرجل. لقد ميزهم بسهولة لأنه تعوّد منذ أمس على رؤيتهم
بتحركون في منزل (يونس) والشوارع التي طاف به الناس فيها. لكنه
لأول مرة يرى الجان يقفون بجانب رجل. ويحملون سبوحًا رفيعة
صغيرة في حجم الخناجر.

- سمعت بالرجل العائد من الموت فجنت من بلدي القريبة لأراه. أنت هو. أليس كذلك؟

قالها الرجل وهو يتقدم لداخل المنزل والجن المحيطون به يتحركون بسرعة. أحدهم - وكان أضخمهم - جرى تجاه (مروى) ووقف بجانبها. وآخر وقف بجانب (يونس). أما البقية فانتشروا في الصالة وملأوها في أقل من ثانية.

تراجع (مهران) خطوات قليلة وعيناه تتأمل حركة الجان بينما الرجل يقول وهو يقترب منه:

- "أرى أيضاً أنك ترى رجالي من الجان.. شيء مثير حقاً. قل لي يا فتى، ما حكايتك وكيف استطعت البقاء في القبر؟"

توقف الرجل أمام (مهران) تماثلاً. ثم فجأة أمسك رقبته بيد واحد وهو يضحك ويقول:

- "تكلم أيها الطفل أم أجعل رجالي يجبرونك على ذلك؟"

صدرت حشجة اختناق من فم (مهران). فصرخت (مروى).

- "أسكتها يا (خورشيد)".

قالها الرجل فمدّ الجني الضخم يده وقرنها من رأس (مروى). انتفضت فجأة ووقعت مغشياً عليها. أسرع (يونس) إليها محاولاً إعادتها بلهفة.

نظر (مهران) - الذي كان يخنق - بطرف عينيه لـ (مروى) فاقدة الوعي ثم للرجل القابض على رقبته.

حرك يده اليمنى ملوحًا بها بيأس فرأى ما جذب انتباهه. عندما لوح
بيده لامست كفه بعض الخيوط الملونة المنبعثة من رأس الرجل.
شعر بشعور لم يفهمه لحظتها. لو عاش كان يعيش في هذا العصر
لفهم أنه شعور الكهرباء الاستاتيكية التي تداعب اليد

حرك (مهران) يده حول رأس الرجل بدون ملامستها فتقطعت كل
الخيوط. تركه الرجل وهو ينظر حوله مفزوعًا. رمق (مهران) قائلًا
بغضب:

”أبن رجالي؟“

أخذ (مهران) نفسًا عميقًا وهو يقول بصعوبة:

”رجالك مازالوا حولك.“

فرد (مهران) ظهره ودفع الرجل بقوة بيديه. فطار الرجل مسافة غير
طبيعية تخطت الأمتار الثلاثة. ثم وقع أمام باب المنزل.

أخذ الجان جميعهم ينظرون في أركان المنزل باحثين عن سيدهم. فمد
(مهران) يده لأقرب الجان الواقفين فاخرقت جسده. رمقه الجني
بدهشة.

لم يعرف (مهران) السبب وراء ما فعله. لكنه أغلق قبضة يده وهي داخل
الجني. فوقع الأخير على الأرض ميتًا من فوره. رمق كل الجان (مهران)
بفزع. وتقدم أحدهم منه ففعل به (مهران) ما فعله بالآخر. لكن
بشكل أسرع هذه المرة.

تراجع الجان جميعاً واختفوا فجأة من المنزل.

بينما اتجه (مهران) للرجل الذي كان يمسك صدره متوجعاً وهو مازال ملقى على الأرض. توقف بجانب رأسه. فسأله الرجل متوجعاً:

“كيف فصلت خدامي عني؟ من أنت؟”

“لم أعرف بعد من أنا، لكن كل ما أعرفه أنك أضعف من أن تقف أمامي.”

قالها وأمسك بملابسه يرفعه منها كأنه يرفع طفلاً في المهد. والعجيب أن مهران لم يشعر بمشكلة في رفعه بهذه السهولة. قذفه بعيداً فطار الرجل بضعة أمتار قبل أن يصطدم بحائط المنزل المقابل.

انتبه (مهران) لـ(يونس) الذي مازال يحاول إيقاظ (مروى) دون جدوى.

رأى حول رأسها نقطة ملونة تختلف عن بقية الهالة المحيطة بها. اقترب منها ووضع يده بالقرب من رأسها عند تلك النقطة ولمسها.. خرج شرر كهربائي من يده حول لون النقطة إلى نفس اللون المحيط بـ(مروى).. فتحت تلك الأخيرة عينها وهي تشهق بفرع وتنظر حولها. احتضنها والدها ودمعة تتساقط من عينيه خوفاً عليها. هنا قال (مهران):

“سألتني ما الذي نويت فعله. الآن عرفت. سأبتعد عنكما كي لا تطالكم مشاكلتي.”

رفقه (يونس) وقال بعد أن تما لك نفسه:

"سنعود أنا وابنتي غذا للمحروسة. إن أردت المغادرة معنا فسيكون
مرحب بك".

في رحلتهم إلى مصر تعلم الكثير من العربية واللهجة المصرية على يد
(مروى) و(بونس). دخلوا القاهرة من باب اللوق. فوجدوا المحروسة
قد تزينت لانتصار (محمد بك أبو الذهب) في دمشق على جيش الدولة
العثمانية.

كان (بونس) يتقدم القافلة و(مهران) يحتل مؤخرتها. وبعد أن قام الأول
بإناخة جمال القافلة يساعده الأخير والجمالون. لكز (مهران) فرسه
ليصل بسرعة لهودج (مروى). أناخ الحمل ففتحت (مروى) فتحة
الهودج وابتسمت له. فقال بلغة عربية:

"سأذهب الآن لأطلب من الشيخ (بونس) شيئاً عزيزاً. ادع لي أن يقبل".

قال عبارته وسار بفرسه وهو ينظر بين الحين والآخر لهودج (مروى). التي
كانت تطل برأسها منه. وعندما وصل لـ(بونس) وحده برشد الجمالين
بعدما نزل عن فرسه. نزل (مهران) هو الآخر واقرب منه حتى أصبح
على مسافة كافية ليقول بتهذيب:

"شيخ (بونس). عاملتني كابن لك منذ كنا بلدي. وتحملت الأذى الذي
أتى من ناحيتي. ولكني مارلت أطمع في طلب ما. أريد الزواج بابنتك".

لم يحبه (يونس) وكأنه لم يسمعه: وهو يشير للحمالين بتركيز. صدم
(مهران) من ردة فعله. فنظر للأرض بخجل وهو يجيِّز كلمات الاعتذار.
لكن (يونس) قال فجأة دون أن ينظر إليه:

- "مهر ابنتي أن تعمل معي وتحمل عبء تجارتي".

ثم نظر له وابتمس وهو يحتضنه.

- "سأعيش لأجلك ما بقي لي من عمري يا شيخ (يونس)".

- "يكفيني أن تعيش لابنتي. ولا تقل لي يا (شيخ) مرة ثانية. نادني أبي".

نظر (مهران) لـ (مروى) وابتمس لها والفرحة تطلُّ من عينيه لأول مرة منذ
ميلاده.

انتهى من قراءة الكلمات وأعطى ظهره لتلك الدائرة الممتلئة بالرموز التي
رسمها منذ قليل. ظل الشاب مغمض العينين وهو يرتجف. ومن
خلفه تحرك ذلك الكائن الغريب وهو يتجه ناحيته.

كان الكائن متوسط الطول لا يرتدي شيئاً تقريباً. ولكن الغريب أن جلده
كان معطى بالكامل بالشعيرات الطويلة. وفي أعلى رأسه وبين
الشعيرات قرنان صغيران يخرجان منه.

أما الشاب فيرتدي ملابس غريبة بعض الشيء لا تمت لهذا العصر.

لامحه غريبة، تعطيك انطباعاً أنها ليست ملامح عربية. ربما كانت في وجهه لمحة من الوسامة لا تخفى. بالرغم من حدة وجهه والتصاق حاجبيه.

كان في غرفة خالية تماماً وهناك شمعة صغيرة بجانبه على الأرض. مغمض العينين وقد أعطى ظهره للكانن.

الحوار يجري بينهما بلغة غريبة تشبه العربية. إنها الفارسية.

“ماذا تريد أيها الطفل؟”

انطلقت العبارة من الكائن. انطلقت بنبرات خافتة جعلت الخوف يسري في جسد الشاب الذي ردّ بنبرات مرتعشة:

“أريد القوة. القوة المطلقة والأمان باقي حياتي.”

اقرب الكائن من الشاب أكثر حتى أصبح على مسافة سنتيمترات منه. ثم مال برأسه على أذنه وقال:

“إذا أردت القوة سنعطيك بعضها. ولكن إذا أردت السيطرة فيجب عليك تقديم قرابين من البشر.”

قال الشاب وهو يرتجف:

“أوافق.”

فقال الكائن:

“إذن أدروجهك لي ولا تفتح عينيك. ونفذ كل ما أقوله لك”

ادار الشاب وجهه نحو الكائن. فإذا به (مهران).. ابتسم وهو يفتح عينيه
فزع الكائن وهو يهتف:

"أنت؟!"

أمسكه (مهران) من رقبته وهو يقول:

"كيف حالك يا (خورشيد)؟"

"كيف فمت بنحضريري؟"

قالها الجني والألم يتجلى على وجهه.

"لقد تركت أثرًا منك عند ملاستك لرأس (مروى).. والآن قبل أن أقتلك
ستخبرني بأسماء كل من حضر مع سيدك الساحر من جان منذ
قليل. أريدهم أن يحضروا لهذه الغرفة الآن."

"كيف.. كيف تفعل تلك الأمور؟!"

ابتسم (مهران) أكثر وهو يقول:

"لأنني نصف بشر نصف جان. صدقني لقد تفاجأت مثلك تمامًا. والآن
هيا لننتهي عملنا."

فتح (مهران) باب غرفته في منزل (بونس) وخرج إلى الصالة فوجد هذا
الأخير جالسًا على المقعد المجاور للباب شاردًا.

"كيف حال (مروى) الآن؟"

"بخير. نامت بغرفتها منذ قليل".

"الحمد لله".

قالها (مهران) فرمقه (يونس) طويلاً. نهض من مقعده ووقف أمامه. ثم وضع يده على كتفه قائلاً:

"لم أسألك يا بني عن تلك الأشياء التي طلبتها من عند العطار وأحصرتها لك. ولن أسأل عن الأصوات التي سمعتها الآن من الغرفة. ولا الأضواء التي رأيتها من فتحة الباب. لكن ما أرجوه فقط أن تعرف أنني أحببتك بلا سبب واستأمنتك على حياتي أنا وابنتي. فلا تخن الأمانة".

"لا تقلق. ما فعلته الآن في الغرفة كان لضمان أمانكما. وإن أردت أن تعرفه فساخبرك".

"قلت لك لا أريد معرفة شيء. جهز نفسك لنتحرك غداً. سنعود لأرض الأمان.. المحروسة".

طرق (عماد) باب شقة (حازم) وهو يفكر فيما حدث مع (يسري) منذ قليل. فتحت (رفية) الباب. فابتسم لها (عماد) وكاد يقول شيئاً ولكنها عاجلته قائلة:

"أستاذ (عماد). حدث سوء تفاهم بسيط بين (إسلام) وأستاذ (حازم). أرجو أن تفهمه".

فتحت له الباب فرأى (إسلام) يجلس على طرف الأريكة يضم ركبتيه معاً وهو ينظر للأرض حزناً. بينما جلس (حازم) على مقعد آخر وهو يضع يده على جانب وجهه وعلامات الألم تبدو واضحة عليه.

دخل (عماد) وهو يستفسر عما حدث. فحكّت له (رقية) كل التفاصيل منذ دخلا إلى أن أغشي على (حازم) وأفاق بعد دقيقة.

"الألم يقتلي. كأنني ضربت بمطرقة".

قالها (حازم). فنظر (عماد) مدققاً في وجهه وهو يقول:

"لا أرى تأثيراً للكلمة قرن (إسلام) على وجهك".

"صدقني لولا حيائي من وجود فتاة معنا لصرخت من الألم الذي يعصف بعظام وجهي!"

"أين ذهب قرينك يا (إسلام)؟"

قالها (عماد). فأسرعت (رقية) تطمئن (إسلام):

"لا تخف. فهو يعرفك من فترة".

"أسف لما حدث ل(حازم). لا أعرف كيف تصرف قريني هكذا من تلقاء نفسه. عندما فزعت مما حدث اختفى فجأة".

"عليك أن تعرف بأن قرينك يتحرك بإحساسك. عندما شعرت بالغضب من (حازم) نفذ قرينك إرادتك وعاقبه. وعند شعورك بالذنب اختفى ببساطة".

قالها (عماد). فقال (حازم) بسرعة وهو يشير له ببديه:

- "هذا ما فهمته أنا أيضاً".

جلس (عماد) على مقعد بجانب مقعد (حازم). بينما جلست (رقية) بجانب (إسلام) الذي أمسك يدها بسرعة. تعلق نظر (عماد) ببديهما المتشابهة للحظة قبل أن يشيح بنظره عنهما ويقول:

- "عرفنا الآن بعض الأفكار عن استخدامك لقرينك. هو يحملك بكل الطرق وفي نفس الوقت هو طوعك. يطيع أوامر التي تتلفظ بها. وأيضاً الأوامر التي تصدر من عقلك. والآن بقي أن نطبق كل ما عرفناه بشكل عملي. ففكر بقرينك الآن يا (إسلام)".

- "لا تريد مشاكل ثانية يا أستاذ (عماد)".

فالتها (رقية). فرد عليها:

- "لا تخافي. فقد عرفنا الآن أن قرينه يطيعه طاعة عمياء. لذلك لن يضرنا إلا لو أراد (إسلام) نفسه ذلك".

نظرت (رقية) لـ (إسلام) وقالت:

- "افعل كل ما يقوله أستاذ (عماد)".

ثم أكملت بنبرة متوسلة:

- "لكن أرجوك احذر من أذية أي أحد".

هز رأسه متفهماً ونظر أمامه مفكراً في قرينه. لم يحدث شيء فقال
(عماد):

"ما رأيك أن تفكر في أن يأتي قرينك الآن من المطبخ؟"

لم يكذب (إسلام) يفكر في ذلك إلا وجاء قرينه من المطبخ يسير بخطوات
سريعة.

"فكر في أن يتوقف أمامك ويرفع يده اليمنى عالياً".

فعل القرن ما فكر فيه (إسلام) وظل مثبتاً على وضعيته. ابتسم (عماد)
واعتمد في مقعده وهو يقول:

"فكر في سؤاله عن (حببية)".

لم يتكلم القرن. فقال (عماد):

"اسأله بصوتك".

"من هي (حببية)؟"

"هي الفتاة التي أحبها صديقك (يوسف)".

قالها القرن. فقال (حازم):

"الحمد لله. مازال يحتفظ بكامل ذكرياتك على ما يبدو.. لكن لم
يخاطبك كأنك شخص آخر برغم أنه يتذكر ذكرياتك؟"

"أعتقد لأن له شخصيته المنفصلة عنه من البداية. كل ما حدث أنهما
انفصلا جسدياً فقط".

فألها (عماد) فخطب (إسلام) قرينه فجأة سانلاً:

“هل كنت أثق في هذين الشخصين؟”

وأشار بيده تجاه (حازم) و(عماد). فنظر القرين لهما ثم قال:

“وثقت في (عماد) منذ أول يوم قابلته. أما (حازم) فشعرت بالقلق من

ناحيته لاستخدامه الجان لكنتك اطمئننت له مع الوقت.”

“و(رقية) هل أثق بها؟”

“لا أعرف شيئاً عنها.”

فألها القرين بلامحه الجامدة، فقال (عماد):

“كأن قرينك يحتفظ بكل شيء قبل الحادثة. أما حياتك بعدها

فيجهلها!”

كان مغمض العينين وألم شديد يزيد بسرعة تدريجية عند مداخل السلوك النحاسية في جسده. شعر (طه) بألم يجتاح ذراعه اليسرى مختلف عن بقية الأام جسده. انعصر قلبه بشدة فتساءل إن كان يتعرض لأزمة قلبية؟

ضغط يزداد على أذنه وصداع برأسه. فكر متفانلاً بأن كل تلك الكمية من الألام المختلفة لن يدرجها لصعوبة تقبلها على مخه. فعلاً لم يعد يشعر بكل الألام وهو يدور بسرعة مع الموتور. خُيل إليه أنه يسمع أصواتاً مختلفة تتحدث بنبرات غريبة.

فجأة خبثت أوجاعه دفعة واحدة. وظهر ألم عذب بجسده جعله يصرخ بكل ما استطاع.

اختفى الألم. وتوقف جسده عن الدوران، بل شعر بنفسه يزلق بنعومة كأنه على زلافة أطفال. فتح عينيه فوجد نفسه يجلس على الأرض أمام الجهاز الذي كان يقف عليه. والجهاز يدور خاليًا بسرعة. نظر حوله فرأى الكثير من الكائنات تسير بشكل طبيعي. خاطب نفسه قائلاً بصوت عالٍ:

- "لقد نجحت!"

سمع صوته حادًا بطريقة ضابقته. تنحج وقال كلمة أخرى فعلم أن صوته قد تغير تمامًا. نظر حوله ثانية فوجد (عمرو) يقف مهوّرًا بمسك الأوراق التي تركها له بيده وينظر للآلة الخاوية. ألقى نظرة على الساعة المثبتة في كف يده، وجد عقرب الثواني لا يتحرك ففكر أنه لو صدقت حساباته فالوقت يمر الآن بتوقيت الجان. لذلك ستتحرك ساعته ببطء شديد، نهض فأحس بجسده خفيفًا يكاد يطير في الهواء.

"ما هذا؟"

صرخ بها صوت حاد يشبه تردد صوته لكنه مختلف قليلًا. نظر لمصدر الصوت فوجده جني يشير إليه بإصبعه. تعالت أصوات بلغات مختلفة من الجن الآخرين. وجرى البعض واختفى البعض فجأة. أما (طه) فقد تحرك بخفة لموقع (عمرو) ينظر له متأملًا الهالة التي

تحيط به وخياله الذي يمثل جسده تمامًا كأنه مزدوج. لكن الخيال يبرز عن الجسد سنتيمترًا واحدًا فقط.

“أهذا قرنيك يا (عمرو)؟”

قالها (طه) وهو يبتسم ويتأمل جسد (عمرو) جيدًا. ثم نظر للمنضدة فرأى هالة رمادية تحيط بها، وكل ورقة وكل قطعة على المنضدة تحيط بها هي الأخرى هالات رمادية ترسم أشكالًا مختلفة في الهواء.

ذهب للمنضدة ووضع يده عليها فمرت يده منها. صحك فرحًا وهو يحاول مرارًا وتكرارًا.

كان يشعر بكهرباء خفيفة تسري في يده وهو يمرر يده عبر المنضدة. وضع يده على المنضدة مرة أخيرة وحركها بسرعة كما تعلم من (الجاسر) عندما حبسه. خرجت شرارة كهربية من يده وشعر بلمس المنضدة. طرقت عليها بقوة ففزع (عمرو) وهو ينظر للمنضدة مندهشًا.

لم يتخيل (عمرو) أن يأتي صوت دقة بهذه القوة أثناء عمل الجهاز الخالي الذي مازال يصدر الكثير من الضوضاء.

نظر للمنضدة فلم يزش شيئًا لكنه سمع صوتًا يحدثه في أذنه. صوت حاد غريب يقول ببطء:

“لا تخف.. أنا (طه). أغلق الآلة وعد لمنزلك. نجحت في الانتقال.”

"(سنان) يحتفظ بالكثير من أسرارنا، لو تكلم قبل اختفائه سنضطر لتغيير كل خططنا".

قالها الجني للمخلي الذي رد بسرعة:

"(سنان) لن يتكلم. أنا أعرفه أكثر من نفسي".

ثم أطرق يفكر قليلاً حتى قال:

"لكن لو تكلم. وهذا احتمال ورد لخاطري الآن.. ستفشل كل تحضيراتنا. وخاصة لو تكلم لاتحاد الممالك".

"إذن سنضطر لتغيير كل شيء!"

"لا".

قالها (المخلي) وغرق في صمت تام مفكراً.

"اسمع يا (راكان). الحل الوحيد أن نقدم موعد فتح البوابات".

"لكن جيشنا وبقية التحضيرات لم تجهز بعد".

"لا وقت. سنفاجئ جيش اتحاد الممالك ونقوم بالخطة كما هي. لكن الوقت هو الفارق".

"ومتى سنبدأ؟"

"سنبدأ تحركاتنا من الآن. واحرص أن تصل لجاسوس (بصفيدش) معلومات غير صحيحة عن تحركاتنا".

"لن يستطيع ابلاغ (بصفيدش). فلا أرى داعياً لنتبه بالتحركات".

"في كل الحالات سيعلم الجميع بأمر التحركات. لكن أملنا أن نصلهم في التحركات نفسها".

"تطلب اللقاء وأجدك هنا في الحمام؟"

سمع (عبد الكريم) صوت الجني المسؤول عنه يتحدث من خلفه. فخطر له بسرعة وهو يضع سبابته أمام فمه:

"هششششش.. ستوقظ زوجتي من قبولة العصر".

"طلبك للقاء يعني أنك عثرت على شيء جديد".

أخرج (عبد الكريم) من جيب سروال منامته ورقتين فردهما وقال بصوت خافت:

"اكتشفت شيئاً في الكلمات التي أعطيتك إياها وتحدث عن العفاريت".

"قل ما عندك".

فرد (عبد الكريم) الورقتين وأشار لإحدهما وهو يقول:

"هذا هو ما أعطيتك إياه. والذي لا يعني شيئاً. لقد تأملته كثيراً حتى توقعت أنني رأيت شيئاً مألوفاً فيه. لكنني لم أكن أعرف ما الذي يعطيني هذا الشعور. حتى انتهت للجزء المألوف لي".



- "هذه ليست حروفا ولا تلامس، لقد شعرت من البداية أنها مألوفة.
لكن بسبب كتابتها بهذا الرسم وتلك الطريقة لم أتعرف إليها.. إنها
الأعداد في الأبجدية القبطية".

- "أنا أعرف القبطية لكني لا أراها".

- "ذلك لأن كل رقمين أو ثلاثة أرقام كُتبت فوق بعضها البعض فصاغت
ملاحظها واعتقدناها كلمة، لكن الحقيقة أننا أمام أرقام كُتبت بشكل
مشفر".

- "مشفرا!"

انتهى (عماد) من إعداد شطائر خفيفة، وخرج للصلاة بصينية الطعام
ليجد هذا الأخير جالساً يتحدث مع (قاصيم) بالأوردية.

“لا وقت الآن للتحدث بلغات غير العربية”.

قالها (عماد) وهو يضع الصينية ويجلس على مقعد بجانبها.

“نتحدث حول قوة قرين (إسلام)”.

“وتتحدثان حول الفتاة التي ترافقه أيضاً. لقد النقطت كلمة فتاة
بالأوردية”.

ابتسم (حازم) وهو يتناول شطيرة من أمامه ويقضم قطعة كبيرة منها
ويقول:

“هل لاحظت تعلقه بها؟”

“نعم.. كأنها أمه التي لا يثق إلا بها”.

“وهل ترى هذا التعلق المرضي في صالحه أم...”

قاطعه (عماد):

“لا أعرف ولا أستطيع تخيل نفسي موضع (إسلام). لعل هذا التعلق هو
أمله الوحيد للحياة”.

“لكنه ينفذ كل ما تقوله، ماذا لو أمرته بمهاجمتنا؟”

لم يردّ (عماد) وظلّ ينظر للأرض في شروء كأنه لم يسمعه. توقف (حازم)

عن المضغ وهو يقول:

- "بدو أن معرفتك بصلة أصدقاء (يوسف) ودكتور (يسري) مازالت تضايقك".

انتبه (عماد) وقال وهو يهز رأسه نافيًا:

- "لم أتضايق من تلك الصلة. لكنني تذكرت دفعة واحدة كل من ماتوا بسبب ما يحدث".

- وبالناكيد تذكرت قريبك رحمه الله".

قالها (حازم) بأسى. فهزَّ (عماد) رأسه موافقًا وهو يعقد ذراعيه أمام صدره.

- "عرفنا شيئًا جديدًا بخصوص العقاريت".

جاء صوت (يصفيدش) يحمل تلك العبارة من ركن الصالة. فنظر الاثنان لمصدر الصوت ليجداه يقف بأخر هيئة ظهرها أمامهما.

كان (حازم) أول من تقبل المفاجأة. فسأل بسرعة:

- "ما الجديد؟"

تقدم (يصفيدش) وهو يطلب ورقة وقلمًا. فجلهما (عماد) له. أعاد (يصفيدش) رسم الطلاسم التي حفظها ثم علم آخر جزء وهو يقول:

- "هذا الجزء عبارة عن أرقام باللغة النسطية لكنها كُتبت فوق بعضها".

اتسعت عينا (عماد) وهو يقول:

- "كيف لم أنتبه لها من البداية!"

أخذ الورقة وقرنها من عينيه وهو يتفحصها ويقول:

- "نعم. أستطيع استخراج الأرقام. هذا (أشمين) وفوقه رقم (صوو) وهذا (مبت) و..."

قاطعه (يصفيدش) قائلاً:

- "لقد استخرجنا الحروف قبلك ويمكنك مع معرفتك بالقطبية أن تستخرجها. لكنها غير مرتبة. هي شفرة يمكن أن تكون المفترسة لما قبلها. ويمكن أن تكون المرشدة للعفارت. لكننا فشلنا في فكها."

- "واضح أنها شفرة ذات مفتاح. ولن يكسرهما إلا مفتاحها."

قالها (عماد) وهو مازال يدقق في الورقة. فقال (يصفيدش):

- "أعتمد عليك الآن في الوصول للعفارت."

- "ما قلته الآن أرجو أن يفيدني. ولو أنني لا أعرف كيف أصل للمفتاح."

- "هناك شيء آخر.. بدأت تحركات (المخلي) قبل موعدها."

- "من أخبرك؟"

قالها (حازم).

- "هو من سرب لي هذه المعلومة عن طريق جاسوس لي."

- "سزها؟"

- "نعم.. أخبرها جاسوسي لينقل لي تحركاته كاملة."

"إذن فهو يكذب ليضلك؟"

فألها (عماد).

"لا.. هو لا يكذب، ربما ضللي بنحركاته. لكنه طالما قال سيتحرك باكراً فسيفعل. شقيقتي وأعرفه."

"ولم يخبرك من الأصل؟"

"لأنه عند تحركه سيعلم الجميع. لذلك يحاول كسب أي نقطة لصالحه."

"والعمل؟"

"ألمي الوحيد هو استيقاظ (بوسف) وجدّه (الحلاج) قبل فتح الأبواب."

"لماذا؟"

"لأنهما سيوقعان بالمخلي في شبكي."

"اهدأ ولا تاكل كأنك تاكل أخرزادك!"

قالتها والدة (حامد) له وهو يحشو فمه بملعقة أرز، تليها ملعقة من السلطة. تليها قطعة لحم لا تجد مكاناً داخل فمه لكنه يجبرها على الدخول. مع قطعة طرشي يتدلى طرفها من فمه.

كانت تجلس أمامه على منضدة الطعام بعد أن جهّزت له طعام الغداء عند مجيئه متأخراً.

- "قل لي ما أخبار دراستك؟"

- "كلتھما محلہ".

- "ماذا؟"

ابتلع ما في فمه وقال:

- "كل شيء تمام. الحمد لله".

قالها وحشا فمه سريعاً بالطعام كأنه يخشى عليه ألا يعمل لفترة.

- "وأخبار قدمك؟ هل تعاني من أي ألم فيها؟"

- "كلتھما محلہ".

رن جرس هاتفه المحمول الملقى بإهمال على أريكة في الصلاة.

- "ألن تردّ على هاتفك؟"

- "كلتھما محلہ".

نهضت الأم وأحضرت الهاتف وألقته أمامه على المنضدة. فنظر له

مفزوعاً عندما وقعت عيناه على رقم مأمور قسم (روض الفرج).

ابتلع الطعام بسرعة وشرب القليل من الماء وتحشأ قبل أن يهجم على

الهاتف وهو يردّ بسرعة:

- "أهلاً بحضرتك!"

- "أمسك ورقة وقلماً واكتب ما سأمليه لك".

مسح يده اليمى فى مندبل ورقى موضوع بجانبه وجرى لغرفته ليجد الورقة والقلم. بينما يسأل وهو يبحث:

- "هل توصلت بهذه السرعة للشخص؟"

- "اعتمدت على بضعة مخبرين سألوأ بوابى تلك العمائر. وكان الموضوع أسهل مما تخيلت."

- "هل له علاقة بالكهرباء؟"

- "يدرس فى قسم الكهرباء بالهندسة. وقد بحث وراءه فوجدته قد أجر مصنعا بالقرب من منزله ونقل بعض الأجهزة من شقته لذلك المصنع."

- "وجدت قلماً؟"

- "اكتب عندك الاسم التالى.. (طه عباد)."

فمسح القلم من يد (حامد).

الفصل الثامن

المزامير

جلس (مهران) خلف مكتب داخل أحد مخازن الشيخ (بونس). وهو يرتدي جلبانا وقفطانا متعمما بعمامة بيضاء. يمسك دفترًا كبيرًا وقلما من الخشب يغمسه في المحبرة الموضوعة على مكتبه المطرز بالأرابيسك الحسيني. بحسب منذ ساعة على أصابعه ميزانية الشهر. جاءه أحد الصبيان يخبره بأدب أن التاجر (علي القماش) يطلب مقابلته. فأخبره أن يدخله بسرعة ويذهب لإحضار قدحين من القهوة. دخل عليه (علي) بحمل لفافة كبيرة وضعها على طرف المكتب قائلاً بابتسامة:

“أفضل صوف من الهند خصيصًا لحرمكم”.

نهض (مهران) واحتضنه بود وابتسامة حملت الكثير من القلق. ثم أجلسه على المقعد المواجه لمكتبه وجلس بجانبه وهو يرت على ظهره قائلاً بلهجته المصرية التي مازالت تحمل لكنة أجنبية:

“أترت المحروسة يا صديقي. متى عدت من رحلتك؟”

“أمس ليلاً. بالمناسبة. لقد مررت على بلاد الفرس.. بلدك. واقمت فيها قليلاً قبل أن أكمل طريقي”.

“أين نزلت هناك؟”

“(فرح آباد) بخوزستان.. لم أكن أعرف أن هناك سنة في بلدك”.

ابتسم (مهران) بمجاملة وقال:

"هناك بعض السنة في محافظتنا".

"الحقيقة يا صديقي لولا أنك جعلتني أدرك بأن الشيعة لا يختلفون كثيراً عن السنة لما تاجرت معهم".

"أنا الآن من السنة، وأصلي وأصوم وأقرأ القرآن كما كنت أفعل في الشيعة.. دعك من هذا الآن، لم أتعبت نفسك وأحضرت هذا؟"

"لا نقل هذا، هي هدية إلى زوجة صديقي وأخي، قل لي أولاً، أين القهوة؟"

ابتسم (مهران) بطرف فمه وقال:

"أرسلت في إحضارها من المقهى القريب".

دخل أحد الصبيان وبجانبه عامل القهوة يحمل جوزتين تمتلئان بمعسل التومباك، فقال (علي):

"طلبتهما من القهوجي من نفس المقهى المجاور لك، قلت إنك لا بد أن تشرب معي شبة دخان كما تعودنا".

أنزل العامل الجوزتين، فتناول (علي) جوزته مدخناً بضعة أنفاس طويلة، وقال:

"كل البلاد التي مررت بها تتكلم عن العداء بين (ظاهر العمر الزيداني) و(محمد بك أبو الذهب)، يقولون إن الحرب وشبكة".

كان (مهران) قد تناول جوزته وهو يقول وسط أنفاس الدخان:

"أولاً لا تقل بك. أصبح (محمد باشا أبو الذهب) الآن. لقد أنعم الباب العالي بالباشوية عليه.. وثانياً الحرب ليست وشبكة. لقد بدأت. جهز (محمد باشا أبو الذهب) حملة ليقاتل (الظاهر عمر) وسنخرج في بحر اسبوع على الأكثر."

"(أبو الذهب) يطمع في زيادة رقعة حكمه."

"لا اعتقد. لن يخطئ خطأ سيده (علي بك الكبير). سيظل خاضعاً للباب العالي ما بقي له من العمر. عندما يرضى عنك الباب فأنت في أمان إلى أن تصل قبرك."

دخل صبي وبجانبه عامل المقهى يحمل أفداح القهوة. وضعها بينما (علي) يقول مبتسماً:

"عندما قابلتك الآن تخيلت أنك مريض."

"لم؟"

"لأنك منجهم طوال حديثنا، ولا تضحك إلا محاملة."

أبعد (مهران) الجوزة واعتدل قائلاً:

"أسف يا صديقي. لكن هناك موضوع غائبي يشغل بالي."

"هل لي أن أعرفه؟"

-حمای أخذ زوجتی لزيارة أهل المرحومة والدنہا فی (بني شقير) بمنفلوط
ولم تصلني أخبار منہما. القلق یاکلني منذ أيام".

"منفلوط؟"

قالہا (علي) وهو یبعد الجوزة وملاح وجہہ بتغير. حمایا بالانطلاق

"ما بك؟"

قالہا (مهران) بعد أن قطب جبينه متأهبا.

"كم غابا؟"

"اليوم یكتمل اليوم الرابع عشر على غيابہما".

تغير وجه (علي) أكثر وكاد القلق یطل من عينيه. ثم قال:

"منذ شهور سمعت أخبارا عن بعض قطاع الطرق من قري منفلوط
یقطعون الطريق على المسافرين".

ظل جالسا على مكتبه داخل المخزن لم یبرحه منذ رحيل (علي).
صرف جميع العمال بعدما خرج لشراء بعض الأشياء. وأغلق المخزن
من الداخل عليه. لم یزحلا أمامه سوى التاكيد من سلامتهما. برغم
أنه قد ابتعد عن كل ما یخص هذه الأشياء منذ زواجه. إلا أن غايته
فی الوصول ل(مروى) بررت وسيلته.

وما تعلمه لم ينسه بعد. وخاصة أنه شيء بسيط قد حفظه في بدايات تعلمه من والده. أمسك بقدر فخاري صغير ملاء بالماء وقام بوضع القليل من الحبر من الدواة الموضوعة على المكتب.

وضع القدر على الأرض وجلس بجانبه وهو يصرف عمار المكان.

سمع علامة صرقهم فقال:

"تلاه بلاه ظلهنوباش بهباش أصابيا مهباش آل ياه بحق هذه الأسماء احضروا لمجلسي وافتحوا مندي. اسمعوا وأطيعوا أيها المدعوون. واحضروا لمجلسي أسرع من إطباق الجفون. إن هي إلا صيحة واحدة فإذا هم جميعًا لدينا محضرون."

تغير الحبر في الماء كأنه يتحرك. استند (مهران) على يديه وهو يرى جني صغير الجسد يحرك الماء ليدل على وجوده. أبعد عينيه عنه كي لا يدرك الجني أن (مهران) يستطيع رؤيته. قال هذا الأخير بلهفة:

"أريد أن أعرف موضع زوجتي الآن.. اسمها (مروي) وأبوها (يونس) وأمها (ورد). خرجت هي ووالدها لزيارة أقارب في منفلوط بأسسوط منذ أربعة عشر يومًا."

اختفى الجني فجأة. اطمأن (مهران) أنه الآن سيبعث عنها. مرت دقيقة واثنان. شعر بالقلق. لم سيأخذ كل هذه الفترة في البحث! رآه يتشكل أمام القدر مرة أخرى ثم يقترب من أذنه ويقول:

"لم أستطع الوصول ل(مروي) أو (يونس)."

تسارعت أنفاس (مهران) وهو يقول:

- "كن معي حتى أصل إلى آخر مكان تواجدا فيه من خلال قرين كل منهما".

لم يكن (مهران) ينظر إليه من البداية. لكنه شاهد الجني بطرف عينه يتراجع برأسه للوراء وكأنه فوجئ بكلماته. ثم قال في أذنه:

- "لم تطلب هذا الطلب الغريب؟"

- "أنت أحد خدام المنديل السلیماني ويمكن أن أطلب منك مرافقتي لآخر موضع تواجد فيه من أطلبهم".

- "لم أقابل من يعرف هذا منذ زمن.. من علمك؟"

- "لا يهم، سترافقتني من الآن حتى أصل".

لم يرد الجني بينما نهض (مهران) وهو يقول:

- "سأذهب لأحضر الفرس والماء والنقود".

- "توقف!".

سمعها (مهران) وهو على ظهر فرسه فشذ اللجام بهدوء حتى توقف الفرس ببطء محافظاً على توازنه. نزل من على الفرس وهو يمسك بلجامه ناظراً حوله.

كان في منطقة صحراوية وبعض الجبال المنخفضة تحيط به.

- "أين بالتحديد؟"

”سرم من مكانك خمسة وعشرين خطوة ولا تحيد“.

فعل (مهران) مثلما سمع حتى توقف عند منطقة محسرة الرمال

”هنا آخر موضع نواحدا فيه“.

فألها الجني بينما ظل (مهران) يرمق بفعة الرمال المحسرة. كأنها حفرة
لم تكتمل. ترك اللجام وجنا على ركبته وأخذ يكمل الحفر بيديه في
نفس بفعة الرمال بسرعة جنونية.. اصطدمت يده بشيء..

أكمل الحفر حوله لتظهر ألوان ملابس نسائية. لم يتحرك الجني برغم
انتهاء مهمته. شعر بالفضول ليرى ما سيحدث. وخاصة بعدما لاحظ
أن عيني (مهران) تتساقط منها الدموع على الرمال التي يحفرها.

ظهر حسد (سروي) المناكل بالكامل. جلس بجانبه بذرف الدموع بوجه
جامد.

ظل على هذه الحال لدقيقة ثم نظر للجني بعين امتلأت بالدموع. تراجع
الجني بجسده مندھشاً. رفع (مهران) يده اليمنى وأشار بإصبع
اليسار ناحيته وهو يقول:

”أقسمت عليك يا خادم المندل بحق من لا يغلبه غالب ولا يفوته هارب
ملك المندل سراهيل الذي خلقه الله تعالى وجعل كلامه عليك كالرعد
القاصف وعيناه كالبرق الخاطف وصرخته كالريح العاصف. القابض
على صولجان من النور إذا هزّه لقضاء ربه فطر منه ألف شرارة وكل
شرارة أحرقتك إن عصيت قسمي بأن تكون خادمي حتى أطلقك“.

تغلغلت يد الجني بأغلال حديدية وخرج شعاع من الضوء من جسده إلى جسد (مهران). لكن الشعاع اختفى فجأة كأنه لا يجد جسد هذا الأخير. فصرخ الجني:

"ماذا يحدث؟! كيف تستطيع رؤيتي ولم كبلتني لخدمتك؟!"

"اسمع أنت من الآن خادمي ولن أطلقك قبل أن تنفذ أمري."

"لو عرف الملك (سراهيل) ما تفعله بي سيقطعك".

"قلت لك لو نفذت أمري سأتركك. اذهب الآن وابحث عن كل الجان الذين يعيشون بالقرب من هذا المكان في عالمكم. واسأل كل واحد منهم عما رأوه في الأيام السابقة ويتعلق بقتل زوجتي ووالدها. وأحضر لي اسم القاتل وأين هو الآن."

"لن أستطع الرجوع. فأنا لا أراك كبشر عادي. لا يوجد اتصال بيني وبينك لأعرف موضعك."

كان (مهران) يعرف ذلك فالشعاع الذي ينشئ رابطة السيد والخادم لن يلتحم بجسده لأن جزءاً منه من الجان.

"لن أنتحرك من مكاني حتى تعود".

قالها (مهران). فسأله الجني:

"من أنت؟"

"أنا الآن الحي بن القصاب".

غرق (يسري) في الورق وهو يجلس على مقعد مكتبه بالفيلا التي يمتلكها في حي المعادي. الورقة التي أعطاها له (عماد) في موضع مميز على المكتب. أما بقية المكتب فيمتلئ بأوراق مُلئت أرقامًا وكلمات.

بحث بين الأوراق حتى وجد نسخة كتاب المزامير بترجمة الراهب (سمعان) وبجانبيها النسخة العبرية. فتح النسخة القبطية للصفحة قبل الأخيرة. وقرأ بعينه للمرة العاشرة المزمور الـ 151 الذي ترجمه (سمعان):

(أنا صغيرًا كنت في إخوتي. وحدثنا في بيت أبي. كنت راعي غنم. يداي صنعنا الأرغن. وأصابعي ألقت المزمور)

توقفت بدا (سمعان) عند هذه الآية. حتى لم يكمل ترجمة بقية المزمور الديني كأنه قرر فجأة أن يتوقف عن الترجمة.

أو ربما أراد أن ينهي المزامير بتلك الآية. أبعد عينيه عن المزامير ومسح بيده شعره ثم أخرج هاتفه من جيبه ليتصل برقم هاتف (عماد) الذي نقله من ورقة صغيرة أخذها من حافظة نقوده.

رن جرس الهاتف وسمع صوت (عماد) يتساءل من الناحية الأخرى عن المتصل.

"أنا دكتور (يسري) يا أستاذ (عماد)".

"صدفة غريبة. لقد كنت أفكر في الوصول إليك الآن".

"أعرف أنك متعجل على تحليل الورقة. وها أنا أخبرك بما توصلت إليه".

"توصلت أنا أيضاً إلى جديد بخصوصها تفصيل أنت أولاً".

مد (يسري) يده اليسرى يخرج سبجارة من علبة سجارته الموضوعه على المكتب ويشعلها بقداحته وهو يقول:

"قارنت بين الرموز في الورقة وبين طلاس كتاب الراهب (سمعان) بنسخته. وهي صحيحة. بعض الرموز تشبهها فعلاً. لكن هناك جزءاً ثانياً من الرموز لم يكن يشبه أي طلاس في الكتاب. حللت هذا الجزء وفرقت رموزه فاكشفت أنها شفرة رقمية مطلسمه تتكون من أرقام قبطية من رقم 1 إلى 10. وهو نظام عمل به بعض رهبان مصر في فترة لا تزيد عن مائتي عام. سمعت عنه كثيراً ورايت نموذجاً منه منذ سنوات. لكن للأسف لن نحل الشفرة إلا بوجود مفتاح دلالي يفك تلك الرموز".

سكت (يسري) مستنشقا نفساً طويلاً من سبجارته قبل أن يتساءل بقلق:

"أستاذ (عماد). هل أنت معي على الخط؟"

جاءه صوت (عماد) مبهوراً:

"لقد توصلت لنفس ما توصلت أنت إليه!!"

"جيد.. هل عرفت حل الشفرة؟"

"لا.. لا اعرف ترتيب الأرقام الصحيح حتى. الأرقام القبطية كتبت فوق بعضها البعض".

”نسبت أن أخبرك أن تلك الشفرات بسيطة جدًا وتعتمد على اجتماع مجموعة أرقام لتشكل حرفًا. أي إن تلك الأرقام تشكل حروفًا بالأبجدية القبطية. لكن نص ترجمة الشفرة هو الناقص“.

”وأين نجده؟“

”لا أعرف. أتركي للغد لأبحث عن أي شيء. له صلة بترجمات هذا الراهب. ربما وجدتها“.

”إذن نلتقي في الغد؟“

”اتفقنا. سنظل على اتصال“.

أغلق (يسري) الهاتف وأطفأ سيجارته.. استرخى على مقعده ناظرًا إلى الكتاب المترجم باللغة القبطية وهو يقول:

”لم كل هذا التعقيد يا (سمعان)؟“

لظفت (حامد) حوله وهو يسير في أحد شوارع شبرا. الساعة الثانية بعد منتصف الليل. كان يضع هاتفه المحمول على أذنه رغم أنه أغلقه من فترة.

”طريقة مجنونة يا (حامد) لتحدثني“.

قالها (رحيم) وهو يسير بجانبه. فرد (حامد) متظاهرًا بتحدثه في الهاتف:

”نحن يسير في شبرا يا صديقي. سيزفني الناس لوراوني أتكلم مع الهواء“.

دخل شارعًا جانبنا امتلاً بأبواب المصانع المغلقة. مع أصوات ماكينات مكتومة تصدر من خلف بعض تلك الأبواب.

"مهمتك الآن يا (رحيم)".

اختفى (رحيم) من جانبه لثوانٍ وعاد بعدها يقول:

"لن تصدق ما وجدت خلف أحد هذه الأبواب".

"قل!".

"لا يمكنني الشرح. يجب أن ترى بنفسك.. قف أمام خامس باب على يمينك".

اختفى (رحيم) مرة ثانية. فوقف (حامد) عند الباب. سمع نكة القفل فعرّف أن (رحيم) فتح له من الداخل. جز الباب الضخم بصعوبة وفتحه. نك دخل للمصنع المظلم وأغلق الباب خلفه.

أضاء (رحيم) المصابيح فنظر (حامد) حوله. في البداية جذبته مظهر الآلة الموضوعية في وسط المصنع.

لكن (رحيم) قال:

"دعك من هذا الشيء واذهب للمنضدة واقرا الورقة الملقاة عليها".

جرى (حامد) للمنضدة فوجد ورقة بيضاء كتب عليها بخط مهزوز استصعب قراءته في البداية:

"أهلاً يا (حامد)، أنرت مصنعي، لن تجديني الآن فأنا في عمل هام. لكن انتظري هنا وسأوافيك حالاً.

ملحوظة: حتى أتى إليك أحضري لي طعاماً من أول الشارع وشفرة حلاقة ومعجوناً وماء.

أمضاء (طه)".

"هيا قم من نومك".

فتح (عبد الكريم) عينيه مفزوعاً، نظر لزوجته فوجدها تغط في النوم وهي تضح وسادة على رأسها، تأمل معالم غرفته التي يرى بعضها في الظلام.

"قم من نومك، لا يوجد وقت لهذا".

كان الصوت يتردد في أذنه بشكل عالٍ، عرف أن هناك جأناً يحدثه، هل كشف أمره؟

"من أنت؟"

"لو أردت أن تعيش فانهض وخذ زوجتك واهربا، ستنحول شقنك لساحة حرب بعد 22 دقيقة".

"ماذا؟!"

- "من جندوك جعلوا منك طعامًا للمخلي ليظهر، وستؤكل قبل بدء
المعركة".

- "من أنت؟"

- "اسمع كلماتي هذه المرة ولا تكن أحمق كالمرتين السابقتين!"

- "ما الذي تقصده؟"

تململت زوجته في الفراش بينما (عبد الكريم) يستمع للصوت الذي
يقول:

- "أقصد أنك قُلت أنت وزوجتك مرتين من قبل ولا أعتقد أنني أستطيع

إعادة فرصة نجاتك مرة رابعة. لقد سمنت. أمامك عشرون دقيقة

قبل موتك. إن اخترت حياتك فاهرب لشقة حمامك وارسم على

جدرانها ما ستجده على الورقة التي وضعتها لك على الكومود.. إلى

اللقاء".

- "كيف عرفت من أنا؟"

لم يجد إجابة. أضاء المصباح الموضوع على الكومود فوجد الورقة.

توقفت مجموعة من القبط السوداء بجانب العمارة التي تحوي شقة

(عبد الكريم). وقفت القبط متراسة كأنها في طابور عرض عسكري

تنتظر قائدها أن يأتي لتعطي له التحية العسكرية.

جاء قط-أسود من آخر الشارع راكضًا. توقف أمامهم ونظر لباب العمارة الذي انفتح فجأة وخرج منه (عبد الكريم) بجز زوجته المعترضة وهو يخبرها أن تخفض صوتها. هزول وهو بجزها حتى اختفيا في شارع جانبي.

جرى القط ليقف خلف بقية القطط كأنه يخشى. وفجأة اختفى ببساطة.

في موضع قريب من الربع الخالي وقف جيش (ابن سيف العداء) الذي يقود جيش اتحاد الممالك. وبجانبه وقف (يصفيدش) بملابس الحرب ينظر للمساحة الخالية أمامه.

- "آخر خبر وصلني منذ قليل عن جيش (المخلي) الذي يقوده (حرقم بن صهبل) أنه استولى على حامية بقرية تتبع لنا".

قالها (ابن سيف). فردّ (يصفيدش) وهو ينظر أمامه:

- "لقد كسب أخي هذه الجولة".

- "الحرب مازالت في بدايتها ونحن جمعنا الكثير من جيشنا ومازلنا..."

قاطعها (يصفيدش):

- "سينتصر علينا عاجلاً أم أجلاً حتى لو كسبنا الحرب".

- "ما الذي تقوله؟"

"ألم تفهم ما يفعله بعد؟ لقد حرك جيشه لإلهاننا. يستولي على القرى ويقتل الحاميات ونحن ننتظره بكامل العتاد. لو تحرك جيشنا بعيداً عن مقراتنا الأصلية لنواجه (المخلي) نفسه في قلعة سيحتلنا جيشه. ولو انتظرنا أن يأتي هو إلينا كما نفعل فسيفسد خطته في هذه الأثناء ويوقظ الملوك بعد فتح الأبواب.. نحن خاسرون في كل الأحوال".

جاءت دابة مدرعة من وسط صفوف الجيش يركبها أحد معاوني (بصفيش). نزل من عليها وهو يقول بسرعة:

"رجالنا الذين يحرسون أحد المنازل التي حددتها لنا في عالم البشر يقولون بأن شخصاً غادر المنزل هو وزوجته".

تهدد (بصفيش) وقال:

"كما فعل بقية الجواسيس.. يفادرون قبل حضور رجال (المخلي). ويخنفون عن عالمنا. بينما نشتبك نحن مع رجال (المخلي) بلا طائل.. اسمع، قل لرجالنا أن ينسحبوا بسرعة. كفانا عراقاً. لا أريد انفجارات غريبة مثلما حدث. رجال (المخلي) أقوى مما تخيلت".

"ما الذي يحدث يا (بصفيش)؟"

قالت (ابن سيف). بينما معاون (بصفيش) يركب دابته ويغادر.

"أحدى خططي في جذب (المخلي) بنفسه فشلت. أردت أن يستجوب أحد جواسيسنا عن العفارت حتى نصل لموضعه. لكن كل

الجواسيس غادروا قبل حضور رجال (المخلي) بقليل واختفوا. كأنهم يعرفون المستقبل."

"وهل تبحث عن العفارت؟"

"كنت أعتقد أنها أملي الوحيد. وأشعر الان بأنني أخطأت."

"أغبياء!"

صرخ بها (المخلي) وهو يقف أمام منات من رجاله.

"كيف يخنفي كل الجواسيس قبل وصولكم؟"

رفع أحدهم يده طالباً الإذن بالكلام، فأشار له (المخلي) أن يتكلم.

"سبدي، لقد أطلعنا أوامرك وانتقلنا لعالم البشر بمجرد تلقينا تعليماتنا."

"تقدم يا بني."

قالها (المخلي). فتقدم الرجل بضع خطوات حتى خرج من تجمع الرجال.

"أعطني سيفك."

أخرج الرجل سيفه من غمده وأعطاه للمخلي، الذي أخذه ثم غرسه لمنصفه في جسد الرجل.. نظر لبقية الواقفين وهو يقول:

"أريد تفكيراً أكثر إيجابية، لا أريد أن تنكروا غباءكم، فكروا لم فشلتم، فكروا كيف هرب (يصفبدش) جواسيسه."

رفع أحد الرجال يده بطلب الإذن.

"ها هو أحد رجالي تجرا على التحدث بعد ما حدث لزميله.. تقدم."

تقدم الرجل وقال:

"لا أرجح أنه شقيق جلالتك."

"والسب؟"

"أنا كنت في الفرقة التي ستذهب لمنزل أحد رجال (يصفيدش).. يعمل مدرسا في عالم البشر. قبل دخولنا رأينا أنسحابا منظما لرجال (يصفيدش) وهم متخفين في شكل قطط. ولم يكن هدفنا في شقته."

سحب (المخلي) السيف المغروس من جثة الرجل الأول واقترب من الواقف وهو يقول:

"بالتأكيد انسحبوا بعدما آمنوا هروب رجلهم."

ارتبك الرجل الواقف وقال بسرعة:

"لكن زملائي قالوا بأنهم اشتبكوا مع رجال (يصفيدش) في منازل بعض الجواسيس. وكان الجواسيس هربوا في كل المرات الأخرى بلا علم (يصفيدش). أما رجال (يصفيدش) المنسحين فكانوا كأنهم اكتشفوا هروبه قبلنا فلم يجدوا فائدة من الاشتباك معنا."

فكر (المخلي) وهو يخفض السيف ثم قال:

"أعجبني تحليلك."

وأشار لأحد الواقفين يطلب منه التقدم. ثم سأله قائلاً:

”أنت كنت ضمن المجموعات التي تقاتلت مع رجال (بصفيدش) في منزل
أحد الجواسيس. أليس كذلك؟“

”نعم يا سيدي“.

”أحك للمحلل العبقري كيف استخدم رجال (بصفيدش) معكم سلاحا
جديدا ليحلل لنا هذا الأمر أيضا“.

”لقد تقاتلنا معهم بسيوفنا ورماحنا حتى شاهدنا بقعة ضوء كبيرة
تتحرك بالقرب منا. خرج من بقعة الضوء شعاع دخل وسط
معركتنا. وانفجر كأنه قنبلة كقنابل البشر. بعضنا أصيب بحروق لم
نر مثلها. والبعض مات. كما مات العديد من رجال (بصفيدش)
أيضا. ومع ذلك ظل الانفجار داخل عالمنا بعيدا عن عالم البشر“.

نظر (المخلي) للرجل الأول وقال ساخرا:

”ما رأيك في هذا يا ذكي؟“

”جلالتك. كل ما بقوله يؤكد شيئا واحدا.. أن بقعة الضوء ليست
سلاحا جديدا لهم. والدليل موت بعضهم. هناك طرف ثالث هو من
هزب الجواسيس وهو من تدخل في المعارك بيننا وبينهم. واسمح لي أن
أقول.. إنه طرف أقوى من الجميع“.

"(إسلام). استيقظ".

فتح (إسلام) عينيه في ظلام الغرفة. لم يدرك كيف جاء لهذا المكان ولا من أحضره. شعر أنه يعرف غرفة نومه لكن لا يتذكر أي تفاصيل عنها. نظر حوله في الظلام وهو يسترجع وجهين يعرفهما. (رقية) وقرينه. نظر حوله فسمع الصوت مرة أخرى يقول في أذنه:

"لا تخف مني. أنا في صفك".

في ظلام الغرفة رأى شابًا واقفًا عند الباب. من الضوء الآتي من تحت عقب الباب تبين أن الواقف هو قرينه، لكنه يقوم بحركة غريبة برأسه. جسده ثابت لكنه يحرك رأسه يمينًا ويسارًا بلا توقف بحركة ميكانيكية كأنه يبحث عن شيء ما في الغرفة.

"(إسلام). لا وقت تبقى لي. يجب أن تسمعي. أحتاجك لإنقاذ (حبية) في الصباح الباكر".

"من الذي يحدثي؟"

"كنت أعرف أنك فقدت معظم ذاكرتك، لكن لم أعرف أنك لسيت (حبية) وبقية أصدقائك!"

فجأة توقف دوران رأس القرين عند نقطة معينة بجانب فراش (إسلام) كأنه عثر على ضالته. أسرع من موضعه حتى وصل بالقرب من الفراش ومد يده بمسك الهواء بقبضته.

شعق (إسلام) وهو يرى شرارة كهربية تخرج من الهواء من موضع قبضة القرين لتحيط بالقرين وتسري في جسده.

ارتعش القرنين والشرارات الكهربائية نسري في جسده كأنه يقاوم لكن بلا تعبير على وجهه.

فجأة ظهرت بقعة ضوء من قبضة القرنين تضخمت حتى أصبحت بحجم كرة القدم ثم اختفت. ففتح القرنين قبضته وأرخی جسده.

شعر (إسلام) أنه يمكن أن يسأل قرينه.

"من هذا الذي كان يحدثني؟"

"لا أعرف."

قالها القرنين ببرود.

"هل قتلته؟"

"تمكنت منه لكنه هرب قبل موته."

صمت (إسلام) لحظات قبل أن يسأل قرينه:

"من هي (حبيبة)؟ قل لي كل ما يدور حولها."

قضم (حامد) قضمة من (دبوس) الدجاجة المشوية الذي يمسكه بيده اليسرى. بينما يلعب إحدى الألعاب على هاتفه المحمول الذي يمسكه بيده اليمنى.

كان قد خرج منذ قليل وأتى بالطلبات التي وجدها على الورقة. لكنه شعر بالملل والجوع ففتح ورقة الطعام ليأكل بعض قطع الدجاج التي أتت بها.

"(حامد).. احذرا!"

صرخ بها (رحيم) وهو يضع يده بالقرب من رأس (حامد) ليتمكن من رؤية ما يحدث. نهض هذا الأخير فزعًا وهو ينظر يمينًا ويسارًا حتى رأى بقعة ضوء ضخمة يحجم إنسان في منتصف المصنع. صرخ (رحيم) مرة ثانية قائلاً:

- "سأتعامل معه".

نظر (حامد) لـ(رحيم) فوجده يخرج الكرياج من ملابسه ويختفي من جانبه. لقد فقد الرؤية بعد ابتعاد (رحيم) عنه. لكنه نظر لنفس النقطة الفارغة التي رأى فيها منذ قليل بقعة الضوء.

فجأة وجد سحابة دخانية تدور ببطء حول نفسها وداخلها تظهر حدود جسد شاب يقف. تحرك هذا الشاب للأمام لكنه توقّف فجأة كأنه لا يستطيع الحركة. ظهرت ملامح وجه الشاب وملامح جسده العاري.

فتح (حامد) فمه وقطعة الدجاج تقع من يده مما يراه. خطوط سوداء مرتسمة على جسد الشاب العاري ودخان خفيف يخرج من تلك الخطوط. أما رأسه فقد سقط معظم الشعر منها وبقيت خصلات بسيطة.

- "أنت (حامد)؟"

قالها الشاب بصعوبة وهو يشير بإصبعه ناحيته. فأشار (حامد) برأسه علامة الموافقة. ابتسم الشاب وهو يقول:

- "أنا (طه)".

- "(طه).. هل يمكن أن أسأل لم لا ترتدي ملابس داخلية؟"

الفصل التاسع مدينة الموتى

عاد الجني إلى موضع (مهران) بعد ما يقرب من ساعة بتوقيت البشر.
فوجد هذا الأخير جالسا على الأرض بجانب فرسه. بعد أن ردم موضع
الحفر الذي أنشأه منذ قليل

بوجه منخشب نظر (مهران) إلى الجني قائلا:

- "بفضل بعد كل تلك الغيبة أن أعرف كل شيء".

انتهى الجني في وقتته كأنه بدأ يحترم (مهران) لا إرادتها. وقال:

- "في تلك البقعة خرج على (مرؤى) و(يونس) بعض قطع الطريق.
استولوا على جمال كان يجدها (يونس). قاومهم فقتلوه. واغتصبا
(مرؤى) قبل قتلها هي الأخرى".

انتظر الجني ثوانٍ كأنه يتوقع أي ردة فعل أو تعبير على وجه (مهران). ثم
أكمل بعد أن وجد الجمود على وجهه كما كان:

- "بعد دفن جثتهما سافوا الجمال إلى قرية قريبة".

- "غيبتك الطويلة تدل أنك توصلت لأكثر مما تقول".

قالت (مهران). فردّ الجني بتلقائية:

- "استجوبت العشرات من الجن المحيطين حتى وصلت للقرية وعرفت من
دخل بمواصفات قطاع الطريق إليه. وعرفت أسماءهم: (أحمد بن
يزيد). (أحمد بن إبراهيم بن محمد). و(يوسف العطار). يياهم أهل
القرية والقرى المجاورة".

- "أرشدني لطريق هذه القرية".

"لم لا أرى فرسك؟"

"أرشدني وستعرف كل شيء."

أشار بيده لأحد الاتجاهات وهو يقول:

"سر من هنا بحصانك حتى ترى سبيل ماء فقير. هناك تجد القرية."

نظر (مهران) للاتجاه الذي أشار له الجني. فقال هذا الأخير:

"هل تفكر بأنني أكذب عليك؟"

هض (مهران) وسار حتى توقف أمام الجني تمامًا وقال:

"أتق في صدقك.. هل تعرف لماذا؟"

لم يرد الجني وهو ينظر لوجه (مهران) بقلق. فأكمل هذا الأخير قائلاً:

"سأشعر لو كذبت عليّ لأننا من نفس الجنس. فأنا جني مثلك!"

بعدما انتهى من جملة مديده ناحية الجني فجأة.

دخل (مهران) سوق القرية ممتطيًا فرسه. يسير بين الدكاكين والباعة مفترشي الأرض وهو ينظر يمينا ويسارا بوجه جامد. توقف بعض الناس في السوق ينظرون بقلق لهذا الشاب الذي يرتدي تلك الملابس الفاخرة التي نعلق بها بعض الفبار فيدا مظهره متناقضا. وتعلقت عيونهم بالسرج المزخرف الموضوع على فرسه القوي.

تهادى الفرس وسط الناس حتى وصل إلى مقهى امتلأ بأقفاص وضعت خارجه ليجلس عليها الزائرن. هبط (مهران) عن سهوة فرسه وهو يلقي التحية على الجالسين.. رد الجميع السلام بحفاوة متأثرين بهيبته وملابسه الغالية التي تختلف عن ملابسهم جميعاً.

ربط فرسه بجزء بارز بجانب أحد المنازل الملاصقة للمقهى. ثم جلس على احد الأقفاص الخالية والجميع ينظر إليه كأنهم يترقبون ما سيفعله.

جاءد القهوجي فطلب منه ماء وينسونا ومعسلأ. وبدأ الجالسون يتهايمسون بأنه ليس مضرباً بعدما لاحظوا لهجته الثقيلة التي تبعد عن لهجة اهل الصعيد.. قال بعضهم إنه ربما من إحدى قبائل اليمن. ونفى اخرون ذلك.

جاء القهوجي يحمل الماء والبنسون. عندها سمع (مهران) صوتاً يقول بمودة:

- "ترجو ان يعجبك ينسون المقهى".

نظر (مهران) خلفه جهة الصوت فوجد رجلاً يدخن (شيك دخان) الذي يشبه الغليون لكن قصبة تدخينه تزيد عن المتر. فابتسم بطرف فمه وهو يقول:

- "بالطبع سيعجبني".

- "بيدو انك غريب عن بلدتنا".

قال الرجل العبارة متقطعة وهو يستنشق الدخان بين كل كلمة وأخرى.
فاعتدل (مهران) في مجلسه ووجه جسده ناحية الرجل ليظهر له
الاحترام قائلاً:

"صحيح".

"لهجتك غريبة. فلا هي تشبه أهل المحروسة ولا أهل البحر".

قال العبارة رجل آخر بلهفة محاولاً معرفة المزيد عن (مهران). الذي نظر
له قائلاً:

"لست مصرنا في الأصل.. لكنني أقيم في المحروسة منذ سنوات"

غموض (مهران) في عبارته المقتضبة جعل الفضول يسري بين الزبائن.

"أنت من اليمن. أليس كذلك؟"

"لا.. بل من بلاد فارس".

"فارسي.. نسمع الكثير عنكم".

أنزل القهوجي الشيشة ل(مهران). الذي تناول ذراعها ووضع المبسم في
فمه وهو يقول بطرف شفوية:

"وهل نسمع خير أم شراً؟"

"كل خير بالطبع. لكن يبدو أنك تطبعت بطباع المحروسة بسرعة. فأنت
تدخن المعسل بحرفية".

في تلك اللحظة كان وجه (مهراڻ) حامداً وقد ركز عيڻه المنسعة على محدثه ودخان المعسل يخرج كنيفاً من أنفه.

- "طباع بلاد فارس لا تختلف كثيراً عن طباع أهل مصر".

قالها (مهراڻ) ثم دق بطرف ذراع الشيشة على قاعدتها الزجاجية قائلاً:

"كلمة الشيشة أصلها من بلدي. فتعني نقول شيش على الشيشة ونستخدم الشيش الزجاجية في التدخين في كل مكان. لكن النبع الذي نستعمله أثقل بكثير من المعسل هنا".

- "سمعت عن المعسل الإيراني لكنني لم أجربه من قبل".

- "ربما في زيارتي القادمة أحضر لك بعضه لتجربه".

ابنسم الرجل. في حين قال آخر:

- "وهل جنت بلدنا لتجارة أم زيارة؟"

- "جنت لتوصيل أمانة.. مبلغ من النقود لثلاثة رجال".

- "من هم؟"

- "(يوسف العطار) و(أحمد بن يزيد) و(أحمد بن إبراهيم بن محمد)".

فجأة ران الصمت على الكثير من الزبائن. حتى إن بعضهم ممن لم يسمع المناقشة من البداية نظر متعجباً للهدوء المفاجئ. نظر الرجال لبعضهم البعض ووجوههم تحمل تعبيرات مختلفة تنازج ما بين القلق والخوف والشك.

-من أين تعرفهم؟-

"حملت الأمانة من رجل بالمحروسة دون معرفة هؤلاء الرجال. هل يعرفهم أحد منكم؟"

ران الصمت مرة ثانية قبل أن يقول أحدهم:

"ومن هذا الرجل الذي أرسل المال؟"

"اعتدتي فاسمه وماله هو أماته أعطيها لمن ذكرتهم.. هل يدلني أحدكم عليهم؟"

"هم سيصلون إليك".

قالها الرجل الذي كان يدخن شباك الدخان منذ البداية. لكنه بعدما انتهى من عبارته أدار رأسه بعيداً عن (مهران) فقتعه الجميع بلا تخطيط.

انتهى المصلون من الصلاة وخرج الجميع من الزاوية بينما بقي (مهران) جالساً مستنفداً بظهوره لعمود من الخشب وسط الزاوية. دخل المسجد ثلاثة شباب مخيفو الهيئة يحمل أحدهم خنجرًا مزخرفًا في نطاق لفة حول وسطه. توقفوا أمام (مهران) وقال أحدهم:

"أنت الفتي الفارسي الذي بيعت عنًا؟"

نظر لهم (مهران) متفحصاً وجوههم وهو يقول:

-هل أنتم الثلاثة الذين ذكرت أسماءهم؟-

"نعم".

نطقها أحدهم. فهض (مهران) بينما تراجع الثلاثة خطوة إلى الوراء بتحفز. وقال أحدهم:

"من أنت؟"

"أنا (العي بن القصاب)".

قالها وانسحب من وسطهم بهدوء وهو يأخذ نعليه ويخرج من الباب ليرتديه. بمجرد خروجه وجد العديد من الرجال يقفون على مقربة من باب الزاوية ينظرون له بتربط.

تبعه الرجال الثلاثة للخارج مرتدين نعالهم على عجل. ووقفوا أمامه كأنهم يسدّون الطريق عليه. نظر لثوانٍ إلى الجمع الواقف فغُيِل إليه للحظة أنه رأى هالة مختلفة اللون تحيط بأحدهم. لكنه ركز أكثر في الثلاثة الواقفين أمامه.

-من أرسلك لنا وما هي الأمانة؟-

قالها أحدهم فرد (مهران) بهدوء:

"الأمانة من الشيخ (يونس الحرايبي)".

"لا نعرفه".

"وهو لم يعرفكم أيضاً. قبل أن تغفلوه هو وابنته".

نظر الثلاثة لبعضهم البعض والصدمة تسبق الدهشة بينما تتعالى همهمات الناس الواقعة خلفهم. فجأة أغلق (مهران) قبضته وضرب أقرب الثلاثة إليه بسرعة فسمع الجميع صوت عظام وجهه تهشم وسقط صريحا لتوه.

وجهه تهشم وتغيرت ملامحه وقد نفرت بعض عظام الوجه من الجلد. صرخ الناس بينما أمسك (مهران) بالرجل الثاني من رقبته بعنصرها. لكن هذا الرجل أخرج خنجره من نطاقه وغرسه في صدر (مهران) حتى المقبض.

تغلى (مهران) عن رقبة الرجل وأمسك مقبض الخنجر وصرخات النساء تتعالى. أخرج الخنجر بقوة وسرعة من صدره فلم يكن على نصله أثر للدماء.

تراجع الرجلان الباقيان مذعورين للوراء. لكن (مهران) غرس الخنجر في صدر صاحبه وهو يقول بوجهه الجامد وكلماته الهادئة: "الآن تعرفون معني أن يطلق عليكم لقب (الحي)".

تعالى أصوات من الناس يصرخون قائلين: "انجدنا يا شيخنا!"

لم ينبه (مهران) لتلك الكلمات لأنه انشغل بثالث الرجال الذي أخذته الصدمة فلم يتحرك خطوة واحدة للخلف. لكن كل ما استطاع أن يردده:

- "أعوذ بالله من خلق الله.. أعوذ بالله من خلق الله".

وقف أمامه (مهران) وأمسك رقبتة بيد واحدة يعتصرها وهو يقول:

- "جيد أنك تذكرت الله.. لأنك ستذهب إليه الآن".

أخرج الرجل من حلقه حشرجة عالية محاولاً التنفس وهو يضرب بيده وجه (مهران).. سمع هذا الأخير صوت شاب يتكلم بكلمات غير مفهومة. وشعر بوجود شيء غريب. اقترب صوت الشاب أكثر واختفى صوت الناس. هنا ميز كلمات الشاب الذي أصبح خلفه تماماً:

- "عيطوش عيطوش ليطوش ليطوش أروايوش أروايوش أجب يا برقان بخدمك ورجالك وتلبسوا يدي لتصرعوا من يلمسها".

نظر خلفه بسرعة ليجد شاباً يرتدي جلباباً وعمامة ويضع يده على فمه وهو يقرأ تلك العزيمة وضع الشاب يده على رأس (مهران) المذهول وهو يقول:

- "أمسك بمس الصرع بدنًا ونفسًا بحق حراس هيك (سليمان) شيبيل وهازم وعين الأشرم وابنه".

تصلب جسد (مهران) رغماً عن إرادته ورأسه يكاد ينفجر من ألم غريب انتابه لحظة وضع الشاب يده على رأسه. لكن يده المسكة برقبة الرجل الثالث لم تتخل عنه حتى إن جسده ارتخى مفارقاً الحياة قبل أن يسقط (مهران) هو الآخر بجانبه وجسده يتشنج رغم أنه مازال يرى بعضاً مما حوله. رأى الشاب الذي صرعه يقف ناظرًا إليه بشك

متفحصاً إياه بعينه وبعض الناس يقبلون يديه متبركين. وإحدى النساء تهتف بفرحة:

”ادعوا للشيخ (إسماعيل الحلاج) أنه نجانا من شر الفتى الفارسي“.

كان (طه) يقف عارناً ينظر لـ(حامد) بارهاق. وأشار بيديه لملابسه الملقاة على الأرض قائلاً:

”أحضر لي ملابس“.

جرى (حامد) ليحضر القميص والسروال والجاكيت ووضعها عند قدمي (طه) الذي قال:

”رايت عوالم لم أكن لأحلم بأن ارتداها. ومع ذلك لم أصدق أنك سيد الغرفة الححاسية!“

انحنى بعدها وأخذ يرتدي سرواله بصعوبة. لكنه سقط فجأة على الأرض. فأسرع (حامد) إليه يساعده على النهوض ويجره إلى المقعد ليجلسه عليه وهو يقول:

”الحمد لله أنك ارتديت سروالك. والا لما لمستك حتى!“

اعتدل (طه) على المقعد وهو ينظر للفة الطعام المفتوحة وبعض الأشياء التي أحضرها (حامد). بينما هذا الأخير يتساءل:

”ما سبب السحابة التي أحاطت بك منذ قليل؟“

”لأن الهواء تآبن من حولي“.

"يا نهار أسود!"

نظر له (طه) وقال:

"أنت لم تفهم ما قلت.. صحيح؟"

"صحيح!"

نظر (طه) مرة أخرى للأشياء التي وُضعت على المنضدة وهو يمسك علبة صلصلة طعامم ويقول:

"هل طلبت منك هذا؟"

"لم تحدد في الورقة هل تريد معجون صلصلة الطعامم أم معجون حلاقة. فأحضرت الاثنين."

"من هذا الذي يستخدم لفضة معجون الطعامم!"

"أنا أقرأها هكذا على علب الصلصلة.. بمناسبة الورقة التي كتبها. أنا إلى هذا الوقت لم أندمئش بعد. وعندني ألف سؤال ستفجر مرارتي إن لم أعرف أجوبتها! كيف عرفني وكيف علمت بأمر الغرفة النحاسية؟"

أمسك (طه) بقطعة دجاج من لفة الطعام وهو يقول:

"أنت أخبرتي باسمك وبأنك أصبحت سيد الغرفة الحديد."

"متى؟"

نظر (طه) مدققًا في قطعة الدجاج التي قضم (حامد) بعضها وقال:

- "هل أكلت من الطعام الذي طلبت منك إحضاره؟"

- "أحم.. اترك الطعام الآن وأجيبني متى أخبرتك؟"

- "في هذا المكان لكن في المستقبل القديم".

- "وهل تعتقد أنني فهمتك الآن؟"

قضم (طه) قطعة الدجاج ومضغها ببطء. فصرخ (حامد):

- "هل ألف لك سيجارة (حشيش) لتجسب بها بعد تناول الطعام؟"

- "الحشيش في جاكيت البدلة. لف لنا سيجارتين".

- "أهناك حشيش بحق؟"

قالها (حامد) متلهفًا. قبل أن يسمع صوت (رحيم) يقول:

- "ألا تملك أي فضول حول انتقاله من عالمي لعالمك؟"

هنا قال (طه) بعدما ترك قطعة الدجاج:

- "بالطبع أنت عرفت مكاني بمساعدة المأمور صديقك".

- "ومتى أخبرتك؟ في الحاضر القريب أيضًا؟"

- "نعم".

- "لولم تدخل علي بهذا العرض الغريب لاعتقدتك مجنونًا!"

"سألخص لك كل شيء لأنني أحتاج مساعدتك.. لقد جاءني (جساس) الغرفة القديم ليطلب مساعدتي. وأخبرني بكل الأحداث التي وقعت في الغرفة وأدت لتدميرها. وحكى لي عن أبي وكيف ساعدكم في مواجهة (المخلي). وكيف قتله".

"النقاء لله".

"ونعم بالله.. المهم.. كما تعرف أنني قتلت (سنان) أحد رجال (المخلي) المقربين. وهذا ما قادك إلي.. وأحييك على هذا الذكاء".

"ميرسي!".

"لكن ما لا تعرفه أنني استجوبته قبل قتله وعرفت الكثير. مثل موعد فتح البوابات وموضع (حبيبة). وخطه هجوم (المخلي) عند فتح البوابات. وخطه خاصة لمنع (بصفيدش) من الوصول لأي معلومات تقوده لطانفة تسمى (العفاريت) كي لا يستخدمهم ضده قبل أو بعد فتح البوابات".

"وكيف سيطرت عليه لنستجوبه؟"

"عن طريق تجارب عملت عليها لسنوات استنادًا لتجارب أخرى قديمة جدًا للعلمين (رودلف أمبيرج) و(نيكولا تسلا).. أقوم بصنع مجال كهرومغناطيسي عن طريق الكهرباء ممتزج مع جاذبية الأرض نفسها. هذا المجال من الطاقة يجس كل ما داخله من طاقات ذات تردد أقل".

"هل الموضوع له علاقة بإسحاق نيوتن الذي اخترع الجاذبية؟"

قالها (حامد) بجدية. فأتسعت عينا (طه) وهو يردد:

- "اخترع الجاذبية!!"

- "الموضوع له علاقة بالتفاح؟"

- "سأحاول أن أبسط لك الأمر. أقوم باستدعاء الجني بشكل طبيعي بطريقة استدعاء من التي تُستعمل في كتب السحر. وفي نفس المكان الذي يحضرفيه الجني أجهز شيئاً يشبه ذلك."

وأشار للالة في وسط المصنع. ثم أكمل:

- "هذا الجهاز ينشئ مجالاً كهرومغناطيسياً قوياً. والجن جسده في الأصل من الطاقة. لذلك أحبسه فيه وأقوم بالتأثير على ذرات جسده من خلال هذا المجال حتى يتكلم. لو أردت قتله سأزيد قوة مجال الطاقة لفترة زمنية حتى يتأثر جسده ويحدث له ما يشبه الفناء من العالم."

- "الموت؟"

- "موت واختفاء لطاقة جسده في نفس الوقت."

- "ولو أنني لم أفهم ما تفعله لكنك تتكلم عن شيء يشبه الغرفة النحاسية."

- "أعتقد ذلك. ولو أن الغرفة النحاسية نفسها متطورة عما أفعله."

جز (حامد) المقعد وجلس بجانب (طه) وهو يقول:

- "أكمل."

"خطر بيالي أن أكون مؤثراً في عالم (المخلي) لكن بطريقة أسرع. فكرت بأن أدخل لعالم الجن بنفسني".

"يا ابن المجنونة!!"

"ماذا؟!"

"أكمل من فضلك".

"معظم التجارب التي اختبرت احتمالية إحاطة البشر بحقول الطاقة فشلت وأثرت سلبياً على المتعرضين للتجربة. بعض التجارب نجحت لكنها بلا قصد فتحت فجوة بين الأبعاد وتم إحلال كتلة البشر للدخول إلى أبعاد أخرى أو أماكن بعيدة عن مكان التجربة في نفس البعد".

"لم أفهم ولا كلمة!"

ضرب (طه) على جبهته وهو يقمقم:

"كيف أصبحت سيداً للغرفة النحاسية!"

"هل نقول شيئاً؟"

نظر له (طه) بحسرة وقال بنبرات بطيئة:

"انفتحت فجوة بين الأبعاد وانتقلت لها أجساد من كانوا يجرون عليهم التجارب. لكن للحظات أو دقائق".

"هذي أعصابك وأكمل".

"في كتاب قديم عندي يتحدث عن الجان قال أحد المتصوفة إن فرق أعمارنا لأعمارهم 15 عامًا، أي إن مرور هذه الأعوام في عالم البشر يساوي مرور عام واحد فقط في عالم الجان. فكرت كثيرًا كيف وجدت تلك المعلومة -التي هي من تراث الصوفية- منذ مئات السنين لتفسر كيفية طول أعمار الجان وهم لم يطلعوا على نظريات توصل لها العلم في آخر 100 عام فقط."

- "أي نظريات؟"

- "نظرية النسبية لأينشتاين.. ارتباط الحركة بالزمن".

فتح (حامد) فمه. فقال (طه) بسرعة:

"سأحاول أن أمحي هذا الغيباء الذي أراد أمامي. (أينشتاين) يقول إنه باختلاف الحركة يختلف الزمن. أي لو زادت سرعتك تباطأ الزمن من حولك. ومثال على ذلك فالزمن على الأرض يختلف عن الزمن على الكواكب الأخرى. فاليوم على الأرض لا يساوي اليوم على كوكب آخر زمنيًا. ولأن جسد الجني وعالمه وحركة جزيئاته أسرع من حركة جزيئاتنا كبشر: لذلك فالوقت عندهم أبطأ من الوقت عندنا، أو بمعنى آخر: اليوم عندهم يمر بشكل طبيعي لكن بالنسبة لنا يمر كأربعة عشر يومًا تقريبًا. ولأن الكون بشكل ما عبارة عن جرد منفصلة من الأزمنة المختلفة فقد فكرت في دخول بُعد الجان بشكل علمي عن طريق فتح فجوة بين الأبعاد. وفي نفس الوقت أُغَيِّر من سرعة ذرات جسدي عن طريق شحنها بدفعة من الكهرباء لصنع ذبذبة معادلة لذبذبة جسد الجني".

أشار (طه) للخطوط المحترقة في جسده وقال:

- "لقد كنت حول جسدي سلًا نحاسيًا ومررت أطرافه بين جلدي ليسري مجال كهربي داخله بغير من طبيعة جسدي. لكن هذا المجال ينتهي من الأسلاك بعد ساعات من زمن عالم الجان. أي يومين من عالمنا. وعند انتهاء سريان الشحنة الكهربائية في السلك يعود جسدي لعالم البشر مرة ثانية. لكن إن لم أختار المكان فسأعود في أي مكان يكافئ عالمهم وعالمنا".

- "أنت في عالم الجان منذ يومين؟"

- "لم أكمل اليوم وانتهى الشحن من الأسلاك".

- "لم؟"

- "لأنني في عالم الجان تعلمت الانتقال بين الأماكن بمجرد التفكير. لكن هذا يأخذ جزءًا من الطاقة في الأسلاك. وتعلمت الكثير من الأشياء. كالتحدث مع البشر أو تحريك أشياء في عالمنا. حتى اكتشفت قدرة غريبة تهلك جزءًا من الطاقة".

- "لا أعتقد أن هناك أغرب من انتقالك لعالم الجان!"

- "كنت قد سألتني كيف عرفت بوجودك في المصنع وكيف أنني تحدثت معك سابقًا".

- "أموت وأعرف السبب!"

- "لأنني اكتشفت أنني أستطيع الانتقال للمستقبل!"

أزاح (عماد) باب الغرفة النحاسية بصعوبة وخطى داخلها بخطوات واثقة. نظر حوله لتفاصيل الغرفة التي عرفها منذ فترة فوجد نفس النقوش لكنها ثابتة بلا حركة. وبعضها تغير كأنه حذف.. بعض المساحات على الحوائط أصبحت فارغة. وفي ركن مظلم من القاعة وجد رجلًا يرتدي جلبابًا وطاقية ويمسك في يده عودًا خشبيًا كأنه قلم. الرجل يعطي ظهره ل(عماد) لكن يبدو أنه منهمك في شيء ما يفعله. شعر (عماد) بخطوات خلفه فنظر ليجد (حازم) يقف وهو ينظر له بدهشة. فقال له:

- "تبعني للحلم مرة أخرى يا صديقي؟"

ابتسم (حازم) وهو يقول:

- "أسمعت جيدًا.. يبدو أننا نحلم مرة أخرى كأمس، لكن ما السبب؟"

نظر (عماد) للرجل المسك بالعود وقال:

- "من الممكن أن تكون رسالة لنا من عالم آخر.. شخص ميت أو جني أو أي شيء. لكن يجب فهمها. ومعرفة من يكون هذا الشخص."

تقدم (حازم) خطوتين ليقف بجانب (عماد) وهو يقول:

- "بشغلي مرسل الرسائل أكثر منك. نفس نوعية الأحلام تلك جاءت لكل من كان له علاقة بالمخطوطة من البداية، كأنها تحمل تحذيرات أو تفسيرات."

"لا أخجل من الاعتراف بأن الحديث في الحلم مع شخص آخر ممنوع وخاصة..."

فتح (عماد) عينيه ليجد نفسه على جانب الفراش في غرفة نوم (حازم)..
ابتسم وهو يهض وينظر لهذا الأخير. الذي نهض بدوره وهو يقول:
"كنت تقول إن الحديث في الحلم مع شخص آخر ممنوع وخاصة ماذا؟"

"قل لي إنك انتقلت لعالم الجان وأحببت بنت ملكهم وهرتما معا لشقة
في إمبابة لتتزوجا عرقي وسأنتهم! لكن لن أستطيع هضم موضوع
انتقالك للمستقبل هذا!"

قالها (حامد) وهو يهرش في رأسه وينظر للأرض.

"أذهب لجاكيت البدلة الملقى على الأرض هناك وافتح جيبه الجانبي".

قالها (طه) وهو يشير للملابس الملقاة. فهض (حامد) وهو يقول:

"هل سأجد المستقبل داخله هو أيضًا؟"

"لا. بل ستجد علبة سجائر وولاعة. احضرهما".

"خدامتك (أمينة)!"

احضر (حامد) السجائر فأشعل (طه) إحداها وهو يقول:

"لم أصدق ما حدث في أول مرة. تخيلت نفسي أهلوس. لكن التجربة أثبتت هذا الشيء الغريب.. لم يكن انتقالاً في الزمن بالمعنى الذي فهمته. لكنه عبارة عن رؤية لمستقبل ما أنتوي فعله."

"أترى أم تنتقل؟"

"الانتقال للمستقبل علمياً خيال. أو على أقل تقدير مستحيل علمياً في هذا الوقت. لو أردت مثلاً أن تنتقل عبر الزمان فيجب أن ينتقل جسدك بسرعة تزيد عن 300 ألف كيلومتر في الثانية وهي سرعة الضوء. وبرغم أن بعض التجارب استطاعت اختراق هذه السرعة عن طريق نبضات الليزر بسبب عدم وجود كتلة لها، إلا أن جسدك له كتلة ستزيد بمجرد زيادة السرعة."

"إذن الانتقال مستحيل؟"

"مستحيل لعالمنا كبشر. لكن لا أعلم إمكانيته في عالم الجان، القوانين الفيزيائية التي تحكمه لا أعلم بشأنها الكثير. وكما قلت لك كل ما كان يحدث هو أنني في عالم الجان عرفت بأن كل شيء يتعلق بالطاقة. ولأن الأسلاك المغروسة في جسدي محملة بشحنة ضخمة من الطاقة فقد فهمت كيف أطلقها لأنتقل من موضع لآخر بسرعة. وحتى أؤثر في جان آخر كإني أضربه برصاصة من الطاقة فنقتله.. حتى ذهبت لأرى (حبيبة) في الموضع الذي حدده (سنان). لأكتشف أنني بمجرد أن قمت بإخراج طاقة عالية من جسدي وفكرت بأن أدخل إليها: إذا بي أحبس معها في غرفة. كأنه مشهد من فيلم يعرض أمامي."

"هل تحدثت معها؟"

- "لا.. شاهدت أنني معها في غرفة نُقش على حوائطها الكثير من الطلاسم التي لم أرها من قبل. تأملت جوانب الغرفة فوجدت مرةً مظلمًا في ركنها يقود لشيء ما. أما (حبيبة) فكانت ممددة على الأرض في سبات تام. شعرت بضعف شديد مع عدم قدرتي على التحرك. وكأنني أصبت بمرض ما".

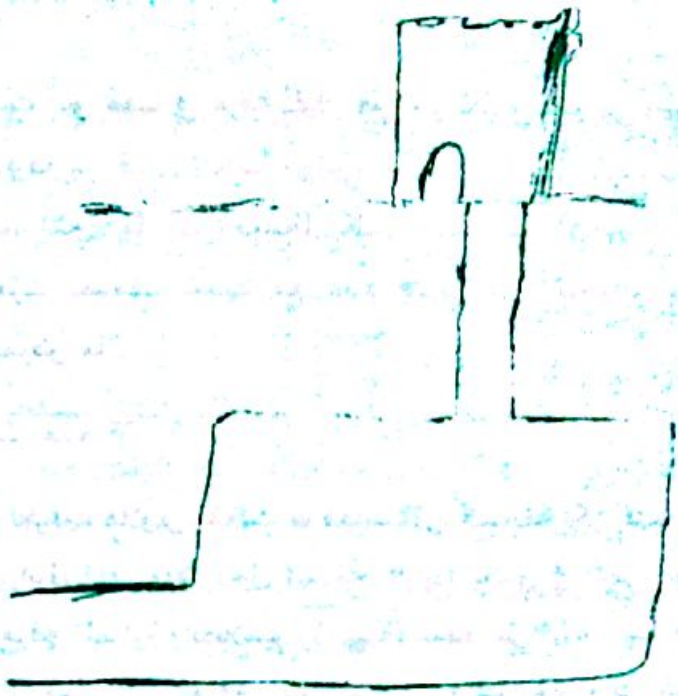
- "وماذا حدث بعدها؟"

- "في البداية تخيلتها هلاوس. فعلت ما فعلت المرة السابقة لكن هذه المرة نويت أن أنزل الممر وألا أدخل الغرفة. فرأيت نفسي في الممر المظلم وأخرد الغرفة الممتلئة بالطلاسم و(حبيبة) ممددة على الأرض كما هي. حاولت الدخول إلى الغرفة فلم أستطع. حائط غير مرئي كنت أصطدم به".

- "ما هذا المكان الغريب؟"

رسم (طه) السجارة على الأرض وقلّب في الأشياء الملقاة على المنضدة حتى وجد ورقة فارغة وقلّنا. رسم عليها بشكل سريع وصفًا للمكان. ثم أظهر الورقة ل(حامد) وهو يشير إلى جزء أسطواني قائلاً:

- "في الصحراء وعلى رأس تل رملي بجانب عرب مطير بأسبوط يقع هذا الجسم الأسطواني. والذي يسميه الناس باسم الهنيكة".



“لا أرى إلا علبة من الصفيح تشبه علبة البيبسي.”

“هذا الجزء من معدن لم يتم تحليله. مغروس في الرمال منذ آلاف السنين. لم يحدد أي عالم آثار ماهيته أو تاريخه أو حتى سبب وجوده الغريب في هذا المكان.”

“وما معنى الاسم الذي أطلقه الناس عليه؟”

“الهنيكة.. أعتقد أنها طريقة نطق بعض قرى الصعيد للفظلة انثيكة. بعض الناس يقول بأن فرقة عسكرية من جيش الإسكندر المقدوني وضعوها كعلامة لهم على مدينة فرعونية تمثلان بالكنوز تحتها ليعودوا لها مرة ثانية.”

ثم أشار إلى قطعة من الرسمة وهو يقول:

"هذا موضع الغرفة، مدفونة بما يقرب من ستة أمتار للأسفل من هذه
الهنتيكة. وهذا هو الممر الذي يقود لشيء لا أعلمه."

"وما الحل؟"

"الحل في كائن لا يتأثر بعالم الجان وتعاويذه. وفي نفس الوقت يمتلك
القوة اللازمة لدخول هذا المكان والخروج منه (حبيبة)."

قالها (طه) وهو يلقي الورقة على المنضدة ويتناول قطعة دجاج لياكل
منها.

"قرين (إسلام)!"

قالها (حامد) وهو يفرقع بإصبعيه. فرد (طه) بعدم اكتراث وهو بمضغ
الطعام:

"فكرت في ذلك بعدما أخبرني (الجناس) بأخر ما عرفه عن انفصال
قرين صديقكم وقوته الطاغية. وذهبت إليه في بيته وكدت أن أقتل!"

"تقصد شاهدت نفسك في المستقبل؟"

"لا.. فقبل أن أزور (إسلام) فرغت شحنة الطاقة التي كنت أمتلكها
بسبب إنقاذي لجواسيس الجان الذين عرفتهم من (سنان). ومحاولة
إيقاف المعارك بينهم."

"جواسيس الجان؟"

"أسأل (يصفيدش) الذي تتصل به أنت وأصدقاؤك. هو من جعلهم
عرضة للقتل بعد استخدامهم ككمين (المخلي)."

”كيف عرفت كل تلك التفاصيل؟“

”الجماس القديم و(سنان) أخيراني الكثير جدًا حولكم.. المهم، بعدما انتهيت من مسألة الجواسيس جئت هنا لقرب انتهاء شحفتي، واستخدمت آخر مرة أستطيع فيها رؤية المستقبل ورأيتك وتحادثنا، فتركت لك الكلمات، وذهبت ل(إسلام) في منزله فوجدت قرينه الذي كاد يقتلني.“

”كيف؟“

”كان يبحث عني في البداية، لاحظت أن الجان لا يروني بشكل طبيعي، لكنهم يخافون من وجودي.“

همس (رحيم) في أذن (حامد):

”نراه كأنه بقعة ضوء ساطعة.“

أعاد (حامد) العبارة على (طه) وأعلمه أنها من (رحيم)، فهزّ (طه) رأسه متفهمًا وأكمل قائلاً:

”عندما خبنت شحفتي عرف مكانني، لا أتذكر سوى أنه مد يده داخلي مسببًا ألمًا غريبًا، أفرغت آخر ما أمتلك من مجال كهربي لأهرب وأعود لهناء قبل أن يعود جسدي لطبيعته.“

”طه.. اعتقد أنه يجب إشراك أصدقائي في هذه المعلومات.“

”وهل ستخبرهم عني؟“

”اعتقد، سيوزونك في المستشفى ويعاولوا...“

قاطعه (طه):

- "أي مستشفى؟"

- "التي ستنتقل لها. جسدك يمتلئ بالحروق ولا أعرف هل هناك ضرر داخلي أم لا!"

- "بالتأكيد هناك ضرر داخلي أشعر به منذ عدت. ومع ذلك لن أذهب لأي مكان. لا وقت لهذا الترف. يجب أن أحاول العودة لعالم الجان مرة أخرى لأقتل (المخلي)."

- "تقتل (المخلي)! تتحدث عن قتله كأنك ستقتل ذكر ببط!"

- "يكفييني المحاولة. وخاصة أنني سأخاطر لآخر مرة بالعودة لعالم الجان."

- "تخاطر؟"

- "لا أعرف هل الأسلاك في جسدي تتحمل مرة ثانية أم لا. المهم أنك ستساعدني. أليس كذلك؟"

- "بالطبع!"

- "إذن جد طريقة لإقناع (إسلام) بالسفر صباحاً لتلك المنطقة ونقل (حبيبة). لكن في موعد محدد."

- "ما هو الموعد؟"

- "سأحدد لك الموعد في الغد لو انتقلت لعالم الجان بسلام. لأنني اكتشفت أن (حبيبة) لو خرجت قبل موعد فتح البوابات سيستبدلها بأي فتاه عذراء أخرى."

- "ولم أخذ (حبيبة) بالذات؟"

- "لا أعرف. ربما نوع من الانتقام من كل ما يخص صديقك (يوسف) ونسبه لذلك الشخص الذي تسبب في سجنه."

- "لحظة.. كيف سيقوم قرين (إسلام) العاري بإخراج (حبيبة) أمام الناس؟!"

- "فكر بطريقة لتجنب الناس."

قالها (طه) ونهض من المقعد بصعوبة وهو يقول:

- "أذهب أنت الآن وتأكد من أن يتواجد (إسلام) غدًا قبل الساعة الرابعة عصرًا بالقرب من الهنتيكة. وانتظر أنت هنا بجانب الغرفة النحاسية حتى أخبرك ببقية التفاصيل."

- "وأنت متى ستنتقل؟"

- "سأخلق شعر رأسي وأرتاح قليلًا لأفكر وأقوم ببعض حساباتي. ثم أعود لعالم الجان."

- "لم تخبرني متى موعد هجوم (المخلي)."

- "لقد بدأ الهجوم بالفعل!"

الفصل العاشر

النهاية

فتح (مهران) عينيه مرة واحدة كأن وعيه عاد إليه فجأة. نظر حوله فعرف أن الظلام هو ما يحيط به. لكنه كان يرى جيداً. يرى في العتمة كل شيء بلون يميل للأحمر الباهت. وجد نفسه في غرفة فقيرة امتلأت أركانها بكتب كثيرة وأوراق لم يتبين نوعها.

هنا أحس بقيد على يديه. كل يد عليها كلابة حديدية نخرج منها سلسلة عريضة تربطه للحائط بحلقة معدنية.

شعر بالسخرية من غباء من قيده. بالتأكيد لم يعرفوا حجم قوته بعد. جذب يده ليكسر القيد ففشل. حاول بقوة أكبر وهو ينظر ليد يمينه. فوجد هالة متغيرة الشكل تحيط باليد.

في الظلام رأى طلاس كُتبت على القيد تخرج إضاءة زرقاء منها.

انفتح باب الغرفة ودخل شاب يحمل قنديلاً مضياء بيده فتبدد الظلام وعاد (مهران) يرى ما حوله. نظر لقيده فوجد الهالة المحيطة بها كما هي لكن الطلاس كُتبت باللون الأحمر.

”سمعت صوت القيود تتحرك فعرفت أنك أفتت“.

نظر له (مهران) بوجه بارد يتأمل ملامحه. هو نفسه الذي قبل الناس يده وهم ينادون اسمه. (إسماعيل الحلاج).. لن ينسى هذا الاسم الذي كان السبب في هزيمته بعدما عاد من القبر. (إسماعيل) يقف أمامه بشاربه المنعق ولحيته الصغيرة وقد خلع عمامته فظهر شعر قليل في رأسه. نطق (مهران) بهدوء قائلاً:

”كيف طبقت الصرع بدون تلبس يدك بعد كتابة الطلاس عليها“.

لم يتخل (إسماعيل) عن ابتسامته وهو يجلس متربعا على الأرض أمام
(مهران) ويضع القنديل بجانبه قائلا:

- "وتعرف أيضًا تلبيس الكف والصرع به. جيد جدًا. يمكنني أن أجيبك
عن أسئلتك لو أجبتني أنا أيضًا عما يدور بخلدي. اتفقنا؟"

لأول مرة يشعر (مهران) بقوة نفسية تخرج من شخص أمامه. برغم أنه
رأى في المحروسة العديد ممن يمتلكون خدمات الجان أو يستخدمون
السحر. إلا هذا الشاب. كان تأثيره عليه يشبه الوقوف أمام عدو
يحترم قوته وبهاها.

- "اتفقنا".

قالها (مهران) فاخفت ابتسامته (إسماعيل) وقال:

- "هناك طرق مختلفة لإحداث الصرع. تلبيس الكف بالطلاسم إحداها
فقط. والطريقة التي تعلمتها تمكني من تلبيس كفي بمجرد القراءة
عليه.. قل لي لم لا يوجد قرين لك؟"

- "لم أتوقع أن يكون هذا هو سؤالك الأول. تخيلت أنك تريد معرفة كيف
لم أمت".

- "وأنا توقعت أن نسأل عن فيدك. لا عن طريقة تلبيس اليد".

ابتسم (مهران) ابتسامته صفراء وهو يقول:

- "يبدو أن من هم مثلنا لا يندهشون كثيرًا. ليس لي قرن لأنني ولدت هكذا. والآن أخبرني عن استخدامك لهذه الطلاسم على فيدي. لم وضعتها؟"

- "لأنني استعلمت عنك فلم أجد قرينًا لأعرف أي شيء منه. (يوسف العطار) غرس خنجره فيك فلم تتأثر كأنك لست من البشر. وفي نفس الوقت لست من الجان. وحتى لو كنت جنينًا تحول لبشر ويعيش بيننا لمت من فورك. لذلك استخدمت قيدًا يمكن أن يعيق البشر وطلسمته بطلاسم تعيق الجان عن الإفلات منه. أي إنني استخدمت طريقة لإضعاف البشر والجان.. وأرى أنني نجحت."

- "تعرف أيضًا الجن الذي يعيش بين البشر؟"

- "وأعرف أنك في مرتبة أعلى منهم. كأنك تحوي صفاتهم وصفاتنا. لذا أحب أن أعرف. ما أنت؟"

- "أنا (الحي بن القصاب بن شادق)".

ظهرت الجدية فجأة على وجه (إسماعيل) وهو يتساءل:

- "(شادق) قبيلة الجان الفارسية التي تحرس البوابات؟"

ابتسم (مهران) هذه المرة ابتسامة انتصار وهو يقول:

- "أنت حقًا تعلم الكثير كما توقعت.. دورك لتعرفني بنفسك وكيف تعلمت كل ما عرفته."

"ولو أنك لم تخبرني بكل شيء عنك لكن الوقت رخيص بمجلسنا.. سأعرف لاحقًا.. أنا (إسماعيل الحلاج). ولدت في قرية (العصارة) بعدما مات أبي وأمي بمرض لا أعرفه قبل أن أدرك وجودهما حتى. تكفل بي سيدنا (عامر الدويشي) أنا وبعض الأيتام بالقرية. عشنا بمنزله الذي اعتبره الناس وقفًا للأيتام في قريتهم من الرجل النازح من قبائل الجزيرة العربية. لكننا عرفنا مع الوقت أن سيدنا لم يكن من إحدى القبائل بشبه الجزيرة لكن نسله يمتد إلى اليمن، وأصبحنا جميعًا من مردي قبيلة (الثقاف)".

"أهي تتبع طريقًا صوفيًا لتصبح من مرديها؟"

"أجب عن سؤالي أولاً. كيف تكون ابناً للجان؟"

أجابه (مهران) ببساطة:

"والدي أحد المتحولين الجان. وكان..."

قاطعته (إسماعيل):

"المتحولون ليس لهم أبناء.. لا يمكنهم الإنجاب".

"هذا ما اعتقده والدي في البداية فابتعد. لكنه عاد ليعلمني كل شيء عن السحر والتعامل مع الجان. حتى مات حزناً علي".

"حزناً عليك؟"

"لأنني قتلت وذفنت".

"ذفنت؟"

- "نعم، وعدت من قبري بعد تسع سنين".

- "تسع سنين!"

قالها (إسماعيل) ووجهه يتجههم. ثم أكمل قائلاً:

- "كانك تولد من جديد".

- "ملحوظة غريبة لم أفكر بها.. أكمل حكايتك".

تهيد (إسماعيل) وظهر القلق في نبرات صوته وهو يقول:

- "أراد سيدنا أن نتعلم كل ما عرفه عن السحر لأن الله لم يرزقه بأولاد، وقبيلته تتوارث أسرارها بين أبنائها منذ مئات السنين. كان بعضهم قد هاجر إلى الجزيرة العربية ثم هاجر هو من بينهم إلى أسبوط. تربيت أنا والبقية في كنفه نتعلم منه حتى مات بعد أن أصبحت لدينا تلك الكتب التي نسخناها من حديثه ومما تعلمنا منه. (علم الأقلام الروحانية) الذي برعت أنا فيه. و(علم الكواكب والأفلاك) و(علم الحرف وتصريفها) و(علم الزايرجة والعروش). وعلوم كثيرة برع فيها من كانوا معي كل في علمه. اعتبرنا الناس من المتصوفة أصحاب الكرامات ولم يدققوا في طرق نطقنا للعزائم. فقد أخبرناهم أننا تعلمناها من الملائكة وأنها نتيجة خلوات لله نقوم بها. ثم اتشأنا في الصحراء الغرفة المطلسة. لنتمكن من السيطرة بشكل أقوى على عالم الجن".

- "تسيطرون على الجن بهذه الغرفة؟ كيف؟"

"قل لي أنت أولاً.. ما الذي يمكنك فعله وكيف لا تموت؟"

"لم أعرف حدود قدراتي بعد، صفات من الجان وصفات من البشر. لا يمكن أن أتخذ خادماً من عالم الجان كي لا يكتشف شخصيتي ولكن أستطيع قتلهم ببساطة في نفس الوقت. ضربت بالبارود وبالسكين ولم أمت، لا أنزف دماءً بسهولة. وإن نزفت لا تزيد عن قطرات صغيرة صفراء.. أستخدم السحر كبشر ولم أكن أعرف هل يؤثر في أم لا. وعرفت اليوم منك.. أكتشف من حين لأخر قدرات جديدة."

"لا أستطيع تكذيبك بعد ما رأيت.. سألت عن الغرفة المطلسة. هي غرفة نعلمنا صنعها من سيدنا وكتبه التي نسجناها."

قالها (إسماعيل) وهو يشير للكتب المتراسة في الغرفة. ثم أكمل:

"عبارة عن غرفة ننفش عليها الطلسم لتحمينا من رؤية الجان لنا ونحن بداخلها. نستدعي الجني لها فيفقد قواه فيمكننا قتله أو استجوابه. وفي بعض الأحيان لتغير الطلسم فنعرف القليل عن عالم الجان وأخباره."

"تتغير؟"

"في العلم الذي برعت فيه هناك طلسم تُنقش على أحجار ولا نُكتب، ويقرر عليها جان أو موضع. يتحرك الحجر عند تغير حال الجني أو الموضع."

"الأفلام الروحانية هي علم الطلسم، أليس كذلك؟"

ابنسم (إسماعيل) وهو ينهض إلى الكنت فيبحث بينها حتى أخرج ورقة
 قريبا من وجه (مهران) وهو يقول:

“كل أقلام الطلاس التي يستخدمها البشر نعلمتها”.

وهذا حروف خط وقلم سليمان على اللام

ا	ب	ج	د
هـ	و	ز	ح
ط	ي	ك	ل
م	ن	س	ع
ف	ص	ق	ر
ش	ط	ث	ذ
د	ر	ط	ع

دقق (مهران) في الطلاسم بعينه وهو يقول:

"تعلمت بعضها لكن لم أتعلم معناها".

أعاد (إسماعيل) الورقة لموضعها وهو يقول:

"يمكنني أن أشكل الطلاسم بنفسني وهو ما لا تعرفه بالتأكيد".

ثم عاد للجلوس أمام (مهران) وهو يقول:

"تفرقنا أنا ومن تربوا معي بقرى الصعيد والإسكندرية. لكننا نعود

للغرفة حينما يحتاج أحدنا لها. فجئت إلى هنا منذ سنين وافتتحت

محلجًا للقطر. وأحبني الناس للغرائب التي أظهرها لهم معتقدين أنها

كرامة ولي. منهم من يأتي طلبًا للشفاء من الحمى أو العقم. ومنهم من

يعلم بأن يتبع طريقي الصوفي.. الآن أنت تعرف الكثير عني.. ما السبب

إدراك لقلبك (أحمد بن يزيد) و(أحمد بن إبراهيم) و(يوسف العطار)؟"

"قاموا بقتل حماي وسرقته. وقتلوا زوجتي بعدما اغتصبوها!"

ابتسم (إسماعيل) ابتسامة واسعة وقال:

"وما المشكلة في أن يسعى رجال لرزقهم؟"

اتسعت عينها (مهران) وهو يردد:

"رجالك!!"

"رأيتك في المسجد وصليت بجانبك ولم أدرك أنك تنتظرهم. أعترف أنك

خطفت ذهني وأنت تقتلهم ولم أكن لأنحرك لولا طلب الناس النجدة

خوفًا منك. فلا يعرف أحد صلاتي بهم. وعندما صرعتك نقلت الناس إلى بيتي لحبسك".

حاول (مهران) فك السلاسل والقيود وهو يشدها بعنف بينما (إسماعيل) يكمل بنفس الابتسامة:

"يعملون هم وغيرهم تحت إمرتي سزا. لكن للأسف ما فعلوه بحماك وزوجتك لم يكن من تخطيطي ولم أعرف عنه إلا بعدها".

"سأقتلك!"

صرخ بها (مهران). فمضى (إسماعيل) نحو الباب حاملاً القنديل وهو يقول:

"لن أتركك لتعيش. سأجد طريقة لقتلك".

ثم رمق (مهران) وقال بجديّة:

"دم رجالي لن يذهب هدرًا"

ثم غادر الغرفة.

لم يحرك (مهران) عينيه عن قيده وهو يرى الطلاسم تتألق في الظلام. مرت ساعات منذ تحدّث مع (إسماعيل) ثم قرر قتله.. فجأة جاءته فكرة، في الضوء الطبيعي تصبح الطلاسم حمراء. ومن لونها رجع أنها ليست من الحجر أو الزعفران. فرب يده اليمنى من أنفه وشم القيود. رانحتها تشبه الدماء.

فرب أسنانه من القيد الذي يحيط بمعصمه وأخذ يكحت الطلاسم بقوة بها.

اختفى جزء من الطلاسم وتغيرت الهالة المحيطة به، فأمسك بيده اليسرى قيد يده اليمنى وخلعه فانفتح وتحررت يده.

تنفس الصعداء. وسريعاً فعل في قيد يده اليسرى ما فعله لتوه حتى تحرر منه.

نهض واقفاً وهو يفكر فيما سيفعل وكيف يقتل (إسماعيل). لا يعرف بعد ما هي قدرته ليستطيع مواجهته. ولن يترك له فرصه السيطرة عليه كما حدث من قبل.

فتح باب غرفته بهدوء ليجد صالة منزل واسعة مظلمة تمتلئ بمقاعد خشبية كثيرة. نظر حوله في الظلام فوجد غرفتين. إحداهما مغلقة والأخرى مفتوحة. تأكد بأن المفتوحة خالية ثم وقف عند باب المغلقة وهو يتذكر جيداً ما تعلمه من والده.

نظر للسقف فوجد عمار المكان من الجن ينظرون إليه. فكَر أنه لا يمتلك الوقت لصرفهم. فيجب عليه أن يبدأ الآن. أشار بإصبعه ناحية باب الغرفة وهو يقول همساً:

“أنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم، ألا تعلقو علي وأنوني مسلمين. مسرعين طانعين عزمت عليكم يا خدم يارلبابيل أن تُغلقوا الباب ولا تفتحوه إلا بأمرى. بحق طلاش طلاش طياش طياش آل شداي أن شداي آل حشاه آل حشاه”.

قال في نفسه إن (إسماعيل) عاجلاً أو أجلاً سيفك طلسم غلق الباب لكنه يؤخر الوقت لينتهي مما يفعله. أغمض عينيه وهو يتذكر ويقول:

"أوليس للزجر الشديد قواطع قد لاح كالنيران. بأيارش بيارش وهيارش حل المهيمن منزل القرآن. جبريل فاهبط بالثريا عاجل نادي حيوط مسعر النيران. نادي سيوط مع طينقود بدت هبتهما بكل مكان. الحرق على من يعصي منكم بنور دبعوج طلقت عنان. أقسمت أقساماً بعزة بطهش وبطهشلان ذكره برقان.."

توقف (مهران) عن التكملة حينما سمع طرقات من (إسماعيل) على الباب وهو يحاول فتحه. حاول (مهران) التركيز وهو يكمل.

"عرفانيل فاهبط عاجلاً بعزمي واسقم (إسماعيل الحلاج) بسقم الموت العاجل. بسطوة ميكائيل فالأرض زلزلت. وبنفحة إسرافيل نيام الأرض أقلقت. وبقبضة عزرائيل معاشر الجن قد أقهرت. نمدوا يا خدام الجلجوتية الوحي العجل العجل الساعة الساعة".

توقف (إسماعيل) عن الطرق وجاء صوته من الداخل وهو يقول صارخاً:

"ماذا فعلت يا أحمق؟"

تراجع (مهران) بظهره وهو يقول:

"ستموت في غضون يومين على الأكثر. لذلك أودعك الآن مع وعد بالمقابلة في الآخرة يا (حلاج)".

دخل (مهران) للغرفة التي كان محتجزاً بها وخلع عباءته المترية وهو يضع
بها كل ما استطاع وضعه من كتب وأوراق. وغادر المنزل ودقات عنيفة
من داخل الغرفة تلاحقه.

نظر (طه) لكومة الشعر المتخلفة عن حلاقته لشعر رأسه. ثم نظر للورق
الذي يمسك به وقد خط عليه عشرات الخطوط والأفكار والعمليات
الحسابية. ثم ألقى به فوق كومة الشعر. وانحنى يشعل فيه النار
بقداحته.

لمس بأصابعه مواضع حرق السلك النحاسي لجسده فلم يشعر بأي ألم.
لم يهتم وهو يخلع سرواله ويتجه إلى جهازه.

اليوم التالي (أصباحاً)

- "أتصلي يا (حامد)؟"

فالتها والدته وهي تقف أمامه وهو جالس على سجادة الصلاة ويمسك
مسحة محرّكاً شفتيه. فأشار لها برأسه علامة الإيجاب.

- "ولم ترتدي جلباب والدك؟"

- "لا أعرف. لكن الجلباب يشعرني بالخشوع أكثر."

- "والايس كاب على رأسك ماذا يفعل؟"

- "لم أجد طاقية تليق بالجلباب."

- "هل هناك امتحان قريب بكليتك؟"

- "وهل أصلي كلما اقتربت الامتحانات فقط؟!"

- "أجل يا حبيبي".

نهض من على السجادة وأمسك يد والدته يقبلها ويقول بتأثر:

- "سامحيني على كل ما فعلت يا أمي!"

- "كل هذه الدراما لا تليق بك يا أحمق!"

- "لم لا تركبني لأعيش الجوى حاجة!"

ذهبت أمه وهي تضرب كفا بكف مهمة بكلمات غير مفهومة. بينما صوت (رحيم) يخترق أذنه قائلاً:

- "أرجو أن تكون قد انتهيت من عرضك الديني لنبدأ عملنا".

- "لن تستطع الشعور بما يجول في خاطري يا (رحيم). لقد مات سيد الغرفة النحاسية القديم قبل أن تبدأ الحرب وأشعر أنني سألحق به.. خصوصاً وأن الحرب قد بدأت هذه المرة!"

- "لا تخف. فالأحمق لا يموت محارناً في عالمكم".

دخل (حامد) غرفة نومه وهو يقول:

- "لا اعرف أشكرك أم أسبك!"

- "افعل ما تريد. المهم قل لي ما خطوتنا القادمة".

أمسك (حامد) هاتفه المحمول وهو يقول:

"ستعرف حالاً".

جاءه صوت (رحيم) يقول بسرعة:

"انتظر.. لقد ظهرت بقعة الضوء أمامي.. (طه) هنا!"

توقف (حامد) عن طلب الرقم وصوت (طه) يهمس في أذنه:

"لقد انتقلت بنجاح لعالم الجان مرة أخرى يا (حامد)".

"إذن قل لي هل ترى مستقبل ما سأفعله؟"

"لا أعرف نيتك بعد لكن في كل الأحوال لن أهدر طاقتي. فهذه المرة ربما تكون الأخيرة لي".

"كنت سأحدث مع (عماد) الآن".

"لا.. قبل أن تتحدث معه أرشدك أن تحدث شخصاً آخر.. الرجل الذي كلفته بالبحث عني.. وبعد ذلك سترسل معي (رحيم) لمهمة خاصة".

"هذا الكلام لا يصلح في الهاتف يا (حامد)".

قالها (عماد) وهو يتحرك مضطرباً في منزل (حازم).

"افهمي يا (حامد).. لا يمكن أن يسافر (إسلام) لهذا المكان الذي تصفه. ردود أفعال (إسلام) غير متوقعة ويمكن أن يؤدي أيًا ممن حوله. على كل نعال لشقة (حازم) عند الساعة التاسعة وسأحاول بكل الطرق أن ينوحد (إسلام) في نفس الوقت ومعها (رقية). فهي الوحيدة التي ستفعله"

ثم أغلق الهاتف وهو ينظر لـ (حازم) الذي جلس على المقعد الآخر يرمقه بعين نصف مغلقة من قلة النوم.

- (حامد) يقول إنه يجب على (إسلام) التواجد قبل الساعة الخامسة اليوم عند مكان يدعى الهنتيكة ليحرر (حبيبة)."

قالها (عماد) لكن لم يبذُ على (حازم) التأثر وهو يقول:

- "وهل ستصدق (حامد)؟"

- "ولم أكذبه؟"

- "ببساطة لأنه (حامد)!"

جلس (عماد) بجانبه وهو يعقد ذراعيه أمام صدره ويقول:

- "لكنه قال لي إن (المخلي) بدأ في التحرك بالفعل."

طار النعاس من وجه (حازم) وعيناه تنسع تلقائياً، فقال (عماد) وهو يرمقه:

- "تفكر مثلي في غياب (قاصيم) أمس بعد أن ترك رجاله معك ولم يجب استدعاءك حتى الآن.. أليس كذلك."

- "لو صخ كلام (حامد) فـ (قاصيم) الآن في صف قبيلته داخل الحرب الدائرة."

- "و (قاصيم) هو حلقة الوصل بيننا وبين (بصفيش)."

- "هل عرف (حامد) مكان (حبيبة) من خلال الغرفة النحاسية؟"

أمسك (عماد) هاتفه المحمول وهو يستعد للاتصال بـ(رقية) قائلاً:
- "يقول إن مصدر معلوماته آخر شخص يمكن أن نتوقعه.. ابن (عباد)."
- "ماذا؟!"

لم يجب (عماد) وهو يرفع هاتفه لأذنه ليتحدث مع (رقية).

- "أحضرت لي (قصعان)".

قالت (المخلي) لأحد رجاله بينما يسير بين حراسه بملابس الحرب، فجرى
الرجل لتلبية مطلبه. بينما قال أحد الحراس:

- "لم أثق في ذي القرن من قبل يا سيدي. ولاؤه غير مأمون".

- "ولم أثق أنا به من البداية لكنه لا يملك الكثير أمامنا".

- "يملك اليأس من حياته".

- "بالعكس. يملك الأمل في أن يعيش بعد فتح البوابات".

قالت (المخلي) وهو ينظر لحارس آخر قائلاً:

- "هل يحصل (كاسب) جاسوس (بصفيديش) على المعلومات التي أخبرتك
بها بانتظام؟"

- "كما طلبت تماماً".

ابتسم (المخلي) وهو يغادر قصره قائلاً:

- "شقيقي يعرف أنني زرعت جاسوسًا عليه في المقابل. برغم أنه يعرف بأمره ويعطيه معلومات زائفة عن تحركاته لكنه لن يتوقع أنني أعرف جاسوسه أيضاً"

- "وماذا سنفعل مع (كاسب) قبل فتح البوابات؟"

- "لن نفعل شيئاً إلا بعد الانتهاء.. (كاسب) أحد قوادي القلائل الذي تثق الجيوش به. ولو قتلته سينمرد الكثيرون.. لن ننتظر كثيراً على كل حال."

- "كيف حالك سيد (عماد)؟"

قالها (بسري) وهو يقود سيارته خارجاً من باب الفيلا.

- "هل يمكنني المرور عليك اليوم كما اتفقنا؟ جيد، كم يناسبك؟ الساعة الواحدة ظهراً تناسبني.. صف لي العنوان من فضلك."

- "اسمع يا بني. لا أريد منك التحدث مع صديقك الجني هذا أمام رجالي."

قالها المأمور بصوت خافت وهو يخرج من القسم برفاقه (حامد) الذي قال:

- "لا تخف. سأمثل أنني أتحدث في الهاتف."

فتح السائق باب السيارة ليدخل المأمور و(حامد). والأخير يقول:

- "لن أكون حاضرًا معك".

بعدما استقر المأمور في المقعد الخلفي نظر ل(حامد) مندهشًا:

- "وكيف سأعرف ما يجب فعله؟"

صمت (حامد) لثوانٍ كأنه يستمع لشيء، ثم قرب فمه من أذن المأمور هامسًا:

- "لا تخف مما ستسمعه".

تردد صوت في أذن المأمور يقول:

- "لا تحتاج أن ترد عليّ أمام الناس، يكفي أن تسمع إرشاداتي لك. أنا (طه) عباد) الذي كنت تبحث خلفه أمس. سأقابلك في المكان الذي اتفقت عليه مع (حامد).. وداعًا".

ظل المأمور صامتًا ينظر أمامه مصدومًا حتى بعد انتهاء كلمات (طه). حتى سمع صوت السائق يسأل:

- "إلى أين سنذهب يا باشا؟"

مازال (بصفيديش) جالسًا عند رأس الجيش يسمع بملل رأي أحد قواده في خطة للخروج من المازق الذي وضعهم فيه (المخلي). أصوات الجنود على مقربة ترتفع بشكل طبيعي أثناء التدريبات العسكرية.

عقله يسرح في الهزيمة القادمة التي سيحظى بها لو فتحت الأبواب.. ارتفع صوت الجنود أكثر من المعتاد فنظر إليهم شذرًا.

هذه ابست طريقة التدريب المعتادة. نهض من مجلسه وهو يرى الجنود يلتفون حول شيء ما مستخدمين أسلحتهم لضعفه.

فجأة ظهر (رحيم) وهو يضرب بكرياج يحمله يمينًا ويسارًا وحوله الجنود يحاولون طعنه بالرماح التي تنكسر عندما يلمسها طرف الكرياج.

- "توقفوا. إنه معنا".

ابتعد الجنود عنه ببطء وهو يقف بملابسه السوداء ينظر لهم متحفظًا. صرخ أحد الجنود من بعيد مخاطبًا (يصفیدش):

- "إنه جاسس الغرفة النحاسية يا سيدي".

أسرع (يصفیدش) ومن كان يجلس معه إليهم وهو يهتف بهم:

- "لا يمسه أحد. هذا (رحيم) أحد رجالي".

نظر له (رحيم) بأدب وقال:

- "لم أعد من رجالك يا سيدي. فأنا الآن خادم للغرفة النحاسية وسيدها".

وقف (يصفیدش) أمامه يتأمله حتى قال (رحيم):

- "جنت ممهدًا لرجل يطلب مقابلتك فوزًا".

- "رجل من البشر؟"

- "كان من البشر لكنه من الجان الآن. ولا تظنن يا سيدي أنني أمح معك!"

زادت مهممات الجنود متمسالة عن المعنى. في حين فاجاهم (بصفيدش)
سانلاً:

- "كيف ساقابله؟"

- "الآن سيأتي، لكن يطلب منك أن يترك رجالك أسلحتهم كي لا يتهورون."

- "لا تقتربوا من الضيف الآتي."

قالها (بصفيدش) مخاطبًا الجنود. فقال (رحيم):

- "سيخالفون أمرك من الخوف. يقول لك إن الأمان في ترك أسلحتهم."

- "اتركوا أسلحتكم وابتعدوا عنها."

كاد أحد القادة أن يعترض لولا أن أشار له (بصفيدش) بالسكوت. بينما
نفذ الجنود الأمر بمجرد سماعه. وقف (بصفيدش) ينظر ل(رحيم)
والصمت يجري معه الوقت ببطء.

ظل (بصفيدش) صابراً دون أن يعرف السبب. كأن حضور هذا الضيف
من عدمه لن يشكل فارقاً.

فجأة ظهرت نقطة ضوء في مساحة خالية بجانب (رحيم) وتضخمت حتى
أصبحت أكبر حجماً من هذا الأخير. ثم جاء صوت (طه) من تلك
البقعة يقول:

- "شرف لي مقابلة القائد (بصفيدش)."

أقترب الجنود من أسلحتهم مرتبكين، فرفع (بصفيدش) يده لأعلى أمراً
بإياهم بالتوقف. ثم نظر بعدها ل(طه) وقال بهدوء:

"أنت سلاح (المخلي) الذي قتل رجالى".

"لست مع (المخلي) ولم أقتل رجالك وحدهم، بل مات أيضا رجال
ل(المخلي)".

"من أنت؟ وما هذا الضوء الساطع الذي يمنع رؤيتك؟ وما حكايتك؟"

"لا يصح التحدث أمام الجنود في مثل هذه الأمور".

"أجب أولا على أسئلتى وأنا أقرر بعدها إن كنا سنكمل حديثنا أم
أقتلك".

"أنا (طه) ابن (عباد) سيد الغرفة النحاسية. وجسدي يراه الجان بهذا
الشكل لأنني بشر انتقل بين عوالمكم وأبعادكم عن طريق تسرع درات
جسدي حتى أصبحت أسرع من أن تلاحظوها. أما حكايتي فتتلخص في
عبارة (إن تركتني أساعدك سنقضي على (المخلي))!"

"سنتناول الإفطار سويا يا بنيتي".

قالتها والدة (إسلام) ل(رقية) بعد أن أحلستها في صالون الشقة. فرفضت
(رقية) بأدب وهي تشكرها، بينما أصرت الأم.

"كيف حالك يا أمي؟"

قالها (إسلام) الواقف على الباب والإجهاد واضح على وجهه كأنه لم ينام
منذ فترة. فانفجرت أسارير الأم وهي تسرع إليه نحتضنه. بينما هو
ينظر ل(رقية) نفس النظر التي تعودت على رؤيتها. فقالت مبتسمة وهي
تقترب منه:

"هل تتذكر والدتك؟"

"أتذكرها وأتذكر اسمي ودراستي والكثير عني وعن أصدقائي. لكن أسف لا أتذكرك. برغم أنني أشعر أنني أعرفك منذ وقت طويل".

"الحمد لله يا دكتورة (رقية)، نجحت جلسة علاج أمس وتذكرنا".

قالتها الام ثم أسرعت لغرفة النوم وهي تقول:

"سأتصل بالجميع لأبشرهم".

رمق (إسلام) وجه (رقية) وقال:

"أشعر بقربك مني، كأنني كنت أحمل لك مشاعر ما".

همست (رقية) وهي تقرب رأسه من رأسها قائلة:

"هل تذكرت بحق أم إن هناك شيء آخر؟"

نظر (إسلام) حوله كأنه يتوقع ظهور شخص في أي وقت، ثم قال:

"هل تعرفين شيئاً عن قريبي؟"

ابنسمت (رقية) وقالت:

"هل سألته عن حياتك السابقة؟"

"تعرفينه إذن".

"أعرف كل شيء عنه".

"فضيبت الليل أستفسر منه عن حياتي لكنه لم يذكر وجودك".

- "لأنني غير موجودة في حياتك السابقة. سنفهم كل شيء ونحن في طريقنا".

- "إلى أين؟"

- "عائلتك تعرف أنني أخذك لجلسات علاج في المستشفى. لكننا سنذهب لـ(حازم) و(عماد)، هل تتذكرهما؟"

- "عرفت كل شيء عنهما. لكن ما سبب ذهابنا؟"

- "اتصل بي (عماد) وقال بأننا يجب أن نحضر قبل الساعة التاسعة لأمر خطير".

- "سنذبح خروفاً لله بركة تعافيك".

قالتها الأم بعد أن عادت فجأة من غرفة النوم وتحمل بيدها هاتفاً محمولاً. فقالت (رقية):

- "الحمد لله. لكن يجب أن نذهب لجلسة اليوم كي يتحسن أكثر".

- "اذهبا يا ابنتي ولا تتأخرا عن الجلسة. لا أعرف... أشعر أنني أستبشر خيراً بجلسة اليوم".

- "وأنا أيضاً".

قالتها (رقية) والارتباك يغزو نبرات صوتها وهي تنظر لـ(إسلام).

جلس (بصفيدش) أرضاً في مكان يشبه الخيمة بجانب معسكرات جيشه.
وامامه (طه) كبقعة ضوء لا يعرف (بصفيدش) معها أمو جالس أم
واقف.

"لماذا أخفيت الجواسيس؟"

سأل (بصفيدش). فرد (طه):

"لأنك استخدمتهم كطعم لاصطياد (المخلي). لا ذنب لهم في ذلك
الصرع".

"هم جنود في حرب طويلة ويعلمون جيداً أن الموت أقرب إليهم من
الحياة".

"من حقيهم معرفة مصيرهم لا أن تقودهم إليه كالهائم. وإن كان أمرهم
لا يعنك فعائلاتهم من البشر همي".

"قيمنا الأخلاقية مختلفة".

"بدأت أشعر بذلك بعد انتقالنا لعالمكم. لكن المشكلة ليست في البشر.
المشكلة في عالمكم. عندما نقلتم حروبكم إلى عالم البشر.. فلتنبيدوا
بعضكم إن أردتم. لكن ابنعدوا عنا".

"أنتم أيضاً تنبيدون بعضكم البعض".

"لكن لم ننمسمكم".

"لو كنت تطلب مقابلي للنسلي الوقت بمحاضرة عن مخاطر اختلاط
عالمنا فاسمع لي أن أقول إنك خبيت ظني!"

- "لا تخف لن أخيب ظنك.. أولاً البوابات ستُفتح بعد قليل".

- "شيء متوقع".

- "لذلك يجب أن نتكلم بصراحة كافية".

- "بدأ صبري ينفد من هذا الحديث الطفولي".

- "صممت آلة في عالم البشر مكنتني من الدخول لعالمكم لفترة محددة
بعود جسدي بعدها لعالمي ثانية. استطعت بالآلة أخرى قتل (سنان)
بعد استجوابه. أستخدم الكهرباء كمادة قريبة التكوين من طاقة
أجسادكم ويمكنني إخراجها من جسدي كسلاح يضربكم. وإن ركزتها
أكثر أصنع قنبلة طاقة".

- "هذه الطريقة في القتال غريبة علينا. هل تعرض علي استخدامها ضد
(المخلي)؟"

- "لا. بل أعرض عليك أن تدير حسب طريقي. ألم نسأل نفسك كيف
عرفت موعد هجوم رجال (المخلي) كل مرة عند كل جاسوس؟"

- "أجبتني إن لم أسأل!"

- "أرى مستقبل ما سيحدث عند إقدامي على حيلة، أفقد جزءاً من
طاقتي عند كل مرة أفعلها لذا سأوفرها قدر الإمكان".

- "لهذا قال (رحيم) إن رجالي سهاجمونك لو ظلوا محتفظين بأسلحتهم؟"

- "رايت ذلك وأمكنني تغييره".

- "وكيف سأسير حسب طريقتك التي لا أعرفها؟"

- "في البداية ستكشف لي بعض أوراقك ليتمكنني استخدامها بطريقي".

- "وما الضامن لنجاحك؟"

- "لا ضمانات. أنت ستضحى بنفسك في سبيل انتصار غير مضمون تنتظره. وأنا مثلك سأضحى بنفسي في سبيل قتل (المخلي)".

- "تساعدني انتقاماً لأبيك؟"

- "أردت الانتقام في البداية. لكن مع الوقت أدركت أنني لا أملك سوى خيارين ينتهيان بالموت. لكن أحدهما يحمل بعض الأمل في النجاح".

- "هل تعرف يا (طه) لم يحتفظ بي المجلس منذ زمن برغم اختلافي الدائم معه؟ لأنني أتخذ بعض خطواتي بشكل معتمد على الشعور والحدس فقط. وهذا ما اعتبروه جنوناً. لكن كثيراً ما نجحت وحصلت على ما أريد".

- "أفهم أنك معي؟"

- "نعم.. ورفي الرابع يتعلق باستدعاء كيان العفاريت الذين اختفوا منذ (سليمان) الحكيم. يملكون وقف (المخلي) أو التصدي للملوك السبعة إن خرجوا. وموضوع خاص بعودة (إسماعيل الحلاج) لعالم البشر بعد انفصال قرينه منذ دخوله هنا. وعودة (يوسف) هو الآخر قبل فتح البوابات.. أما أخوروقة فتخص جاسوساً زرعته عند (المخلي)".

- "مما عرفته عنك لا أشعر بخير من وراء نيتك لعودة (يوسف)!"

- "أردت عودته كقطع لإثارة غضب (المخلي) واستفزازه لقتله".

لم ينطق (طه) فابتسم (بصفيديش) قائلاً:

- "قلت لك هذه حرب ولا وقت للتفكير في أخلاقية أفعالي".

- "و(إسماعيل)؟"

- "(إسماعيل) هذا هو صانع الطلاسم الوحيد الذي عرفته من عالمكم. عندما طلب مقابلي لأني شقيق المخلي لم أكن أتخيل أن يخبرني بكل الحقيقة. حتى الأشياء التي تدينه.. ألقى أحد السحرة عليه عزيمة أمرضته حتى أصبح موته محتوماً في غضون ساعات. فاستعان بالمخلي ليقتل له خدام الملوك الذين استعان بهم الساحر عند إلقاء عزمته. فخلصه بذلك من ضرر العزيمة".

- "وهل يمكن قتل خدام العزائم؟"

- "يمكن لكن لو كشف أمرك سنكون نهايتك على يد ملوكهم. و(المخلي) استطاع قتلهم في سرية بدون كشف أمره. وفي المقابل طلب من (إسماعيل) أن يعلم أهل قريته الكلمات التي تحولهم لقرايين (المخلي) كي يقدمها للملوك السبعة".

- "اذن المخطوطة في الأصل ليست حقيقية؟!"

- "بعد وشاية (إسماعيل) ب(المخلي). قام رجال الأخير بصنع المخطوطة ليقراها أحد أبناء (إسماعيل) كي يتحرر (المخلي) من قيوده. مرت

أجيال كثيرة وهم يحاولون إلقاء الكلمات لأحد الأحفاد كي يستخدمها لكن بلا فائدة. حتى النقطة (يوسف)."

"ولم لم ينطقها أحد البشر منذ البداية؟"

"عندما أبلغني (إسماعيل) بكل شيء لم أرد ل(المخلي) الموت بل السجن. فصنع (إسماعيل) طلاسمة نحتت على سجن وأغلال (المخلي) تمنعه من الحركة. وهذا هو سر تفوق (إسماعيل). أما الكلمات التي تفك هذه الطلاسمة فقد أخذتها من (إسماعيل) وتسربت من عندي لرجال (المخلي). لذلك قررت سحب (الحلاج) لعالم الجان كي أحرم رجال (المخلي) من العودة. لكن لم أضع حسابًا لفكرة أن يقرأ الكلمات واحد من نسله."

"وتطمح في عودة (إسماعيل) بطلاسمة كي يوقف (المخلي)."

"حاول علماؤنا كثيرًا بلا جدوى. نستدعي القرين وننقل (إسماعيل) لعالمكم لكن ن فشل في اتحاد القرين بالجسد. يظل القرين بجانب الجسد بلا التحام."

"اتبع خطواتي كاملة لأتني سأرتجل. وكل ما أطلبه منك نفذه بلا مناقشة. لأتني أستطيع إعادة (الحلاج) لعالم البشر. لكن في نوقيت سأحده لاحقًا. أما الآن فحرك جيشك لمجابهة جيش (المخلي)."

"لا فائدة".

"هل نستطيع أثناء المعركة أن نخسر ونسحب ونهاجم. وكل هذا حتى نسحبهم لبقعة خاصة؟"

- "أي بقعة؟"

- "البقعة التي توازي في عالمنا صحراء لوط بجنوب شرق إيران."

- "وبعدهما؟"

- "بعدها انتظرني."

- "سأعتبر أنني صدقتك. لكن لم أحضرت مأمور قسم (روض الفرج) معك إلى هنا؟"

قالها (عماد) لحامد وهو يجلس على الأريكة في الصالة وبجانبه (حازم) وأمامهما يجلس (حامد) والمأمور

- "لقد وافق أن يرافق (إسلام) للهنيفة كي يحميه من الناس."

تنحج المأمور وقال:

- "اتصلت بنائب مدير الأمن بأسبوط لأنه صديق قديم لي وطلبت منه مساعدة بعض الضباط لمرافقتي لقرية (عرب مطير) لمنع الأهالي من الاقتراب مما نفعله. بالطبع لم أقل الحقيقة التي لا أعرفها كاملة. لكني أخبرته أن أحد المسجلين خطر هرب من حجز القسم إلى هناك ليحتمى بعائلته. وأريد أن أعيده سراً قبل عرضه على النيابة. ويجب ألا تعلم المديرية بهذا الأمر كي لا يؤثر على ترقياتي."

- "وهل وافق هكذا على الفور؟"

تساءل (حازم).

"رفض في البداية لخطورة الموضوع على منصبه. ولما ألححت عليه وافق في النهاية على مضمض".

"لماذا تساعدنا؟"

"لا أعرف. ربما أشعر أن كل هذا الجنون يجب أن ينتهي. ربما أثارتي فكرة المشاركة فيما يحدث في العالم الآخر الذي أسمع عنه منذ طفولتي".

"لكنك تعرف حجم المخاطرة. أليس كذلك؟ لو فشلنا سيعاقب (المخلي) كل من قدم مساعدة".

"لا يهم!"

رن جرس الباب فهض (عماد) لفتحه. دخل (إسلام) الشقة وخلفه (رقية). ووقف في منتصف الصالة يتأمل وجوه الجالسين. فجأة انفتح باب غرفة النوم وخرج منه قرين (إسلام). فقال (حازم) بسرعة:

"ما الذي جاء به؟ لقد صرفت كل من حولي من جان!"

"أنا الذي أحضرته".

قالها (إسلام) بجدية. ثم نظر لقرينه وقال له:

"أشر على كل شخص من الموجودين في الشقة وقل اسمه".

رفع القرين يده مشيرًا لكل شخص وهو ينطق اسمه. حتى أشار ل(رقية) وأنكر معرفته بها. ثم أشار للمأمور الذي ما انكس بقراً القرآن وشفتاه ترنعثان. وأنكر معرفته أيضًا.. هنا قالت (رقية) ل(عماد):

- "أيقظه ليلاً شيء أراد مساعدته. ومن وقتها وهو يتحدث مع قرينه
ويعرف منه كل شيء. وقال لي ونحن في الطريق إنه تدرّب على
استعماله أيضاً".

- "طه) هو من أيقظه".

قالها (حامد) فنظر له (إسلام) مستفهماً. بينما قال (حازم):

- "أعتقد أن ذلك سيرفع الكثير من حمل إقناعه عن كاهلنا".

- "قلتها ولن أرجع فيها. لن يدخل أحد بعدما أدخل من باب القاعة".

قالها دكتور (سهماوي) لفتاة تقف عند باب القاعة وعلى وجهها نظرة
استعطاف.

- "أخرجي!"

صرخ بها (سهماوي) في الفتاة فأسرعت للخارج محرّجة. ثم نظر للطلاب
الجالسين في صفه وقال:

- "الأدب فضلوه على العلم. ومن لم يتعلم الأدب في منزله سيتعلمه في
محاضرتي".

سمع صوت (طه) في أذنه يقول:

- "أمازلت تثرثر؟"

نظر (سهماوي) حوله وهو يتساءل:

- "من منكم يا باشمهندسين الذي تحدث؟!"

ساد الصمت بين الطلاب وهم ينظرون لبعضهم البعض.

- "لا يسمعي غيرك يا (سهماوي) الكلب!"

بمجرد أن سمع (سهماوي) العبارة صرخ في الطلاب:

- "من منكم قال يا (سهماوي) الكلب؟!"

كتم البعض ضحكاتهم، بينما سمع (سهماوي) صوت (طه) يقول:

- "قلت أتيتك قبل بدأ المعمة لأترك لك هدية.. فربما لا أعود."

- "هدية؟ أي هدية؟!"

قالها (سهماوي) مخاطبًا الفراغ، فأفلتت بعض الضحكات الخافتة من الطلاب. فجأة رأى الجميع سروال (سهماوي) يجذب لأسفل لتظهر ملبسه الداخلية السفلية. ثم ارتطمت رأسه فجأة بالحائط خلفه.

ضحت القاعة بالضحك.

- "الساعة تقترب من الواحدة".

قالها (حازم) مخاطبًا (عماد)، الذي تساءل وهو يمسك هاتفه المحمول:

- "وما المشكلة هنا؟"

- "صديقك دكتور (يسري).. ألن يحضر؟"

ضرب (عماد) كفه بجبهته متذكرًا:

"لسببته في خصم الأحداث!"

"وهل ستقابله؟"

"سأحاول أن اختصر معه، فلا وقت لفك العلام."

"هل كنت تنوي طلب أحد على الهاتف؟"

"(حامد). أردت..."

قطع جرس الباب عبارته.

"لقد جاء!"

نهض (حازم) ليفتح الباب و يستقبل (يسري) الذي كان يحمل بعض الأوراق. أدخله إلى الصلاة ثم استأذن ليحضره فهوة كما طلب.

"كيف حالك يا سيد (عماد)؟"

"بخير. لا أعرف كيف أشكرك على تعبك هذا بدون مقابل."

"لا تشكرني. فأصدقاء قريبك كانوا من تلاميذي. ولو أنني أجدتها مصادفة غريبة جدًا أن تأتيني أنت أيضًا."

"رحمهم الله جميعًا، لكن ما كان ردك على استفسارهم؟"

"سألوني عن مخطوطة ابن إسحاق. فأخبرتهم أنها مجرد أسطورة ولا وجود لها في الحقيقة."

"على كل حال لم يعد شيء هام بعد موتهم."

ارتبك (يسري) وبلغ ريقه بعد أن شعر أن (عماد) يكلمه ببرود. ثم قال:

-اعتذر منك يا سيد (عماد) على كوني غير مقيد هذه المرة أيضاً".

اعتدل (عماد) احتراماً وهو يقول:

"لا يا دكتور. ما هذا الكلام؟ الموضوع صعب الشرح فقط. أقصد أن..."

قاطعه (يسري) مبتسماً وهو يقول:

"يمكننا أن نؤجل حوارنا لو أردت".

"هل ستغضب، لو أجلناه؟"

"لا مشكلة. على كل حال كنت قد وجدت عن شخصية الراهب

(سمعان) بعض الأمور الغربية. سنناقشها في وقت قريب".

عاد (حازم) من المطبخ يحمل القهوة في فنجان صغير وهو يقول:

"أسف. فالقهوة بدون "وش". يبدو أن النار كانت مرتفعة عليها".

بهض (يسري) قائلاً بود:

"أشكرك. سأشربها في وقت لاحق".

"أي أمور غريبة؟"

تساءل (عماد) بعدم اكتراث وهو بهض ليوصل (يسري) لمباب الشفة.

"أمور تتعلق بفرقة نتحكّم بالجان تحت الدبر الذي أقام به في المقلم".

اهتزت القهوة في يد (حازم) والتسعت عيننا (عماد).

-(حامد). اذهب للغرفة النحاسية الآن."

سمع (حامد) صوت (رحيم) وهو يركب الميكروباس. فأخرج هاتفه المحمول ووضعه على أذنه قائلاً:

-(رحيم) حبيب قلبي. ماذا فعلت مع (دله)؟"

-"لقد قابل (بصفيدش) واتفقا على التعاون. سأظل بجانبك حتى تصل للغرفة النحاسية وعندها سأبلغه."

-"وماذا يريد مني؟"

-"سنفتح كل منافذ العرفة عندما أدخل."

-"لم؟"

-"لا أعرف."

-"أعتقد يا صديقي أن دورنا في هذا الفيلم هو المشاهدة فقط."

-"أرجو أن تجلس وتخبرني بكل ما عرفته عن (سمعان) هذا."

قالها (حازم) وهو يشير لـ(يسري) بلهفة كي يجلس. جلس هذا الأخير مندهشاً وهو يسأل:

-"ما سبب هذا الفضول؟"

-"سنعرف كل شيء.. لكن أرجوك قل لنا ما عندك!"

قالها (عماد) وهو يجلس منحصرًا وقد ربط بين الاسم الذي سمعه من
(حامد) لأول مرة وبين هذا الراهب. نتحنح (يسري) وفتح الأوراق التي
ملاها بالملاحظات وألقى عليها نظرة ثم قال:

"الراهب (سمعان) السائح ولد في أسرة متدينة من الصعيد. وقد
أحفظه بسلك الرهبنة مبكرًا. طاف بالكثير من البلاد العربية حتى
استقر بمصر وأنشأ ديرًا في المقطم. تعرض هذا الدير كغيره من الأديرة
لبعض المضايقات من المسلمين المنظرين. لكن لم تكن تلك المشكلة
ل(سمعان) وبقيّة الرهبان. المشكلة كانت في الأرواح الشريرة كما كان
يطلقون عليها. وهذا اللفظ هو المعادل الشائع عند المسيحيين الخاص
بفكرة النليس. أما عند المسلمين فيؤمنون بالجان المنليس. وإن كان
النشابه بين الفكرتين يقترب من التطابق.. اشهر هذا الدير باستقبال
حالات لبس من الشياطين لمعالجتها روحانيًا. حتى إن بعض المسلمين
يقال إهم نعاؤوا في الدير من حالات لبس للجان. لكن فجأة تغير كل
شيء وأصيب كل رهبان الدير بالرعب عندما بدأوا في رؤية الجان
والشياطين حسب قولهم يتحركون بينهم. لم ينقذهم إلا قدوم المعلم
(حرجس) ومعه صديق غريب الأطوار من المسلمين. هذا الغريب أنقذ
الرهبان وقضى على الجان بل وأصبح صديقًا ل(سمعان). وقد لقبه
(سمعان) بابن الجن. وقد اندمشت كثيرًا لهذا اللفظ العامي الذي
أعتقد أنه يقصد به (ابن الجنية). كما نقول عن الشخص الذي

تبادل (حازم) و(عماد) النظرات. بينما أكمل (يسري):

"يقول زملاء (سمعان) في الدير إن ابن الجن هذا ساعد (سمعان) في
بناء غرفة تحت الدير ليلنقط بها حركة الجان ويحمي نفسه منهم
ويقتلهم إن أراد".

- "ومن ابن الحن هذا؟"

- "لم يوضح أحد حقيقة شخصيته. لكن (سمعان) كان يقول إنه سيكون له شأن كبير بين الجان. لو اعتمدنا على خرافة (سمعان) فسنجد أنه حذف آخر مزموور من ترجمته كأنه أراد ألا يطلع عليه أحد. لكن إن أراد أن يخفي مفتاح الشفرة فأين يمكن أن..."

قطع (حازم) عبارته وهو يقول بسرعة:

- "الحلم الذي حلمناه!"

- "أي حلم؟"

تساءل (يسري). فنهض (عماد) وهو يقول:

- "(سمعان) خبأ مفتاح الشفرة في الغرفة النحاسية كما رأينا في حلمنا أمس."

- "نحاسية؟!"

كان (يسري) يوزع نظراته بينهما وهو ينتظر تفسيرًا.

- "لو وجد مفتاح الشفرة شخص عادي هل يستطيع حلها؟"

تساءل (حازم). فرد (يسري):

- "لا أعرف. ربما كانت شفرة مركبة تحتاج إلى حل الأرقام أولاً قبل تحويلها لحروف."

- "هل تستطيع أنت حلها لو رأيتها؟"

"اعتقد.. لو حاولت ربما أستطيع".

نظر (حازم) ل(عماد) قائلاً:

"لا نملك الكثير من الوقت. وربما لن نتمكن من الوصول ل(يصفيديش) بسرعة كافية".

هز (عماد) رأسه بالموافقة. ثم نظر ل(يسري) الذي قال:

"هل تسمح لي أن أقدم ماذا يحدث؟!"

نظر (عماد) نظرة أخيرة ل(حازم). ثم عاد ينظر ل(يسري) ويقول:

"دكتور (يسري). الغرفة التي تتحدث عنها موجودة. ونرجوك أن تدخلها معنا لنبحث عن مفتاح الشفرة".

"ادخل الآن يا (حامد) للغرفة وافتح لي عندما أحضر كل منافذ الغرفة وليس منفذي وحدي".

سمع (حامد) العبارة في أذنه يقولها (رحيم) وهو يدخل لغرفة مكتب (عباد). فأسرع ينزل للغرفة ويفتح بابها. بمجرد دخوله سمع الصوت الذي يبنى بطلب (رحيم) الدخول. فقال (حامد):

"تفتح كل منافذ الغرفة بدعوتي".

وسط الغرفة ظهر (رحيم) وبعانه بقعة الضوء. لكن ضوءها يزداد بكثافة عن مظهرها القديم. وفي ركن الغرفة ظهر جسدان وحولهما عدد كبير من الحان يحملونهما. سقط الجسدان أرضاً بعد أن شعر

الجان بالتعب ثم اختفوا. بعدها ظهر جنيان يحملان ملابس في شكل كومة ألقياها على الأرض واختفيا. دقق (حامد) في الجسدين.

هذا جسد لرجل ناضج لا يعرفه. أما الجسد الآخر فكان ل(يوسف). نطق (حامد) باسمه في لهفة وهو يجري ناحيته. بينما سمع (طه) يقول له:

- "أغلق منافذ الغرفة بسرعة قبل أن ينتبه لها الجان!"

قام (حامد) بإغلاق المنافذ بعدم اكتراث وهو ينحني ليفحص جسد (يوسف) العازي ويحاول إفاقته.

- "اتركه فهو بلا قرين".

نهض (حامد) وهو ينظر لبقعة الضوء ويقول متأنثراً:

- "لقد رأيت في اليومين السابقين أجساداً عارية أكثر من قدرتي على التحمل. وكلها لرجال!"

- "يمكنك بدلاً من المزاح أن تلبسهما ملابسهما التي احتفظ بها (بصنيدش)".

أمسك (حامد) كومة الملابس وهو يقول:

- "(بصصيدش دراي كلين)... لماذا أقوم دانما بهذه الأعمال؟"

الشغل (حامد) بالملابس بينما قال (طه) ل(رحيم):

- "هل يمكنك استدعاء قرين كل منهما لداخل الغرفة النحاسية؟"

- "الغرفة علمتني الوصول للقرين حتى أتعرف على الأشخاص فقط. أما لو كان القرين منفصلاً فلا أعرف نسبة نجاحي. لكن سأحاول"

اختفى (رحيم). فقال (حامد) وهو يحاول جاهذا إلباس (إسماعيل) جليابه:

- "هل من الطبيعي أن الضوء الصادر من جسدك أصبح أكثر سطوعاً؟ أم إن نظري يخدعني؟"

نظر (طه) لحوائط الغرفة النحاسية وقال:

- "اعتقد أن الغرفة تعمل كمكثف لشحنتي الكهربائية. أشعر بالكهرباء تسير في جسدي بشكل أسرع".

أكمل (طه) تأمله في الغرفة وقال:

"لم أتوقع أن تكون الغرفة بمثل هذا الإبداع. كأن من بناها كان يعرف تكنولوجيا حديثة لم نتوصل إليها بعد.. أو كأنه اعتمد على فيزياء الجان لبنائها.. الأوامر الصوتية ومناقد الدخول للغرفة ومتابعة حركة الجان، كأنني داخل كمبيوتر عملاق".

سمع (حامد) صوت الشهيق المميز لطلب (رحيم) الدخول، فسمح له مغمضاً عينيه وهو يدخل قطعة ملابس داخلية في جسد (إسماعيل).

تشكل (رحيم) وطرف كبراجه يلتف حول رقبة قرين (إسماعيل الحلاج)، تركه واختفى ثانية. فظل القرين ينظر يمينا ويسارا بلا معنى حتى أتى (رحيم) مع قرين (يوسف).

- "حامد). غادر الغرفة النحاسية وعد بعد دقائق.. لو نجحت فستجد صديقك وجده أحياء. ولو فشلت ربما ماتا. أما أنت يا (رحيم) فاسبقني للمكان الذي اتفقنا عليه في صحراء إيران".

ننح (حامد) وهو يسأل:

- "لحظة. يموتان؟!"

- "نعم. نظريتي تجعلني أعتقد أن حركة تردد جسدي فريتهما أصبح مختلفًا عند دخولهما عالم الجان فانفصلا. سأحاول سحبهما ليصبح التردد واحدًا مستخدمًا الغرفة في تكثيف طاقة المجال الكهربائي الذي أملكه.. لكنني لا أملك أجهزة قياس. فلا أعلم النتيجة."

"لم أفهم شيئًا. لكن وفقك الله!"

قالها (حامد) وهو يغادر الغرفة و(طه) يقف بجانب الجسدين وجسده يزداد في التوهج وهو يمد يديه لجسديهما.

- "هل أدخل من هنا؟"

قالها (يسري) وهو يقود سيارته ويستفسر عن إرشادات الطريق من (عماد) الذي يجلس بجانبه. و(حازم) يتحدث في الهاتف قائلاً:

- "ما كل هذا يا (حامد)؟ هل كنت تغلق هاتفك؟ فهمت. فهمت. الغرفة تحجب إشارة الهاتف. المهم. هناك شيء هام. سأتي إليك أنا و(عماد) وشخص آخر معنا للغرفة. ونريد الدخول.. نحن في الطريق وقد اقتربنا كثيرًا. دقائق وترانا. ماذا؟ ستترك الأبواب مفتوحة؟ جيد."

انهى (حامد) المكالمة وهو يفتح الباب. اطرق أذنه قليلاً. هل هذا الصوت يأتي من الغرفة النحاسية؟ نزل درجات السلم المؤدية للغرفة خائفاً. صوت يشبه تحرك الأثاث على أرض خشنة. وقف أمام الغرفة المغلقة يتأملها.. هل يدخلها أم ينتظر قليلاً؟

حرك النقوش على الباب وفتحه ليجد بقعة الضوء قد ازدادت حجماً حتى ملأت نصف الغرفة وعلى الأرض (يوسف) يفتح عينيه بصعوبة وينظر حوله وهو يقول:

"ماذا.. ما هذا؟!"

جرى (حامد) إليه وجثى على ركبتيه محتضناً إياه وهو يقول:

"أنا (حامد)!"

نظر له (يوسف) وهو يقول:

"أعرف".

"أخيراً واحد من أصدقائي تعرف علي!"

فجأة فتح (إسماعيل) عينيه ونهض بنصفه الأعلى ناظراً يميناً ويساراً بخوف وهو يتساءل:

"أين (بصفيديش)؟"

قالها بلهجة صعيدية. فقال (حامد):

"حلاوتك يا جدو!"

نهض (إسماعيل) ووقف على قدميه لكنه كاد أن يسقط. فهتف وهو يحاول تمالك نفسه:

- "ما الذي فعله (يصفيدش) بي؟!"

تكلم (يوسف) وهو يحزر نفسه من (حامد):

- "ما هذا المكان؟ وماذا يحدث؟!"

ساعده (حامد) على النهوض بينما تراجع (إسماعيل) للخلف متسانلاً:

- "من أنتم؟"

هنا تكلم (طه):

- "(يصفيدش) حبسك في عالم الجان منذ مائتي عام يا (إسماعيل).

قرينك ظل هنا وجسدك مع (يصفيدش). وما قد أعدتكَ."

لم ينطق (إسماعيل) بينما سأل (يوسف) قزعا:

- "من الذي يتحدث؟"

- "(حامد) سيشرح لك باختصار لاحقاً.. أما أنت يا (إسماعيل) فاعلم أن

أحد أحفادك نطق الكلمات وفك طلاسم (المخلي) محرراً إياه. وهو

الآن يسعى لفتح البوابات السبع. وما قد أعدتكَ لتصنع ظلمة

جديداً كي نوقف به (المخلي)."

- "أين هو الآن؟"

- "في طريقه للبوابات."

- "يجب أن اطلسم نفسي كي أقرب منه وأستطيع إيقافه".

- "لو اقتربت سيقتلك".

- "لذلك أحتاج لحماية كافية لأكون في نفس موضعه في عالم البشر".

- "جهز نفسك وسأعود لك".

قالها (طه) واختفى فجأة.

لم ينتبه أحد إلى تحرك نقش يمتلئ بالمرعبات بعضها فاتح اللون والآخر داكن.

نزل (عماد) يتبعه (حازم) و(يسري). الذي كان ينظر وراءه بقلق، حتى وصلوا إلى مدخل الغرفة. دخل (عماد) ليجد (إسماعيل) ينظر ل(يوسف) بدهشة. فتهلل (حامد) عندما رآه وقال:

- "عاد (يوسف) والحاج (إسماعيل) لعالمنا مرة أخرى!"

دخل (حازم) ليتوقف هو الآخر مندهشاً. وتبعهما (يسري) الذي توقف ليتأمل في الغرفة النحاسية. فقال له (عماد) مطمئناً:

- "لا تخف من شيء يا دكتور (يسري). ستفهم كل شيء.. (حامد). هذا دكتور (يسري) أستاذ التاريخ. سيساعدنا للتوصل إلى العفاريت".

تأمل (حامد) وهو يقول مشدوفاً:

- "أشعر أنني رأيت من قبل!"

قال (يسري) بالفارسية بصوت عال:

- "مسدود كردن".

توقفت آلات الغرفة النحاسية عن العمل فجأة وساد صمت قطعه
(حامد) وهو يشير ل(يسري) قائلاً:

- "أنت تشبه الشاب الذي أرتني الغرفة إياه وهو بينهما!"

ابتسم (يسري) وهو ينظر ل(إسماعيل) الذي كان ينظر إليه وهو يفتح
فمه وعيناه تتسع قائلاً بخوف:

- "(الحي بن القصاب)!"

هبط (إسلام) و(رقية) والمأمور من سيارة هذا الأخير. الذي فتح حقيبة
السيارة وأخرج منها حبلاً لُف حول نفسه. وطلب من السائق أن يظل
داخل السيارة ولا ينظر يمينا أو يساراً أو يخرج مهما حدث.
- "شعرت بأن الضباط الذين تركناهم وراءنا ينظرون لنا بضيق".

ابتعدوا عن السيارة وأقدامهم تنغرس في الرمال. والمأمور يقول:

- "طبيعي يا ابنتي. ينفذون أوامر ضابط من القاهرة بدون سبب ويتفنون
على حدود قرية (عرب مطير) ليمنعوا الأهالي من الاقتراب من
الهنطقة".

- "قل ل(رقية) أن تطلب من (إسلام) أن يحذر من هجوم من الجان بعد
خطوات قليلة".

قالها (طه) في أذن المأمور الذي ردد العبارة بسرعة ل(رقية).

- استدع قرينك يا (إسلام)!

تشكل القرين من العدم ووقف أمام (إسلام). أمسك بشيء ما بيده اليمنى ثم فتح قبضته وأمسك بشيء آخر. وكرر فعلته ثماني مرات باتجاهات مختلفة ثم اختفى.

- أكملوا طريقكم. وعند الوصول للهنتيكة قل لـ(إسلام) أن يجعل قرينه يتوقف عن مهاجمتي وأن هناك مزيداً من الجان حولها يجب قتلهم بسرعة.

ظلوا يسيرون بين الرمال والهنتيكة أمامهم على بعد أمتار. بلغ المأمور الرسالة لـ(رقية) فنقلتها لـ(إسلام) الذي قال:

- لا تهاجم إلا من أمرك بمهاجمته. واقتل كل الجان الذين يحرسون هذا الجسم المعدني.

شاهدوا أضواء كثيرة تنفجر بصوت خافت حول الهنتيكة كأنها ألعاب نارية. ظهر بعدها القرين بجانب الهنتيكة واقفاً. فنظر له المأمور وهو يقول:

- يقول (طه) لك إن (حبيبة) محبوسة بغرفة أسفل الهنتيكة وعلى قرينك أن يزحزحها.

كادت (رقية) أن تعبد كلامه لكن (إسلام) أشار لها بيده وهو يهز رأسه متفهماً. بعدما تحرك القرين يدفع الهنتيكة بقوة. فلم تتحرك. توقف ثم هجم بكفه ليرتطم بالهنتيكة. زجت الأرض من تحت أقدامهم وقد ترك الاصطدام أثراً

كان (إسلام) ينظر إلى قرينه بتركيز وهو يحركه بعقله. بينما القرين بعيد الاصطدام مرة ثانية.. في المرة الثالثة ارتجت الأرض أكثر وانطلق جزء معدني من الهنليكة وهي تميل على جانبها الأخر تاركة فتحة في الأرض وقعت فيها الأتربة.

قفز القرين في الفتحة فجرى (إسلام) بنظر داخلها ليرى قرينه يحمل جسد (حبيبة) وقد توقف عن الحركة. رمى المأسور بمساعدة (رقية) الحبل فلفه القرين حول وسط (حبيبة) ليرفعها إليهم. فجأة سمعوا صوتًا يأتي من الأسفل يقول:

- "من أنت لتدخل الغرفة المطلسة؟!"

سمع (إسلام) في أذنه صوت (طه) يقول:

- "لا تشغل بالك بهذا الرجل، فهو سيد لهذه الغرفة وقد أتى من المر الذي يقود لعرب مطير. اجعل قرينك يقتله بسرعة".

- "لا!"

قالها (إسلام) بحزم. فقال (طه):

- "نفذ ما أقول بلا مناقشة".

- "قلت لا!"

قالها (إسلام) وهو يساعدهم في حمل (حبيبة) ويسرعوا بها إلى السيارة.

”يا لها من سنوات يا صديقي القديم. عشتها أنت بعالم الجان وعشتها
أنا في عالم البشر!“

قالها (يسري) وهو يتقدم خطوة للأمام ناحية (إسماعيل) الذي قال:

”كيف عشت كل هذه الفترة؟!“

”هل نسيت أن نصفي من الجان وأعيش بنفس أعمارهم؟“

قالها مبتسماً وهو يلمس يديه نقوش الغرفة ويقول:

”انظريا (إسماعيل) ماذا بنيت. لقد بنيت هذه الغرفة من الكتب التي
أخذتها منك بدلاً من غرفتك البدائية في الهنتيكة التي عقدت فيها
اتفاقك مع (المخلي).“

”أنت الفتى الفارسي؟“

تساءل (حازم) مشدوهاً. فرد عليه:

”مهران بن القصاب بن شادق) أو (الحي بن القصاب) كما عرفتموني.“

”لا يمكن ذلك. كيف...“

قالها (عماد) فنظره (مهران) وهو يقول:

”كي لا أتراك في حيرة. أنا الذي زرت أصدقاءك ومنهم (يوسف) في
أحلامهم لأحذرهم من الإكمال في طريقهم.“

وأشار لـ(يوسف). ثم أكمل:

- "لكن عندما زرتك أنت و (حازم) كان الوضع مختلفًا. فقد كنت أوجهكما للتعاون معي منذ علمت بعصوانكما على طلائع المزمور الـ 51. كنت أريد أن تأتي إليّ بإرادتك. وأن أساعدك حتى يعود (إسماعيل) للحياة وأدخل الغرفة النحاسية بدون مشاكل مع قبائل الجان".

- "لذا أرتتنا في الحلم أمر الراهب (سمعان) يكتب شيئًا؟"

- "كي تشعرنا بأن دخولي الغرفة من أفكاركما".

قالها (مهران) وهو يتوقف أمام مجموعة نقوش ويقول:

- "لقد صممت الغرفة كي تطيع بصمة صوتي ولغتي الفارسية الأم باعتباري الصانع. ما رأيكم بتصميمي؟"

قالها ثم أكمل بالفارسية:

- "أفلام".

انزاح جزء كبير من النقوش مفرغًا مساحة متران خلفه مليئة بالطلائع وما يماثلها بالعربية من الحروف العربية. تحت تلك النقوش كتب بقلم عادي الشفرة الرقمية من الحروف القبطية وما يقابلها بالعربية. فتح (مهران) الورق الذي يحمله ونظر فيه وهو يقول:

- "(سمعان) كان صديقي وهو من أهداني لسخة المزامير بترجمته. لكنه حذف آخر جزء ولم أفهم السبب. وعندما عرفت بسر وجود الظلم فهمت أنه خاف أن أستخدمه لأنه دائمًا ما كان يقول أنني أشبه (أصف بن برخيا). الذي كان ابنًا للجان. لم أتخيل مكانًا أفضل ليخفي فيه الشفرة أكثر من لوحة الأفلام الروحانية التي نقشتها هنا".

نقل نظره بين الشفرة والورق أكثر مرة وهو يقول بحروف متقطعة:

"تنقش.. على.. الجلد".

خلع جاكيت بدلته وفميصه وأمسك قلمه وهو يقول:

"لم أكن لأترك فرصة عودتك تفوتني يا (إسماعيل). كي أقتلك بيدي هذه المرة".

اقترب منه (إسماعيل) قائلاً:

"أعطني فرصة وحيدة لأوقف (المخلي) ثم نصفي حسابنا".

صرخ (رحيم) قائلاً:

"منافذ الغرفة مفتوحة وستعرض لهجوم في أي وقت!"

غرس (مهران) طرف القلم في جانب صدره وهو يحضر العلامات التي يشاهدها في الورقة عليه. وقال بصوت لاهث:

"أعرف. لأني أفتح للنفس منفذاً للخروج.. هل تعرفون أن (طه) هذا أذكى شخص رأيته في المنتي عام السابقة؟"

ظهر ضوء أصفر من موضع العلامات على صدر (مهران) كأنها تضيء من تلقاء نفسها. فصرخ (مهران) وهو يتألم والضوء الأصفر يزداد حتى أحاطه وأعمى عيون الجميع. فجأة خبت الضوء ولم يجدوا (مهران).

بالقرب من محافظة (رفحاء) بالسعودية. وفي الصحراء عند منطقة
يسميا الأهالي بأبار (لينا) أو أبار الجن. والتي تتشكل من 300 بئر غريب
الشكل رُدم بعضها: ظهر ضوء أسفر بجانبها وتشكل ليصبح (مهران).
الذي نظر حوله مندهشاً.

الأبار المظمورة خرج التراب منها كان أحدهم يدفعه من أسفل. ومن كل
بئر سطح عمود من الضوء الأحمر تغير لونه إلى الرمادي. ثم أصبح كل
عمود ضوء كالزوبعة وهو يتشكل لكانن يفوق الأمتار الخمسة. وصوت
عميق يأتي من لا مكان بقول:

- "مرحباً بسيدنا (أصف بن برخيا)".

- "هل عدت من الموت يا (إسلام)؟"

قالها الشيخ (محمد) وهو يقف أمام باب الغرفة النحاسية ناظراً
لـ(إسلام). رمقه الجميع بدهشة بينما أكمل قائلًا:

- "سمعت صوتاً غربياً يخبرني بأن آتي هنا لأحميكم وأحمي (إسلام) لأنه
سيعود للحياة".

- "لا تقل لي إنه (طه)!"

قالها (حامد) فقال الشيخ:

- "حدد لي المكان وموعد دخولي ووصف لي هذا المكان".

- "وكيف ستحمينا ومن؟"

نادى الشيخ قائلاً:

”حاوطوا هذا المكان بارك الله فيكم وعليكم“.

ثم نظر ل(إسلام) قائلاً:

”ألا تتذكر؟ قرينك كان بزورني وهو من أتى لي بقرناء مدينة الموتى
وعلمني أمرهم لأحمي أصدقاءك“.

هنا قال (رحيم):

”الهجوم بدأ من الجان!“.

”لا تخافوا فالقرناء يتحملون الضربات ولا يموتون“.

قالها الشيخ ثم تابع:

”آخر كلمة قالها لي الصوت أن أسمع ل(إسماعيل) بعد أن يتحضر
بالخروج من الغرفة ليلتقطه هو“.

”إذن (طه) هو من فعل هذا“.

”أعطوني قلماً وحبراً“.

قالها (إسماعيل). فقال (حامد):

”عندي لك مفاجأة. الأعلام في هذا العصر ممتلئة بالحبر من تلقاء
نفسها. هل ينفع معك القلم الذي تركه (الحي بن القصاب)؟“

تقاتل جيش (المخلي) مع جيش الممالك في الصحراء.. وعلى بعد مئات الأمتار وقف (المخلي) ورجاله وبجانبه (قصعان) يرمقون الحرب الدائرة والأول يقول:

- "لقد سحب (بصفيديش) جيبي إلى هنا لغرض ما".

ثم نظر إلى أحد قواده قائلاً:

أنت. أحضر الفتاه حالاً.

اختفى من أمره بينما نظر هو لـ (قصعان) وهو يقول:

- "هيا. قل الكلمات لأحفظها عند التشكل".

- "تشكل أولاً ورددتها معي لأنني سأتشكل في نفس اللحظة".

نظر (المخلي) له بشك ثم قال:

- "هل هنا مركز البوابات؟"

- "نعم".

- "ابدأ أنت التشكل أولاً وأنا سأتبعك".

سمع المأمور و(رقية) و(إسلام) صوت طلقة رصاص. فسقط (إسلام) على ركبتيه وقرنيه يظهر بجانبه ساقطاً على ركبتيه مثله كأنه يقلده في كل حركات جسده. حاول (إسلام) الوصول لموضع الرصاصة في ظهره و(رقية) تصرخ والمأمور يترك (حبيبة) على الأرض وينظر لمطلق

الرصاص. الذي كان رجلاً برتدي جلباباً وعمامة وحمل بندقيّة خرطوش بتساعد الدخان من قوهتها.

افاق (طه) من رؤيته التي تعود عليها للمستقبل ونظر أمامه ليجد (إسلام) يسير بجانب (رقية) بنفس الطريقة ويحانها المأمور بحمل (حبيبة). نظر في الموضوع الذي أطلقت منه الرصاص في رؤياه فلم يجد شيئاً لا تنسبر إلا أن يكون مطلق النار قد طلسم نفسه كي لا يراه الجان. في الغالب هو سيد الغرفة المظلمة مثلما كان (إسماعيل) العلاج). سنتطلق الرصاص الآن.. لا يوجد إلا حل واحد.

جرى للبقعة التي أطلقت منها الرصاص في رؤياه. وفكر في أنه لو أخرج شحنة كبريتية فلن تؤثر إلا في عالم الجان.. كي يؤثر بشحنة كافية في عالم البشر عليه أن.. يفجر نفسه.

كانها قبيلة ارتجت لها الصحراء ووصل صوتها إلى القرى المجاورة. انبطح الثلاثة أرضاً والغيار الساخن يعمي عيونهم.

تشكل جسد (قصعان) في بقعة نائية بصحراء إيران وقد شعر بالحر الشديد الذي لم يفتده من قبل. نهض بصعوبة ليجد جسد (المخلي) بتشكّل بجانبه. نظره وقال:

"هل نذكر الجاسوس الذي زرعه (بصفيديش) بينكم؟"

نظر له (المخلي) بارهاق فأكمل (قصعان):

"أخرجني (بصفيديش) من سجي البحري وطلب مني مساعدته. ثم أعادني مرة أخرى لتأخذني أنت."

"ولماذا تساعده هو.. ما السبب؟"

"الأمل في الحياة إن نجح (بصفيديش).. لأنني ميت ميت إن نجحت أنت!"

انفردت أجنحة (قصعان) وهو يقول:

"لنكمل معركتنا التي انتصر لك فيها (بصفيديش)."

انتهى (إسماعيل) من طلسمه جسده ووقف قائلاً:

"كيف سأخرج من هنا؟"

نادى الشيخ:

"اسمعوا لهذا الرجل بالخروج."

فجأة أثرت زوبعة من منتصف الغرفة ابتلعت (إسماعيل) واختفت. ثم أثرت زوبعة ثانية في منتصف الغرفة خرج منها (مهران) بصدرة العازي ونظر لهم قائلاً:

"يقولون عنهم العفاريت.. عذرو.. عفريت. كأنهم يغفرون الأرض من سرعة حركتهم."

"ما الذي يحدث؟"

تساءل (عماد) فنظر له (مهران) قائلاً:

- (إسماعيل) أصبح ملكي الآن حسب الاتفاق:-

- "اتفاق؟"

- "جاءني (طه) صباح اليوم وقال إنه رأني في المستقبل أتحكم في العفاريت. لكن (إسماعيل) هرب مني مرة أخرى. لذا عرض عليّ تسليمه لي مقابل أن يتزني أتحكم في العفاريت وأفعل ما يحدث الآن."

- "وماذا يحدث الآن؟"

- "عالم الحان أصابه الخلل بعد موت (سليمان). وكثرت حروبهم وجنوبهم."

جيش الممالك يطوق جيش (المخلي) من الجوانب..

- "لذا أعتقد أنهم بحاجة إلى حاكم جديد. وكي يتقبلوا هذا الحاكم يجب أن يُظهر من القوة والشدة ما يكفي لبحترموه."

فجأة صرخ (يصفيدش) في رجاله أن يتوقفوا عن القتال وهو ينظر للأعلى ويرى زوابع تسير بسرعة جنونية تقترب من الجيشين.. صاح (يصفيدش):

- "العفاريت أتوا!"

"تلك القوة التي ستظهر يجب أن تخلف ضحايا ليكونوا عبرة للجميع.
وأعتقد أنك لتبني بيتًا جديدًا فعليك بهدم القديم وإزاحة أنقاضه".

الزوابع تدور حول جثث الجيشين الملقاة. (يصفدش) جثة هامدة لا
تتحرك. وكلما أبدت إحدى الجثث حركة تدل على الحياة. تجري عليها
زوبعة تمر فوقها فتخمد الجثة.

"أما البوابات السبع التي خافها الجان فحان الوقت لتدميرها لتصبح
ذكرى لهم لا أكثر. ويصبح مدمرها هو البطل الجديد".

كاد (المخلي) يقتل (قصعان) وهو يضع قدمه فوق رقبتة ويقول:

"قل الكلمات والا قتلتك!"

بدأت سلسلة من الانفجارات في صحراء (إيران) وكأنها تقرب منهم. حانت
من (قصعان) نظرة لتلك الانفجارات المقترية. ضحك بصعوبة وقال:

"لا أعرف ماذا يحدث لكن أعتقد أنها النهاية يا صديقي".

ثم انفجر موضعهما بعنف.

- أشكرا لي صديقكم (طه).. إن نجا من الموت وقولا له بأن (الحي بن القصاب) وفي جزئه من الاتفاق ويشكر على هدية (إسماعيل)..
قالها (مهران) وروبعة تدور وسط الغرفة سحبه واخنتفت.

بعد 7 أيام.. مستشفى الأورام..

دخل (إسلام) يمسك بيد (رقية) وسألا في الاستقبال عن اسم مريض.
دلتهما الممرضة فصعدا للدور الثالث وبحثا في العنابر حتى وجدا
(حامد) يأكل (شيبسي) بجانب فراش ينام عليه (طه) حليق الرأس
والإرهاق والشحوب ظاهران عليه.

ابتسم لرؤيتهما. في حين قالت (رقية):

- "عرفت أنهم نقلوك لمستشفى الأورام بعد ظهور الورم".

- "كنت أتوقع شيئا كهذا من تعاملني مع الكهرباء".

ضحك (حامد) فجأة فنظر الجميع له بدهشة وهو يحاول أن يقول بين
ضحكاته:

- "عندما انفجرت ونقذت شحنتك الكهربائية وعدت لعالم البشر عند
البنيتيكة".

- "ماذا تقصد؟"

- "أعتقد أنك قتلت مشاعر (رقية) عندما رأتك عارنا!"

"اعتقدناك قد مت، لكن الحمد لله".

قالتها (رقية) و(حامد) يفرغ آخر جزء من كيس (الشيبيسي) بفيه. بينما قال (طه):

"لا تخف يا (إسلام) سأجد حلاً لمشكلتك. فلن أتركك لتذكرك (رقية) كل يوم بما حدث في حياتك".

سمع الجميع صوت رنة هاتف (حامد)

(يا حلو يا اللي العسل سايل من الشفة.. شعرك سلاسل ذهب دمك كمان خفة.. أذفع في مهربك ألوف وأصرف جميع مالي لو قلتي كلمة يس مع بسمة من الشفة)

رد (حامد) على الهاتف واستمع إلى محدثه. ثم نظر ل(طه) قائلاً:

"استعد.. (حازم) و(عماد) و(بوسف) و(حبيبة) والشيخ (محمد) سيأتون لزيارتك الآن".

ثم فجأة تحدث (حامد) مع (رحيم) بجواره:

"قلت لك لا تزن في أذني يا أخي أمام الناس وتجبرني على الرد كي لا يعتبروني مجنوناً!"

"أنت الوحيد منا الذي خرج بشيء مما حدث. لا أعرف كيف بقي (رحيم) صديقك بعد إغلاق الغرفة".

قالها (طه). فاقترب (حامد) منه وأغلق المكالمة وهو يقول:

"هيا بنا إذن لنسجل هذه الصداقة التاريخية. اقترِب يا (رحيم) لنلتقط
(سيلفي) مع بعضنا البعض".

ضحك (طه) وأخرج (حامد) لسانه وهو يرفع هاتفه المحمول ويلتقط
صورة سُجلت على الهاتف لهما. وفيها ظهرت خلف (حامد) بقعة
ضوء صغيرة وشيء يشبه إصبعي السبابة والوسطى خلف رأس
(حامد).

تمت

شكر إلى

مهندس الكهرباء/ محمد طه عبد الفتاح..

الشيخ/ محمد هناء الدين..

شكر خاص إلى

الكاتب/ أحمد عبد المجيد

على رأيه الثمين فيما أكتب..

شكر خاص إلى

مدير النشر بدارن

أ/هيثم حسن

الذي عاملني كأخ لم تلده أمي..

مدير عام دارن

أ/حسام الدين حسين

الذي عاملني كأبن له منذ أول مرة قابلته فيها..

فريق عمل دارن

لمساعدتهم لي في إخراج هذا العمل بهذه الصورة..

شكراً إلى سلسلة هذا العلم

الشيخ (أسامة عبد الوارث) عن (نصر الدين القناوي) عن (محمود
التهامي الشاطوري) عن (تاج الدين عبد الرحمن) عن العارف (مالك
أبي أيوب النوري) عن الشيخ (شهاب الدين الضيائي) عن عز العلماء
(الهوري النجفي) عن الشيخ (الشاذلي الحموي) عن (بن محلان) عن
جيل المعارف (أحمد بن التوربزي) عن (موسى المالكي) عن العالم
(الحسن الحنبلي) عن (أحمد بن ميمون القسطلاني) عن (أبي عبد الله
بن أحمد) عن رأس السبعة أبدال (أبي مدين بن حسن الأنصاري
الأندلسي).

رحمة الله عليكم أجمعين

كلمة إلى القارئ

أشكرك على أنك تحملت تأخيري في إخراج هذا العمل.
وأعتذر إن أثقلت عليك..

صلى الله عليه

للتواصل مع الكاتب

<https://www.facebook.com/profil.php?id=100001343653770>

أعمال الكاتب

• مخطوطة ابن إسحاق (مدينة الموتى)

• مخطوطة ابن إسحاق (المرتد)

• الجزار

• نصف ميت

• لقاء مع كاتب رعب

• حكايات فرغلي المستكاوي

شارك بالكتابة في

• نقطة من أول السطر

• مخاوف

• كوكتيل أدبي

• القادمون

تحت الطبع

• ابتسم فأنت ميت

• ليلة في جهنم (سباعية)

• ماريا

• الملك

الفهرس

- الإهداء..... 5
- المقدمة..... 7
- الفصل الأول - فيما مضى..... 23
- الفصل الثاني - قرين..... 59
- الفصل الثالث - اصدقاء قدامى..... 87
- الفصل الرابع - ابن ذاعات..... 117
- الفصل الخامس - العائد..... 143
- الفصل السادس - أصف بن برخيا..... 175
- الفصل السابع - الطلمس..... 225
- الفصل الثامن - المزامير..... 253
- الفصل التاسع - مدينة الموتى..... 277
- الفصل العاشر - النهاية..... 305

إلى الصوت الذي كان يُحدّثني أثناء كتابة
هذه الثلاثية، أشكرك لأنك توقفت.

حسن البدي



Islam Allam | www.islamallam.com

